

★★★★★
أعمال الإثارة
الأصلية

7 7 7

1

0

2

8

4

6

5

رواية

الغول والعنقاء والخل الوفي

كتاب الكنوز

إسلام عبد الله





اسم العمل: "الغول والعنقاء والخل
الوفي" (كتاب الكنوز) - رواية
المؤلف: إسلام عبد الله

الناشر:
بيت الياسمين للنشر والتوزيع

رقم الإيداع:
2023/27041

الترقيم الدولي:
9789778172690

تصحيح لغوي: نهى عبد الستار
حقوق الطبع محفوظة.
الطبعة الأولى 2024

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب
أو أي جزء منه أو تجزئته في نطاق
استعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل
من الأشكال، دون إذن خطي مسبق.

الإشراف العام:
زياد إبراهيم

المراسلات:
الدور الثاني شقة 3
71 ب حدائق الأهرام البوابة الأولى -
ميدان الرماية - الجيزة

البريد الإلكتروني:
baitelyasmin@gmail.com
ziad.meguid@gmail.com

تليفون:-
(+202) 01016685583
(+202) 01110094625

من رابع المستحيالات، مقولة نطلقها دائمًا للتحديث
عن صعوبة حدوث شيء لدرجة الاستحالة ويقال رابع
المستحيالات عادةً لأن العرب قديمًا كانوا يجمعون على
استحالة وجود ثلاثة أشياء وهم، الغول، العنقاء، الخل الوفي.

تمهيد..

اعلم أيها الأخ البار الرحيم أيذك الله وإيانا بروح منه.

بما أن الإنسان لما كان هو جملة مجموعة من جسد جسماني ونفس روحانية وهما جوهران متباينان في الصفات، متضادان في الأحوال، ومشتركان في الأفعال العارضة والصفات الزائلة، صار الإنسان من أجل جسده الجسماني مريدًا للبقاء في الدنيا متمنيًا الخلود فيها، ومن أجل نفسه الروحانية صار طالبًا للدار الآخرة متمنيًا البلوغ إليها.

وهكذا أكثر أمور الإنسان وتصرفاته أحوال مثنوية، متضادة كالحياة والممات والنوم واليقظة والعلم والجهالة والتذكر والغفلة والعقل والحماقة والمرض والصحة والفجور والعفة والبخل والسخاء والجبن والشجاعة والألم واللذة وهو متردد بين الصداقة والعداوة والفقر والغنى والشبيبة والهرم والخوف والرجاء والصدق والكذب والحق والباطل والصواب والخطأ والخير والشر والقبح والحسن وما شاكلها من الأخلاق والأفعال.

لهذا لا تحزن ولا تبتئس فأنت مسير فيما أنت به مخير،
ولك حسن التفكير وعلى الله التدبير.

الزمان.. منذ ثلاثة أشهر.

المكان.. بأحد المناطق الصحراوية بمكان ما من الخليج العربي.

الحدث.. مجموعة مكونة من أربعة مستكشفين يسرون بصعوبة شديدة وسط الرياح التي تعصف بالرمال بقوة فتلسعهم ضاربة أجسادهم من كل حدب وصوب، ولا يحميهم من غضب الصحراء العاصف بزفيرها الحار المحمل بالرياح والرمال سوى ملابسهم البدوية التي تغطي أنحاء جسدتهم كله في محاولة ضئيلة لمواجهة صفعات الصحراء الغير مرحبة بوجودهم فوق أرضها.

فرد من المجموعة لم يستطع مواجهة غضب الطبيعة ذاك فسقط أرضًا بالتو، فحاول اثنان من المرافقين له أن يساعدوه على النهوض، بينما استمر الشخص الرابع بالتقدم أمامهم وهو ينظر للباقي يساعدون زميلهم خلفه ولكنه لا يعيرهم أي اهتمام و أكمل بطريقه، الفرد الذي سقط يقف بمساعدة زميليه أخيرًا ويتحرك مع باقي المجموعة يتتبعون خطى قائدهم الغير مهتم إطلاقًا بوجودهم خلفه.

في وقت آخر من الليل، أسفل نجوم السماء المتلألئة، جلس الأربعة بمخيم أمام النيران وهم يتجاذبون أطراف الحديث ويتضحكون، ماعدا قائدهم الذي كان ينظر بخريطة أمامه باهتمام شديد.

بظهيرة اليوم الثامن لرحلتهم بداخل الصحراء، جلس أحد المستكشفين على الأرض وهو يضع سماعة أذن فوق رأسه ويستمع إلى موسيقى صاخبة باستمتاع وهو يقوم بإزاحة التراب من فوق شيء ما أمامه.

اثنان من المستكشفين يحفران بحرص شديد برمال الصحراء، خلف المستكشف الأول.

فجأة تخترق المكان سيارة دفع رباعي ويقف المستكشفان يصرخان على سائقها ألا يتقدم بالإنجليزية: «توقف، توقف».

يهبط من السيارة شخص يرتدي حلة سوداء غير مناسبة لجو الصحراء إطلاقاً ولهذا كانت ملابسه وحذاؤه معفرين بالأتربة، ويبدو عليه الضيق الشديد، تحرك المستكشفان جهته وهما يشيران إلى الأرض وراءهما ويحذراه ألا يتقدم جهة الأرض الممتلئة بالحفريات خلفهما، على الفور أخرج الرجل سلاحه الناري وأطلق على رأسيهما النار بسرعة. سقط المستكشفان على الفور أرضاً مخرجين بالدماء.

تحرك الرجل بحذائه المعفر وهو يحاول أن يتفادى أجساد المستكشفين وهي ممددة على الأرض ويحاول أن يتخطى دماءهما وهو يتقدم جهة المستكشف الثالث الذي كان يضع السماعة فوق أذنه ويمسح الرمال أسفله بفرشاة فظهر أمامه لوح طيني أثرى من أسفل الرمال، فصرخ فرحاً وهو سعيد

لـلـغـايـة:

«لقد وجدنا المدينة المفقودة، لقد وجدناها، إن الكتاب صحيح».

نزع السماعات من فوق أذنه على الفور والتفت خلفه وهو فرح لينادي على أصدقائه ولكنه وجد فوهة مسدس مصوبة لرأسه، ومن ثم شعر برصاصة تخرق جمجمته وتحطم دماغه.

الزمان.. منذ ثلاثة أيام.

المكان.. شوارع القاهرة.

الحدث.. مطاردة شرسة بطرقات وأحياء القاهرة، بطلها حازم منصور الذي يركض بعنف متعرقاً وهو يضع هاتفه على أذنه ويتحدث بصوت عالٍ:

«أين يا حياة، أنا في ذلك المكان حالياً، أخبريني بسرعة، أين آخر مكان كان يتواجد به؟».

حازم نظر حوله بتمعن شديد: «أين، أين هو؟ أنا لا أراه، ماذا!! أفقده؟! كيف سأفقده، ورحمة والدي لن أتركه أبداً».

نظر على يمينه للحظات، ثم نظر أمامه فجأة وهو يبتسم بخبت شديد:

«لا تقلقي يا حياة، لقد وجدته، هل كان يعتقد لوهلة أنه

يستطيع الهرب مني».

أغلق الهاتف سريعًا ووضع به بجيبه وركض بعزم شديد بين الشوارع والطرقات، حتى وقف أمام شارع هادئ فابتسم بثقة وهو يمسح عرقه من فوق جبهته.

أثناء ذلك الوقت كان بداخل الشارع الهادئ ثلاثة شباب مراهقين تتراوح أعمارهم ما بين الخامسة عشر والسابعة عشر، يقفون بجانب سيارتهم الفارهة التي كانت مصطدمة بسيارة قديمة متهاكة، ويمسك أحدهم رجلًا عجوزًا بالعقد الخامس من عمره من ملابسه ويعنفه بشدة: «ما هذا الذي فعلته؟! هل أنت أعمى لا ترى!! انظر ماذا فعلت بسيارتي».

العجوز يتحدث إليهم بخوف:

«من العيب عليك أن تقبض بملابسي هكذا يا بني، أنا في سن أبيك!!».

الشاب يعنفه بغلظة وهو يضيق عليه خناقة:

«دعك من أبيك، وعمك، وهذا الحديث الذي بلا طائل، أنا لن أتركك هذا اليوم إلا عندما تصلح سيارتي، والآن».

العجوز يحاول تخليص ملابسه من الشباب فلا يستطيع بعد أن تكاثروا عليه: «اتركوني، اتركوني جميعًا ألا ترون أنني رجل كبير، ألا يوجد من ينقذني أيها الناس؟!».

لم يمه العجوز جملة حتى سمع صوت حازم وهو يصرخ عليهم ويتقدم من داخل الشارع جهتهم:

«أنتم، توقفوا عما تفعلونه بالحال!».

نظر المراهقون إلى حازم الذي ظهر أمامهم فجأة وهو متعرق وجسده متضخم ونظر لهم بشذر، فذب الخوف في قلوبهم من رؤيته، فتركوا العجوز بالحال، الذي تهلت أساريره من ظهور حازم المفاجئ.

تقدم حازم جهتهم ببطء وبثقة شديدة، فبدت ملامح الخوف على وجه المراهقين أكثر فأكثر، وتعالى ضحكات العجوز الفرحة أيضًا أكثر فأكثر.

تقدم حازم إلى الشباب بعزم كبير ظاهر على وجهه، فتراجع الشباب المراهقون للخلف بقلق، وقام بعضهم بابتلاع ريقه متوترًا، بينما اعتلت ابتسامة كبيرة وجه العجوز.

وقف حازم بين المراهقين وبين الرجل العجوز وهو ينظر لهم نظرات نارية، فتراجع المراهقون أكثر للخلف وهم خائفون من ردة فعله، ظل ينظر العجوز إلى مخلصه الملائكي الذي ظهر أمامه فجأة وهو يشعر بالسعادة.

فجأة قام حازم بدفعه بكلتا يديه برفق:

«لو سمحت فلتراجع قليلًا إلى الوراء أيها الحاج».

فتراجع العجوز للخلف على الفور، نظر حازم للمراهقين بغضب وهو يقوم بالكشف عن ساعده، فتراجع المراهقون للخلف قليلًا وهم يبتلعون ريقهم ويرقبون ردة فعله.

فجأة تركهم حازم واتجه ناحية السيارة وجثى على

ركبتيه، وأخذ يتحدث بلهجة طفولية وهو يمد يده أسفلها.

: «بودي، بودي، أنت بطة، أنت قطة، هيا تعالي لا تخافي، لا تخافي يا بطوطتي».

أخذ العجوز ينظر لحازم مندهشًا، بينما المراهقون ظلوا ينظرون إلى بعضهم البعض متعجبين من فعل حازم، الذي لم يعيرهم أي اهتمام وظل يتحدث بلهجة طفولية وهو يمد جسده بالكامل على الأرض أسفل السيارة.

: «حبيبة ماما، هيا تعالي، تعالي يا بطوطتي».

وبالنهاية تحرك حازم من أسفل السيارة وهو يحمل بين يديه كلبًا «لولو» فرنسيًا أبيض اللون، وهو يداعبه ويحدثه بلطف:

«أخيرًا، أخيرًا، أمسكتك يا بطوطة أنت، لقد أرهقتني معك».

نظر حازم فجأة حوله ليجد العجوز والمراهقين ينظرون إليه مندهشين، فابتسم إليهم وأخذ يحدثهم سريعًا.

: «أتأسف لو كنت قد قاطعتكم، أنا انتهيت والحمد لله، فلتكملوا عراكم مع بعضكم كما تحبون، عن إذنكم».

غادر حازم وهو يداعب الكلب بين يده، بينما أخذ المراهقون يرقبونه متعجبين، والعجوز يفرك رأسه بإصبعه مستغربًا.

جلس حازم بداخل سيارة أجرة ومعه الكلب يحمله بين يديه ويداعبه، وقام على الفور بتصوير نفسه صورة ذاتية أمامية «سيلفي» ومعه الكلب يقوم بلق وجّهه، أخذ ينظر له سائق السيارة الأجرة بمرآة السيارة بتقرّز شديد، لاحظ حازم نظرات السائق له فشعر بالإحراج فوضع الكلب على المقعد بجواره وقام بالاتصال برقم من هاتفه، وهنا على الفور ارتسمت ابتسامة كبيرة على وجهه وهو يتحدث بالهاتف.

: «ألو، مساء الخير يا مدام سميرة، كيف حالك، هل شاهدتِ الحلوة روزي، لقد أرسلت لك صورتنا سيلفي معًا، بالطبع، بالطبع، أنا في طريقي إليك بالحال ومع روزي، بالطبع سوف أضع روزي بداخل عيوني حتى تعود إليك، ولهذا أتمنى أن تجهزي باقي المبلغ المتفق عليه، بالضبط، نعم بالضبط هذا هو المبلغ يا مدام، في الطريق لحضرتك الآن، في حفظ الله، في حفظ الله».

السائق ينظر له بالمرآة بضيق:

«من فضلك أبعد هذه الكلبة بعيدًا عن المقعد، نحن لم نتفق برحلتنا عن وجود كلب بداخل السيارة».

حمل حازم الكلبة بين يديه وهو يتحدث إليه مبتسمًا:
«حالا، سوف أحملها حالا».

أخذ ينظر له حازم بضيق وهو يحدث نفسه: «ماذا يظن نفسه هذا السائق، هل اعتقد لأننا نشير له بكابتن بأنه كابتن بالفعل ويقود طائرة، ألا يعلم أنه سائق أجرة لعين، حسنًا بعد

أن أنتهي من رحلتي سوف أقيمك بنجمة واحدة وأقدم بك
شكوى تخرج النار من رأسك، صبرًا جميلًا».

رن هاتفه فالتقطه على الفور ووضع على أذنه مبتسمًا:
«ألو، يا حياة».

يسمع صوتها تتحدث بالهاتف:

«أخبرني ماذا فعلت يا سيد حازم؟».

حازم بثقة شديدة:

«ماذا تعتقدين يا حياة!! وجدت روزي بالفعل، أنت تعلمين
بالفعل أن أي قضية يعمل عليها حازم منصور سوف يحلها
بدون شك، لكن لقد تعبت للغاية بهذه العملية يا حياة».

نظر حازم إلى السائق أمامه بضيق:

«من أجل الإمساك بروزي لقد تعرض لي بعض الأغبياء
والحمقى».

يسمع صوت حياة وهي تضحك:

«أفهم من حديثك هذا بأنك كنت سوف ترفض مبلغ مائة
ألف جنيه، لأنك لا تريد أن تبحث عن كلب!! إذا رغبت يمكننا
رفض تلك القضايا من الآن فصاعدًا».

تغير وجه حازم بالحال:

«أنا لا أعلم لماذا تتسرعين هكذا يا حياة، أنا لست معترضًا
على المبدأ، كلب، قطعة، خروف، عنزة، أنا موافق، طالما

حضرت النقود فأنا سأكون بالتأكيد موجودًا، هذا هو شعاري، ولكن أنا أريد تلك القضايا المثيرة المشوقة، خطف، سرقة سيارات، اختفاء، أشياء من هذا القبيل».

السائق ترك الطريق و نظر لحازم خلفه بقلق:
«خطف!! اللهم ما احفظنا، اللهم ما احفظنا».

حازم ابتسم له سريعًا:

«لا تقلق، نحن نتحدث عن قصة فيلم مع بعضنا البعض، إذا لم يكن عندك مانع».

سمع صوت حياة تحدثه متسائلة:

«سيد حازم، أنت تتحدث مع من؟».

«لا تقلقي، هذا كابتن الأوبر يلقي أذنه معنا قليلًا».

السائق (بضيق):

«أنا لا ألقى أذني معكم، أنت الذي لديك صوتك مرتفع».

(مبتسمًا):

«بالفعل أنا صوتي مرتفع، حسنًا يا حياة، سوف أذهب لكي أسلم روزي إلى صاحبته ومن ثم سوف أحدثك فيما بعد، إلى اللقاء».

حازم أغلق الهاتف سريعًا، فتحدث إليه السائق وهو ينظر له
بالمرآة:

«لماذا أغلقت مكالمتك!! فلتكمل محادثتك كما تريد».

ابتسم حازم على الفور: «لا، لا أريد أن أقلق راحة بال حضرتك، أنت كابتن ملء الدنيا، لا ينبغي إزعاجك أبدًا».

السائق مسرورًا: «سلمك الله من كل شر».

حازم علت وجهه ابتسامة صفراء:

«أنت رجل لم تنجبه النساء».

: «أشكر».

«ولا الرجال أيضًا».

علت وجه السائق ابتسامة كبيرة: «أشكر، أشكر».

حازم محدثًا نفسه:

«انتظر قليلًا، عندما تنتهي الرحلة والله لأقوم بإرسال

شكوى لك تجعلك تنسى اسمك وسنك وعنوانك».

تنهد وهو يداعب الكلب بيده اليسرى:

«كله يهون من أجلك أنت يا روزي، تهربين وتركضين

وتلعبين ونحن نبحث عنك ونتحمل متاعبك».

ويقبل الكلبة بالنهاية فيعلق بعض شعرها بفمه، فيبصقه

بسرعة شديدة وبتقزز شديد.

الزمان.. منذ سبعة أيام.

المكان.. مدرسة نورمانهارست الثانوية للبنين، أستراليا.

الحدث.. بداخل غرفة مدير المدرسة الكبيرة الواسعة.

يجلس أحمد هارون بمفرده حزينًا مطأطئ الرأس، وهو شاب مراهق بجسد نحيل، عمره ما بين الخامسة والسادسة عشر. يرتدي بنطالًا وقميصًا رمادي اللون وكرافتة حمراء وجاكيتًا أزرق فوقها، وأسفل شفته يوجد جرح صغير وبعض الدماء، ويبدو من ملابسه المبعثرة أنه خرج من عراك، جلس غاضبًا متجهًا وهو يتذكر بعض الأصوات المختلطة لعدة أطفال بداخل رأسه:

«إن والده قاتل».

«إنه من سليل عائلة قتلة».

«والده قتل أصدقاءه».

«اخفض صوتك حتى لا يسمعنا ويقتلنا نحن أيضًا».

«لقد كنت أعلم ذلك، إنه اسمه أحمد».

ظل الشاب يتذكر الأصوات برأسه وهو قابض على يده بغضب شديد.

دلف من باب الغرفة شخص أجنبي عجوز بالعقد الخامس من عمره وجلس على المكتب أمام أحمد.

تحاشى أحمد النظر إلى الرجل ونظر إلى الياقطة الموضوعية على المكتب ليقرأ كلمة مدير المدرسة

بالإنجليزية.

يلاحظ العجوز وجه أحمد المجروح أسفل فمه، فتنهّد المدير للحظات وأخذ يتحدث إلى أحمد بالإنجليزية:

«أنا أعلم أيها الشاب الصغير أنك بوضع غير مريح الآن، نظرًا لما يواجهه والدك من بعض الظروف الاستثنائية التي يمر بها حاليًا، وأعلم أنك تنزعج من بعض تصرفات زملائك غير المهذبة، ولكن لم يكن العنف هو الحل أبدًا».

ظل أحمد يستمع إليه دون أن يتحدث، فتابع المدير حديثه إليه:

«أنا على الرغم من تفهمي وتعاطفي الكامل معك لما تمر به من أحداث جديدة عليك، لكن لن أستطيع التغاضي عن معاقبتك تلك المرة، إنها المرة الثالثة التي تنتابك نوبة غضب بالمدرسة وأنت تعلم أننا لا نتهاون مع المشاغبين، وبما أنك كنت من الطلاب المتفوقين لدينا فسوف نكتفي بإيقافك عن الحضور لمدة أسبوع، وقمنا أيضًا باستدعاء السيد طارق الغنام صديق والدك».

أحمد غاضبًا:

«ماذا؟ لا يحق لك فعل هذا».

: «بل لي كل الحق أيها الشاب الصغير؛ أنت طالب بمدرسة نورمانهارست، وبصفتي مدير المدرسة يجب أن أرى مصالحك، بعد ظروف والدك واختفائه المفاجئ منذ ثلاثة

أشهر. أصبح لا يوجد من يركك، وأيضًا هناك مصاريف دراسة وخلافه يجب أن تدفع، ووالدك قد طلب منا في حالة حدوث أي شيء طارئ أن نتصل بالسيد طارق الغنام».

صمت أحمد وخفض عيونه أرضًا، فتابع المدير الحديث إليه:

«هيا الآن، اذهب إلى العيادة لتعالج جروحك ومن ثم انصرف إلى منزلك وسوف أراك بعد أن تنتهي مهلة معاقبتك وتكون بصحبة السيد طارق معك».

تحرك أحمد إلى خارج الغرفة وتبعه المدير بعيونه حتى انصرف ومن ثم حدث نفسه:

«أتمنى لك حظًا سعيدًا أيها الشاب الصغير».

الزمان.. منذ عشرة أيام.

المكان.. مستشفى استثمارية كبيرة بالقاهرة.

بغرفة واسعة مغطاة بزجاج شفاف ومعقمه بالكامل، كانت تنام دليلة على سريرها ترتدي اللون الأبيض بالكامل وشعرها مغطى بحجاب وتضع على وجهها قناع أكسجين يغطي كامل وجهها، ويبدو عليها الهزل والضعف الشديد، وكانت تقف بجوارها ممرضة تنظر إلى نبضها وتعطي لها بعض الفيتامينات عن طريق بعض المحاليل المعلقة فوقها، دلف إلى الغرفة بسرعة زوجها إيهاب حسن وتوقف للحظات

عندما شاهد الممرضة مع زوجته، كان إيهاب بحجم ضخمة كبير ولدية بعض الدهون في جسده تعطيه شكلاً غير متناسق ويبدو عليه أنه كان رياضياً منذ زمن بعيد وترك ممارسة الرياضة بالوقت الحالي، عندما انتهت الممرضة من عملها تركت الغرفة وقامت بتحية إيهاب وهي منصرفه فبادلها التحية واتجه إلى داخل غرفه التعقيم التي قامت برش بعض الدخان الأبيض عليه للحظات ومن ثم فتح الباب الزجاجي لسرير زوجته، التي ما إن شاهدته علت ملامح الفرح الشديدة عليها ولكنها لم تستطع التحدث إليه، أخرج وردة صغيرة كان يخبئها خلف ظهره وأظهرها لها وهو يبتسم: «أجمل وردة لأجمل وردة بحياتي كلها، لقد اشتقت إليك للغاية يا دليلة يا حبيبتي».

نظرت له دليلة بجانب عينها وهي تحاول الابتسام بصعوبة، فأكمل إيهاب الحديث إليها:

«بما أنني لم أرك منذ يومين فسوف أجعلك تضجرين من محادثتي، لقد عزمت على أخبارك ماذا حدث معي بالأيام الماضية، ولهذا فسأبدأ في سرد حديثي الممل الآن فلتأخذي حذرك، هل تعلمين كيف استيقظت اليوم؟ تخيلي هكذا؟! لقد استيقظت بسبب قطتك الحمقاء البدينة، لقد تركت هواياتها المحببة في تدمير وبعثرة محتويات مكتبي، والكتب التي تمزقها طوال الوقت، وقماش الستائر التي تتعلق بها دائماً، تركت كل شيء بالمنزل وأتت لتنام فوق رأسي دون أن أعلم، لقد كنت نائماً وسابحاً في بحار الأحلام السبع لأجد

شيئًا يحتك بأنفي فشعرت بالحكة الشديدة، فأقوم بفركها بأصابعي وأعود إلى النوم، لأجد حكة أنفي تعود من جديد، فكنت أفرك أنفي بلا مبالاة وأعود إلى النوم سريعًا وأنا أظن أنني أحلم، لكن اكتشفت بالنهاية أن تلك القطعة اللعينة نائمة فوق رأسي وتقوم بتحريك ذيلها يمينًا ويسارًا فوق أنفي حتى كادت تصيبني بالجنون».

ضحكت دليلة على حديثه بشدة ولكنها لم تستطع أن تصدر أي صوت.

إيهاب نظر لها وهي تضحك وضحك هو الآخر على ضحكها: «ما هذا؟ أتضحكين على مأساتي مع القطعة يا دليلة، هل اتخذت صفها لأنها قطتك، وليكن بعلمك، أنا لم أتركها تنجو بفعلتها هذه، لقد انتقمتم منها أشد انتقام، لقد قمت بتحميمها على الرغم عنها بمياه باردة، وأنت تعلمين بأن قطتك قدرة لا تحب الاستحمام، على الرغم من أنها قامت بخدشي عدة مرات وقامت بعض يدي مرتين ولكن كل ذلك تضحية بسيطة في سبيل سماع موائها وهي بين يدي تحت المياه ولا تستطيع الخلاص، وأما عن في قسوتي ومحاولة إذلالها، لقد حممتها من غير صابون أو شامبو».

أخذت تضحك دليلة للحظات بدون صوت ومن ثم تحول ضحكها إلى بكاء مكتوم وتساقطت دموعها فجأة، نظر إليها إيهاب مصدومًا واقترب أكثر منها وهو يحدثها مرتعدًا:

«ما بك يا دليلة، لماذا تبكين؟! أنت تعلمين أنني أشعر

بالضيق الشديد عندما أشاهد دموعك!».

حاولت التحدث إليه بشفاهها دون أن تصدر صوتًا، حاول حازم على الفور قراءة شفاهها وهو يشعر بالشفقة الشديدة عليها، وأخذت دليلاً تتحدث إليه باكية من غير صوت مسموع وهو يحاول أن يقرأ حركة شفاهها بسرعة ليفهم ما تقصده، وعندما انتهت من حديثها إليه، امتلأت عيونه بالدموع التي حاول أن يمنعها من التساقط وأخذ يمسحها بسرعة بمنديل بيده وهو يحدثها بأسى:

«لا تفكري هكذا يا دليلاً، أنت زوجتي حبيبتي، أنا لن أتخلي عنك أبداً، وسوف أفعل المستحيل حتى تبرئي من مرضك وتعودي لصحتك مرة أخرى».

أخذت تهز رأسها ببطء وهي غير راضية عما يقوله، وهنا على الفور ابتسم لها وهو يحاول طمأنتها:

«أنت تعلمين أنني عنيد للغاية ولا أحب الاستسلام، لا يوجد شيء فعلته ولم أنجح به، ومرضك هذا ابتلاء من الله لنا أنا وأنت وسننجح بعون الله وتوفيقه، هذا امتحان وكبوة مثل التي واجهناها كثيراً من قبل، أنا لا أريدك أن تفكري بطريقة سلبية أبداً، أنا أستطيع أن أتحدى الدنيا كلها طالما أرى ابتسامتك، دموعك تحطمني، أنا لا أستطيع أن أراها أمامي أبداً، أريد أن أرى ابتسامتك تنير الدنيا دائماً، ابتسامتك هذه هي منارة الضوء التي توجهني في حياتي، أنا لن أتخلي عن علاجك أبداً، يجب أن تكوني واثقة ومطمئنة، إيهاب زوجك

عندما يوعد يوفي، وأنت تعلمين هذا جيدًا، وأنا وعدتك أنك قريبًا جدًا ستعودين أحسن من السابق، أنا سأقلب الدنيا كلها رأسًا على عقب حتى أجد علاجك لا تقلقي أبدًا، هيا، هيا يا حبيبتي، أريد أن أرى ابتسامتك مرة أخرى».

ارتسمت ابتسامة على وجه دليلة ببطء شديد، فابتسم إيهاب لابتسامتها وأخذ يحدثها:

«نعم هكذا، ضحكك هذه فتحت الورد في الدنيا مرة أخرى، سوف أكملك باقي حكايتي مع قطتك يا محبوبتي، لقد أعددت لنفسى الغداء وقمت بتحضير الطعام لها، وبعد أن تناولت طعامها كله، ركضت علي سريعًا ومن ثم قفزت على يدي لتلتقط قطعة الدجاج من يدي وركضت هاربة».

جلس مدير المستشفى الاستثماري بغرفته وهو يعاين بعض الأوراق بين يديه باهتمام شديد، قاطعه صوت طرق على الباب فترك ما بيده وأمر الطارق بالدخول، ليظهر له من وراء الباب إيهاب حسن فصافحه، فبادله المدير المصافحة باهتمام شديد.

«السلام عليكم، كيف حالك يا دكتور مجدي».

« أهلاً، أهلاً، كيف حالك يا مهندس إيهاب؟ تفضل».

جلس إيهاب على المقعد أمامه:

«أنا آسف يا دكتور مجدي، أنا أعلم بأنني قد تأخرت عليك

قليلاً بالدفعة الجديدة، لكن خلال يومين إن شاء الله سوف أتسلم نهاية دفعتي في المشروع الذي أعمل عليه حالياً وسأقوم بتسليم النقود لك على الفور».

«لا، لا، أنا لا أريدك من أجل ذلك، أنا أريد أن أتحدث إليك عن حالة مدام دليلة بشكل عام، أنت تعلم بأن مرض مدام دليلة هذا مرض غامض ولم نكتشف له أي حالة مشابهة من قبل، ولولا أنه لم يصب بهذا المرض شخص غيرها خلال عامين، لكان صنف مرضها على أنه وباء عالمي جديد، ولكن لحسن الحظ أنه مرض فردي ولكن لسوء حظ مدام دليلة أنها هي الحالة الأولى في العالم لهذا المرض، لأننا لم نكتشف أي حالة مشابهة أو تشخيص واضح لمرضها نستطيع القياس عليه أي مرض آخر ونحاول علاجها من خلاله، نحن مثل شخص يبحث عن شيء ما في المحيط وهو لا يعلم ماهية الشيء الذي يبحث عنه من الأساس».

ظهرت ملامح الارتياح على وجه إيهاب.

«أنا أعلم كل هذه الأشياء منذ زمن يا دكتور مجدي، ولقد سمعته منك ومن غيرك طوال السنوات الماضية، ما الذي جد الآن، هل حضرتك لا ترغب بأن نكمل علاج دليلة بالمستشفى لديكم؟ إذا كان هذا هو الأمر فأنت في حل من الإحراج ولتخبرني بهذا وسوف أتصرف أنا على الفور».

لاحقه المدير سريعاً:

«لا، ليس هذا قصدي إطلاقاً، أنا سأقوم بشرح الأمر

بوضوح أكبر، حالة مدام دليلة طبيًا وبكل اختصار، حالة ميؤوسة، نحن نعالج شيئًا غامضًا ليس له ملامح، لا نحن أو غيرنا نستطيع مساعدتك، وبصراحة شديدة أنا أرى أن محاولة علاجها هو استنزاف لأموالك».

ظهر الضيق الشديد على وجهه إيهاب:

«أنا لا يهمني كل ذلك يا سيد مجدي، إن النقود هي آخر اهتماماتي، وإذا كنتم أنتم فقدتم الأمل أن تعالجوها أنا لم أفقد الأمل إطلاقًا، وأقوم بالبحث عن كل الطرق التقليدية والغير تقليدية لعلاجها».

«أسف جدًا يا إيهاب لو أزعجتك بحديثي، أنا أتحدث معك من منظور عائلي بحت، أنا صديق لعمك حامد رحمة الله عليه وأعتبر نفسي جزءًا من عائلتك».

«بالطبع، بالطبع يا دكتور مجدي، أنا أعلم قصدك جيدًا، لكن دليلة زوجتي ولا أستطيع أن يكون بمقدوري فعل شيء ولا أساعدها به».

«إذا كانت هذه رغبتك فيجب علي أن أخبرك بأن هناك حلًا آخر ظهر أمامنا، لقد تحدثت إلينا بالأسبوع الماضي، منظمة مكافحة الأمراض الأمريكية (CDC) وعرضوا علينا أن يقوموا بعلاج دليلة لديهم وتحت رعايتهم، لأنهم على حسب حديثهم يريدون أن يعلموا طبيعة هذا المرض الغامض، ومتى ظهر فجأة هكذا ويدرسوه جيدًا ويعلموا أعراضه لكي يكونوا جاهزين لعلاجها إذا ظهر بعد ذلك بأي مكان آخر، لا يريدون

أن يكرروا أخطاء وباء كورونا مرة أخرى».

إيهاب يداعب ذقنه بحيرة:

«سي دي سي، هذا أمر غريب، ما هو رأيك أنت يادكتور مجدي؟».

«أنا لا أستطيع أن أعطي لك رأيًا أو أقوم بمحاولة التأثير عليك، هذا قرار هام للغاية، يجب أن تتخذه أنت ولكن أنا سأخبرك ما أعتقد حتى تصبح الصورة واضحة لديك، مدام دليلة ستكون تحت رعايتهم الكاملة بالطبع، وسيقومون باستخدام أحدث المعدات والأدوية المتواجدة بالعالم، ولكن لأننا بصدد مرض غامض ومجهول فأنا أخبرك وبكل صراحة أنها سوف تتعامل معاملة فئران التجارب، سوف تخضع لعلاج من كافة الأنواع والأشكال لعل وعسى يكون لدى أحد تلك الأدوية رد فعل على المرض لو حتى بنسبة هامشية، سيكون انتصارًا كبيرًا لديهم في طريق علاج هذا المرض إذا تكرر مع أحد آخر فيما بعد، لكنها بكل تأكيد ستكون تجربة غير مريحة لمدام دليلة أبدًا، أنت أمام خيار من ثلاثة اختيارات، الأول أن تكف عن علاجها تمامًا وتعيشا حياتكما مع بعض حتى النهاية، أو تستمر في العلاج وساعتها تأخذ الخيار الثاني أن تستمر بالعلاج لدينا بالمستشفى، أو أن تأخذ الخيار الثالث، وتجعل السي دي سي تعالجها ولعل وعسى تكون أحد محاولاتهم ناجحة معها».

بدى على إيهاب الحيرة الشديدة، فقرأ الطبيب مجدي وجهه

فتحدث إليه من جديد:

«أنا أعلم جيدًا أنك ترغب بعلاج مدام دليلة، ولهذا يبدو عليك أنك في حيرة من أمرك، خذ وقتك وفكر جيدًا واعلم أن أي قرار سوف تتخذه سوف نؤازرك جميعًا به».

إيهاب استمع إليه وهو ممسك لرأسه محتارًا وأخذ يفكر بعمق.

مطار سيدني..

بداخل صالة انتظار المطار وقف الشاب أحمد هارون أمام المدخل ويبدو عليه أنه ينتظر شخصًا قادمًا.

خرج من المطار طارق الغنام، وهو كويتي الجنسية، في بداية الخمسينات جسده معتدل ومتناسق. يسحب حقيبة خلفه وابتسم حينما شاهد أحمد بانتظاره، فتحرك أحمد إليه مسرعًا وقام بمصافحته بحرارة شديدة.

«أهلاً، كيف حالك يا أنكل طارق، لقد أضاعت سيدني كلها بحضورك».

صافحه طارق بشده وحدثه بلهجة كويتية:

« حبيبي أحمد، هلا والله بالغالي وابن الغالي».

دفعه طارق برفق ب صدره معاتبًا:

«ألم أخبرك من قبل ألا تأتي لتنتظرنني بالمطار، أنا كنت

سأحضر لك بنفسى هذه لىست المرة الأولى التى أأضر بها
لسىدنى».

«هذا لا يصأ إطلاقاً، كيف تريد أن تأتى إلى سىدنى من
أألى آصيصاً ولا أكون بانتظارك».

ربت طارق على كتفه:

«أنت صأأ ذوق رفيع مثل والدك، آسنأ هيا بنا، أأبرنى
كيف آالك».

ترأل الاثنان وتآركا إلى أأأل سىارة أأرة كانت
بانتظارهم.

بأأأل السىارة ألس أحمد ساهقاً وآأقاً يشرد بفكره،
فلاأظ طارق هذا فتأأ إلىه:

«ها يا بطل، إيش أأبارك، وآأشنى وآىد وآالله».

«أنت أأمر وآالله يا أنكل طارق، لكن أنا أشعر بالآيق الشدىد
لأنك أرأمت على ترك كل أعمالك ومشاألك وسأفرت من
الكويت إلى أسترألىا من أأل موضوع شدىد التفأهة مثل
هذا، أنا لست طفلاً صأىزاً، أنا أستطىع أل هذا الأمر وأعتمد
على نفسى».

طارق مبتسماً:

«ومن الذى أأبرك بأنى أأىت من أأل موضوع عراكك مع

أصدقائك، هذه الأشياء فعلناها كثيرًا ونحن بمثل سنك وأكثر من هذا بكثير، لكن أنا أتيت إلى هنا مخصوص لأنني أعتبر نفسي مثل أبيك وأريد أن أطمئن عليك، ولكن يبدو عليك أنك لا تريد أن تكون بصحبة عجوز مثلي».

«لا، بالطبع هذا ليس مقصدي، أنا أزداد شرقًا بحضورك يا أنكل طارق، لكن أنا بصراحة شديدة لا أستطيع أن أمكث هنا بسيدني بعد ما حدث، أشعر دائمًا إذا رأيت أي شخص يتحدث فإنه يتحدث عني، عندما أشاهد شخصًا يضحك فأظن أنه يضحك على ما حدث لي، لم أكن أتوقع أبدًا أن أبقى بهذا الموقف، جلّ يومي بالمدرسة أقضيه يتم السخرية مني واتهامي بأني إرهابي وابن قاتل، تحرش وعنصرية من النوعية التي كنت أسمع عنها دائمًا لكن لم أتوقع أبدًا أن تحدث لي، أوقات كثيرة عندما أفكر منفردًا بنفسي، أتساءل هل يا ترى كلام الناس هذا صحيح، هل والدي بالفعل قتل أعضاء البعثة التي كانت بصحبته بعد ما اكتشفوا المدينة المفقودة هذه، هل والدي قد طمع في الذهب والآثار التي وجدوها هناك، هل من المعقول أن تكون الشرطة والإعلام وكل هؤلاء الأشخاص خاطئين وأنا فقط الذي على صواب، من الممكن جدًا أن يكونوا على حق وأنا من لم أعلم أبي جيدًا».

ظهرت الصدمة على وجه طارق، فعنفه معاتبًا:

«ما هذا الذي تقوله يا أحمد؟ لا تشكك في أبيك لحظة واحدة، والدك هذا صديقي من قبل أن تولد أنت ولم أرَ بعمرى

منه شيئًا سيئًا، لا تدع أبدًا كلام الناس يؤثر بك وتشك ولو بلحظة في هارون يحيى، شخصية من أنبل الناس التي صاحبته بحياتي، أبوك من النوع الذي لا يهتز أبدًا من بريق الذهب أو رائحة النقود، أنا وهو خضنا عشرات الرحلات مع بعضنا البعض، وزرنا معظم أنحاء العالم، لم أره ولو لمرة واحدة يفكر أن يمد يده على شيء لا يخصه أو يفعل شيئًا حرامًا، يجب أن تكون كل ثقتك بأبيك يا أحمد، لو كل الناس ارتابت في أبيك حتى أنا نفسي، يجب أن أنت تكون واثقًا في الرجل الذي رباك وعلمك».

ظهرت ملامح الارتياح على وجه أحمد وعلت ابتسامة السرور على فمه:

«أنت لا تعلم ما مدى فرحتي بكلامك يا أنكل طارق، أنا بالفعل سعيد للغاية أنك لم تستمع إلي وحضرت إلي هنا، أنا لا أعلم ماذا كنت سأفعل إذا لم أجذك بجواري وقمت بتشجيعي بحديثك هذا».

طارق ربت على كتفه مبتسماً:

«لا تخف يا أحمد، أنا للأسف بحثت كثيرًا عن والدك وعن سبب اختفائه الغامض هذا، لكن لم أجد أي خيط يوصلني إليه لكن لن أياس، ولن أتركك إلا عندما تجتمع بوالدك من جديد».

أخرج طارق هاتفه المحمول سريعًا:

«انتظر، هيا نأخذ صورة سيلفي مع بعضنا البعض وسوف

أقوم برفعها على صفحتي الشخصية».

وضع طارق الهاتف فوق رأسه وتصنع علامة النصر هو وأحمد والتقطا صورة معًا.

نظر الاثنان للهاتف وضحك طارق على صورته:

«انظر، أذني تظهر كبيرة والله، لا أعلم لماذا تظهر أذني كبيرة في الصور دائمًا».

تبسم أحمد وهو ينظر للصورة:

«أنا أراها عادية للغاية، ليست كبيرة صدقني».

«حسنًا إذا رأيته عادية فسوف أصدقك، بمناسبة الصور صحيح، هل عندك علم أن بداية اختراع الكاميرا كانت بسبب تصميم شخص عربي مسلم».

تظهر علامة الاندهاش على وجه أحمد:

«ماذا؟ هل هذا صحيح، إنه أمر غير معقول!».

«لا معقول وزيادة، إنه العالم العربي الحسن بن الهيثم، سوف أخبرك بقصته كاملة ونحن بطريقنا للمنزل».

(الحسن بن الهيثم)

يدين العالم فيما توصل إليه العلم في التصوير وجميع ما يترتب عليه من صور شخصية وعملية وأفلام ومسلسلات ترفيهية وعلمية وخلافه، للعالم المسلم الحسن بن الهيثم

البصري، فقد ولد الحسن بن الهيثم عام 340 هـ الموافق 965 م. بمدينة البصرة بالعراق، ومنها تكنى باسمه الحسن البصري، وتوفي بالقاهرة بمصر عام 430 هـ الموافق 1040 م بعد أن قضى وقتًا طويلًا جدًا بمصر منارة العلم والعلماء بذلك الزمن. كان عالمًا موسوعيًا قدم إسهامات كبيرة في الرياضيات والبصريات والفيزياء وعلم الفلك والهندسة وطب العيون. أبدع حسن البصري في الكثير من العلوم ولكن أكثرها وأشهرها إفادة للبشرية كانت دراساته وكتاباته عن البصريات وعلاقتها بالضوء، فهو أول من شَرَحَ العين تشريحًا كاملاً ووضح وظائف أعضائها، وهو أول من درس التأثيرات والعوامل النفسية للإبصار. كما أورد كتابه «المناظر» معادلة من الدرجة الرابعة حول انعكاس الضوء على المرايا الكروية، ما زالت تعرف باسم «مسألة ابن الهيثم»، وخلال دراسته توصل إلى مبادئ عمل وتأثير الضوء على العين وعلى الأشياء حيث كان يعتقد بالماضي أنَّ أعيننا تُخرج أشعة مثل الليزر تجعلنا قادرين على الرؤية، لكن أول شخص لاحظ أن الضوء يدخل إلى العين ولا يخرج منها كان الحسن بن الهيثم؛ اكتشف أنَّ الإبصار يحدث بسبب سقوط الأشعة من الضوء على الجسم المرئي مما يمكن العين أن تراه، ولكنَّ العين لا تخرج أشعة من نفسها، وإلا كيف لا ترى العين في الظلام؟ كانت أحد تجارب الحسن بن الهيثم العبقرية «القمرة».

و«القمرة» دي بالمعني الحرفي وتعني الغرفة المظلمة وبها ثقب صغير، حيث لاحظ بن الهيثم عندما كان موجودًا بغرفة

مغلقة حالة الظلمة تسفل ضوء صغير من خارج العرفة
انعكس بصورة مقلوبة لشجرة خارج تلك الغرفة. وتلك كانت
بداية تسجيله لعدد كبير من قوانين الضوء، لذلك تم اشتقاق
اسم الكاميرا، من (الغرفة المظلمة) مع العلم بأن مصطلح
(الكاميرا) ظهر حينما تمت ترجمة كتب ابن الهيثم إلى اللغة
اللاتينية، وتمت ترجمة المصطلح الذي وصف به ابن الهيثم
تلك الحالة التي سجلها بدقة، وقال عنها إنها (القمرة) والتي
كان يعني بها ابن الهيثم الغرفة المعتمدة ذات الثقب الواحد أو
النافذة الواحدة، وهي التي أصبحت الكاميرا فيما بعد. وعلى
تلك المبادئ التي اكتشفها الحسن بن الهيثم تطورت الأبحاث
حتى وصلنا إلى شكل الكاميرات والصور التي نحن عليها
الآن.

وهذه هي حكاية القمر أو ما تسمى بالكاميرا في هذا
الوقت.



صورة توضيحية لغرفة القمر.

الزمان.. مساء اليوم.

المكان.. بداخل شركة «سيكر- Seeker» الخاصة بحازم منصور.

جلست حياة السكرتيرة بمكتبها تنظر إلى شاشة الحاسب أمامها بعبوس وهي تحتسي مشروب النسكافية باستمتاع شديد، وهي فتاة في منتصف العشرينات بيضاء ومتوسطة الجمال ترتدي الحجاب وملابس بيضاء واسعة فضفاضة.

يدخل إيهاب من باب المكتبة فيجدها أمامه عابسة تنظر بغضب إلى الحاسب أمامها، فيلقي عليها تحية سريعًا.

«مساء الخير، كيف حالك يا حياة؟».

حياة تتنهد وتحدثه سريعًا:

«أهلاً يا أستاذ إيهاب».

إيهاب يشير إلى باب المكتب أمامه:

«هل حازم بالداخل؟».

حياة بضيق:

«نعم يا سيدي، إنه بالداخل، أين تعتقد أنه سيذهب، هل

سيطير؟!»

شعر إيهاب بالاندهاش من رد فعلها:

«من الواضح أن حازم قد جعلك تشعرين بالضيق من أمر

ما».

بغضب شديد:

«هل ضايقتني أنا فقط؟! حازم هذا لا يوجد شخص يطيقه،

أنا لا أعلم كيف ما زلت تصادق هذا الشخص حتى الآن».

يستمع الاثنان إلى صوت حازم من الداخل:

«أنا أسمعك، أنا أسمعك جيدًا يا حياة».

تصرخ عليه بضيق:

«أعلم أنك تسمعني جيدًا».

صوت حازم من داخل مكتبه:

«اتركها، اتركها يا إيهاب وادخل هيا».

تصرخ بوجه إيهاب وهي تشيح بيدها إليه:

«ألم تسمعه، ادخل».

إيهاب يبتلع ريقه وهو قلق:

«حسنًا سوف أدخل، عن إذنك».

تشير إليه حياة بيدها إليه بلا مبالة وهو يتحرك للداخل.

دخل إيهاب إلى مكتب حازم واتجه إلى مقعده أمامه
سريعًا:

أنا أريد أن أسألك سؤالًا واحدًا فقط وتجب عليه بمنتهى
الصراحة:

(بضيق):

«اسأل، اسأل أيها الفضولي».

«أخبرني بصراحة وأوعدك بألا أشعر بالضيق أنك لم
تخبرني من قبل، هل أنت متزوج أنت وحياة بالسردون أن
نعلم؟».

بضيق:

«متزوج؟! بعقلك أنت، إذا أردت الزواج هل سأخفي الأمر
على صديقي المقرب؟!»

إيهاب يشير إلى جهة الباب خلفه بيده:

«أتريد أن تقنعني بأنكم تتعاملون هكذا فيما بينكم وأنتم لستم متزوجين!».

حازم ينظر إلى جهة الباب بقلق:

«اخفض صوتك، اخفض صوتك حتى لا تسمعنا، لا يا صديقي، أنا لن أتزوج حياة ولن أتزوج غيرها، أنا غير متفرغ للزواج من الأصل، أنت ترى بنفسك أنا طوال اليوم هنا أقابل عملاء، يا إما أتواجد في الشوارع أركض يمينًا ويسارًا حتى أستطيع الوصول لأي معلومة تفيدني في حل قضاياي».

إيهاب بصوت منخفض:

«إذا لماذا تعاملك هكذا؟ كأنك أنت من تعمل لديها وليس العكس؟».

بضيق:

«ما الذي تقوله أيها الأحق، أنت لم تصل إليك الصورة كاملة، سوف أفهمك موضوع حياة هذا بالتفصيل، حياة فتاة متقلبة ومزاجية ولكنها تمتلك مهارات في الحاسب الآلي والبحث والتعامل مع العملاء لم أر له مثيلًا من قبل، وهي تعلم جيدًا أنها لو تركت العمل لدي فستجد مليون شركة أفضل مني بمراحل، وعلى الرغم من هذا وكل العروض التي تأتي لها بشكل يومي لكنها ما زالت تحبذ العمل معي، ومن أجل هذا هي تأخذ راحتها بمعاملتي قليلًا، وأنا أتركها تفعل ما تريد حتى لا تتركني ولا أجد أحدًا يمتلك حتى ربع مهارتها».

إيهاب ابتسم ساخرًا:

«إذا حياة تركت العمل لديها أشخاص أفضل منك مليون مرة، وتعمل معك رغم وجود البديل وهي تستحمل مشاكلك وأنانيتك المفرطة، وكل هذا لا يوحى إليك بشيء ما؟».

حازم مستغربًا:

«يوحي إلي بماذا، أنا لا أفهم ماذا تعني؟».

إيهاب يضحك بسخرية:

«لا، لا شيء، دعنا نتحدث عن المهم، لقد أتيت إليك اليوم لأخذ رأيك في شيء هام».

وقف حازم سريعًا من مكانه»

«إذا كنا سنتحدث سريعًا، دعنا ننصرف من هنا ونتحدث كما نريد بالمنزل، أنا ظهري يؤلمني من جلسة المكتب طوال اليوم».

وقف إيهاب من مكانه هو أيضًا:

«حسنًا هيا بنا، وسوف أقوم بدعوتك على العشاء اليوم».

حازم عدل هندامه وهو يبتسم لإيهاب:

«أنت شاب لم تنجبه النساء ولا الرجال أيضًا».

إيهاب يشيح بيده بضيق وهو يتحرك أمامه:

«هيا نغادر، بكلامك هذا الذي لا أعلم هل هو مدح أو ذم

لي».

بمنزل طارق الغنام المستأجر بسيدني، كانت أصوات الصياح والحماسة تتعالى من أفواه أحمد وطارق الغنام وهما يلعبان، كرة القدم على جهاز البلي ستشين الخاص بهما، كان طارق يحاول أن يختلس الأنظار ليد أحمد وهو يحاول تسديد ضربة جزاء على المرمى، فلاحظ أحمد محاولاته فقام بالضحك والصراخ عليه بأنه يغش وقام بمحاولة إخفاء الذراع بيده وقام بالتسديد، فدخلت الكرة المرمى فصرخ أحمد فرحاً وقفز من مكانه وهو يضرب صدره متفاخراً بينما يراقبه طارق فاستغل فرحته وقام باللعب سريعاً فصرخ عليه أحمد وهو يصيح بأنه يغش من جديد ومن ثم عاد إلى مقعده يلعب من جديد بتركيز شديد.

رن جرس الباب فجأة، فذهب الخادم لفتحه ومن ثم عاد إلى داخل المنزل وهو يحمل بيده ظرف صغير.

توقف طارق وأحمد عن اللعب وهما يشاهدان الخادم يعطي لهما الظرف وهو يتحدث بالإنجليزية:

«لقد أحضر شخص ما هذه الرسالة للسيد الشاب».

مسك أحمد الظرف ومزقه فوجد رسالة وصورة بداخله، نظر أحمد للرسالة بدهشة وصدمة شديدة أثارت فضول طارق فسأله سريعاً:

«ما المكتوب في الرسالة يا أحمد؟».

أعطى أحمد الرسالة لطارق فتفحصها بعيونه بسرعة فوجد نص الرسالة «إذا أردت أن تجد هارون يحيى يجب أن تبحث عن هذا الرجل الذي بالصورة».

طارق ظل يقرأ الرسالة وأحمد أخذ ينظر إلى الصورة بتمعن شديد، فتحدث إليه طارق:

«من يا ترى الذي أرسل هذه الرسالة؟».

أحمد أعطى له الصورة وهو ينظر إليه حائرًا:

«لا أعلم، هل تعتقد أنه أبي؟».

طارق نظر إلى الصورة التي بيده:

«ليس لدي فكرة، لكن أكيد سوف نتحصل على بعض المعلومات من صاحب هذه الصورة، خاصة أن عنوانه مكتوب وراءها، يجب علينا أن نسافر إلى مصر على الفور».

تحرك طارق وأحمد منصرفين وتركوا الصورة على المنضدة أمامهما، والتي ظهر بها بوضوح شديد أنها صورة حازم منصور.

حازم جلس بجوار إيهاب الذي وضع يده على مقود سيارته وهما يتحدثان أمام مبنى سكني بمكان هادئ.

تطلع حازم إلى وجه إيهاب وهو يداعب ذقنه ويفكر بعمق:

«سي دي سي، اممم، الموضوع مغري بالتأكيد، لكن دليلة زوجتك في حالة الآن لا تستطيع بها أن تتكلم أو تعبر عن نفسها نهائياً، ويعني هذا لو تعرضت لأي مضايقات وهي تحت عنايتهم لن تستطيع أن تخبرك».

إيهاب بضيق شديد:

«وهذا هو أكثر ما يثير خوفي، دليلة تتعذب بالفعل الآن بسبب مرضها وليست بحمل عذاب آخر، ولكن عندما أفكر بأن أصرف نظري عن تلك الفكرة، فكري يخبرني بأن هؤلاء أطباء متقدمون ولديهم تكنولوجيا حديثة غير متواجدة بالعالم ومن الممكن بالفعل أن تعالج دليلة على أيديهم، عقلي يكاد ينفجر من كثرة التفكير يا حازم ولا أدري ماذا أفعل».

يتنهد حازم بعمق:

«أنا لا أعلم ماذا أخبرك يا صديقي، أنت بمعضلة كبيرة، هذا قرار صعب ومهم بنفس الوقت، يجب عليك أنت فقط أن تتخذه، لو كان الأمر بيدي بأن أساعدك كنت سأفعلها بدون تفكير ولكن ليس بيدي فعل شيء أنت تعلم».

إيهاب أوماً برأسه متفهماً:

«أعلم، أعلم يا حازم، لا تشغل بالك أنت بالأمر، فلتذهب إلى منزلك، والله يدبر أمرنا لما فيه الخير لنا».

«اصعد معي يا صديقي، هيا نصعد معاً نتحدث قليلاً لكي نخرجك من حالة التفكير تلك قليلاً ونستعيد ذكريات الطفولة

والشقاوة معًا من جديد».

حازم بضيق شديد:

«للأسف يا حازم، لست بحالة تسمح بهذا الآن، لنحاول أن نعوضها في وقت آخر إن شاء الله».

يتحرك حازم خارج السيارة:

«حسنًا يا صديقي، عندما تصل المنزل اتصل بي لكي أطمئن على وصولك بالسلامة».

أوما إيهاب برأسه له وانتظره يدخل إلى البناية ومن ثم ابتعد مغادرًا بسيارته.

صعد حازم سريعًا درجات السلم حتى وصل إلى الطابق الثالث ووقف أمام باب شقته، وهنا لاحظ صندوقًا كرتونيًا صغيرًا مربع الشكل مغلقًا على شكل هدية، تقدم جهة الصندوق والتقطه في الحال بيده وأخذ يقلب به بين أنامله مستغربيًا.

«ما هذا، أترك هدية مرسلة لي، من أرسلها ياترى؟».

رفع الصندوق إلى جانب أذنه قام بتحريكها عدة مرات وأخذ يحث نفسه مستغربيًا.

«لا تخرج أي صوت، هل هي فارغة أم ماذا؟!»

فتح باب شقته سريعًا ودلف إلى الداخل «سوف نرى ما هي

تلك الهدية بالداخل على راحتنا».

تحرك سريعًا جهة غرفة المعيشة ووضع الصندوق على منضدة أمام الأريكة ودلف إلى الحمام لعدة دقائق وبعد انتهى ذهب إلى المطبخ وفتح ثلاجته وأخرج منها زجاجة مياه غازية ومن ثم عاد ليجلس على الأريكة ووضع قدميه على المنضدة وألقى برأسه للخلف وهو ينظر للصندوق أمامه وهو يرتشف من الزجاجة باستمتاع.

«من يا ترى أرسل هذه الهدية لي، ولماذا تركها أمام باب منزلي، لماذا لم يعطها لي وجهًا لوجه؟ هل من الممكن أن تكون حياة من أرسلتها؟ لا أعتقد هذا فلم يحل موعد ميلادي حتى الآن وهي بالتأكيد كانت ستعطيني الهدية بنفسها مثل كل مرة، أيمن أن يكون إيهاب؟ لا، لقد كنت معه منذ قليل وهو أيضًا ليس بحالة تجعله يفكر بإرسال هدية أو خلافه، يكفي ما ألم به».

رشف من زجاجة المياه الغازية مرة أخرى «إذا من الذي أرسلها ياترى؟ لماذا أفكر كثيرًا، هيا نفتحها ونرى ما بداخلها».

وضع المياه الغازية على المنضدة والتقط الصندوق بلهفة، ومزق الكارتون الذي يحيط به، فوجد كيسًا أبيض صغيرًا مع الصندوق، فنظر له سريعًا ومن ثم تركه على المنضدة، ثم نظر بداخل الصندوق فوجد علبة قطيفة بيضاء اللون، ففتحتها فوجد خاتمًا بداخلها فتحدث إلى نفسه ضاحكًا «خاتم بداخل علبة قطيفة، هل يرغب أحد في خطبتي أم ماذا؟».

وعلى الفور التقط الخاتم من العلبة وأخذ يتفحصه بعناية، ليرى أمامه خاتمًا فضيًا قيمًا للغاية مكتوب على جوانبه بالعربية ومزخرف بشكل أنيق، قرأ الكتابة العربية الموجودة على الخاتم فوجد مكتوب عليها كلمة «الجائم».

انبهر حازم بجودة وصناعة وشكل الخاتم وأخذ يحدث نفسه وهو يقلبه بيده:

«أوووه، ما هذا الجمال، خاتم فضة رائع، عليه كتابة وزخرفة عربية، يبدو على الخاتم أنه قديم للغاية، يبدو أنه خاتم أثري، مكتوب عليه الجائم!! ما هذا الاسم؟ إنه غريب للغاية، الجائم، ماذا يعني؟».

وضع حازم الخاتم بإصبع البنصر بيده اليمنى وهو ينظر له بيده وهو سعيد للغاية «يا الله، ما هذا الجمال، إن منظره رائع بيدي، حسنا رأينا الخاتم، هيا بنا نلقي نظره على محتويات الكيس الذي كان معه».

التقط الكيس على الفور وفتحه وأفرغ محتوياته على المنضدة أمامه، فظهر أمامه عدة أرقام بحجم صغير بالإنجليزية، عددهم أحد عشر رقمًا، يبدأون بالصفري وينتهون برقم 9 ولهم سبعة ألوان مختلفة، أحمر وأصفر وبرتقالي وأخضر وأزرق وبنفسجي ونيلي، ومنهم ثلاثة أرقام بلون بنفسجي برقم 7.

داعب ذقنه بحيرة وهو ينظر للأرقام أمامه «ما هذا؟ أرقام ملونة، ما هذه الأرقام؟ يبدو أن تلك الهدية مرسلة لشخص

آخر وليست لي، يجب أن أعيد كل شيء بمكانه وأنتظر من أرسلها ليأخذها من جديد فيبدو أنها أتت لي بالخطأ».

وضع الأرقام بداخل الكيس من جديد، وقام بمحاولة نزع الخاتم من يده، فشعر حازم فجأة بأن الخاتم يضيق على إصبعه بشده ومن ثم شعر بشيء يخترق جلد إصبعه بسرعة، وهنا شعر بألم شديد يجتاح إصبعه كلما حاول أن يخرج الخاتم من يده ويتوقف الألم عندما يكف عن المحاولة، كرر هذا الأمر أكثر من مرة ونفس النتيجة يشعر بألم شديد عند محاولة نزع الخاتم ويزول الألم عندما يتركه بيده، فصرخ بغضب شديد وهو ينظر ليده «ما الأمر مع هذا الخاتم الملعون، عندما أحاول أن أنزعه يكاد يمزق يدي».

شعر بالحيرة من هذا الأمر فقام بالتفتيش بداخل العلبة ربما يجد شيئًا يساعده على فهم ما يجري فلم يجد أي شيء آخر فزداد حيرة.

«لا يوجد هنا سوى الأرقام، أرقام!! هل من الممكن أن يكون هناك لغز أو تلميح بهذه الأرقام».

قام حازم بوضع الأرقام أمامه على المنضدة وافترشها وظل ينظر إليها وهو يفكر بعمق «يبدو أنه بالفعل لغز أو مقلب قد صنعه شخص لي ويجب أن أحله لكي أنزع هذا الخاتم».

ظل يداعب ذقنه وهو ينظر للأرقام أمامه والتي كانت مكونة من أحد عشر رقمًا ملوّنًا، منهم ثلاثة أرقام مكررة برقم

7، حرك الأرقام بيده وهو يتحدث إلى نفسه مفكرًا:

«اممم، أرقام، ولغز، أنا أكره الأرقام والألغاز معًا، ماذا أفعل الآن، يجب أن أفكر جيدًا، أرقام ملونة، وهناك ثلاثة أرقام بلون واحد، هل هذه الأرقام لها علاقة بالألوان، اممم سبعة ألوان، و11 رقمًا، ما هو الرابط بينهم، اممم، حسنًا ما هي الأرقام التي نستخدمها مكونة من أحد عشر رقم، فرق كرة القدم، ماذا أيضًا، وأرقام الهواتف، نعم لقد فهمت أخيرًا، تلك الأرقام رقم هاتف، هذا هو الحل المنطقي!».

قام بترتيب الأرقام بسرعة بطريقة عشوائية بأصابعه.

«حسنًا هذا رقم هاتف، كيف أقوم بترتيبه ترتيبًا صحيحًا، لو ظلت أرتبه بطريقة عشوائية سأظل هكذا للعام القادم، يوجد احتمالات لانتهائية لتلك الأرقام العشوائية، بالتأكيد هذا اللغز له مرحلة تالية للحل، ما هو يا ترى؟

الألوان!!

هناك سبعة ألوان، منهم لون متكرر ثلاث مرات، سبعة ألوان. سبعة ألوان، ما هو الذي يجمع سبعة ألوان معًا، ماذا يا ترى، فكريا حازم، سبعة ألوان».

فجأة يلوح بيده فرحًا:

«وجدتها! إنها ألوان الطيف السبعة، نعم هذا صحيح، تلك ألوان الطيف السبعة أمامي، أحمر وأصفر وأزرق وأخضر وبنفسجي ولون أزرق مرة أخرى وبرتقالي، ما هو ترتيبهم

مرة أخرى، ماهذا، لقد نسيت ترتيبهم، آخر مرة كنت أحفظهم عندما كنت بالمرحلة الابتدائية، حسنًا سوف أبحث عن ترتيبهم على الإنترنت».

وعلى الفور أمسك هاتفه للحظات وهو يحدث نفسه «ألوان الطيف، ألوان الطيف، ألوان الطيف، ها هم وجدتهم، ترتيبهم أحمر، برتقالي، أصفر، أخضر، أزرق، نيلي، ما اللون النيلي هذا؟! هؤلاء العلماء يطلقون بعض الأسماء الغريبة للغاية، وأخيرًا اللون المحبب إلى نفسي البنفسجي».

وضع هاتفه مكانه وعاد للأرقام وأخذ يرتبهم من جديد وهو يحدث نفسه:

«رائع، رائع لقد قمت بترتيبهم ونتج عن هذا رقم صحيح آخره 777 لهذا كان كلهم لونهم بنفسجي، من هذا العبقرى الذي صنع هذا اللغز، لكن هيهات، أنا حازم منصور، لا يوجد لغز يستعصي أمامي أبدًا والحمد لله. أتمنى من الله أن يكون هذا الرقم صحيحًا ولا يذهب كل جهدي هذا هباءً.

قام حازم بالاتصال على الرقم الذي استنتجه من اللغز وأخذ يبدو على ملامحه معالم القلق والترقب، وعلى الفور سمع صوت شخص يتحدث إليه من الهاتف:

«ألووو».

دلف إلى أذن حازم صوت المتحدث على الهاتف وكان يتحدث بنبرة هادئة ورخيمة، ف شعر حازم بالقلق والتوتر وظهر هذا جليًا في صوته وهو يحدثه:

«ألووو، أ، مساء الخير، أنا».

استمع إلى الصوت الرجل يضحك بقوة:

«حازم!! كيف حالك، من الواضح أن هديتي قد وصلت إليك واستطعت حل اللغز بسهولة، كنت أعتقد بأنك سوف تأخذ وقتًا أكثر من هذا بكثير».

حازم مندهشًا:

«يبدو عليك أنك تعرفني جيدًا، من أنت؟».

الرجل أجابه بصوت قوي وسريع وقاطع:

«أنا القائم مقام».

مستغربًا:

«قائم ماذا؟!»

ضحك الرجل بقوة:

«القائم مقام، أنا أعلم أن اسمي سيكون غريبًا عليك بالبداية، ولكن أوعدك أنك لا تنساه بعد ذلك أبدًا، ها طمئني، هل ارتديت خاتم الجاثم أم لا؟».

حازم يتحسس الخاتم بإصبعه:

«ما هو الجاثم هذا؟ ولماذا أرسلته لي؟ ولماذا لا أستطيع أن أنزعه من يدي، هل وضعت الغراء به أم ماذا؟».

ضحك القائم قام بشدة:

«يبدو عليك أنك خفيف الظل، بما أنك ارتديت خاتم الجاثم فلك عندي خبران، أحدهما جيدًا والآخر سيئًا».

يبدو الارتباك على وجه حازم وظهر هذا بنبرة صوته:

«خبران؟ من أنت؟ ماذا يحدث؟ أنا لا أفهم أي شيء».

«سوف تفهم كل شيء عندما أخبرك بمضمون الخبرين حالًا؛ الخبر الأول واسمعي جيدًا به ولا تقاطعني نهائيًا، إن الخاتم الجاثم هذا لا ينزع من يد أي شخص يرتديه أبدًا، إنه مصمم في الأساس للمحكوم عليهم بالإعدام، خمسة وأربعون يومًا بالضبط منذ أن يضعه أي شخص في يده، يخرق جسده بالحال سم نادر ينتشر ببطء شديد جدًا في الجسد، ويتم دورته كاملة خلال 45 يومًا ويصل للقلب وحينها يموت الشخص في التو والحال وبألم شديد لا يوصف».

شعر حازم بالحال بصدمة شديدة، صدمة أفقدته النطق أو التعبير حتى بتلك اللحظة:

«ما، ي، أنت، ماذا تقول، يا نهار أسود، أنت تهذي بالتأكيد».

تابع القائم مقام حديثه إليه:

«اهدأ قليلًا واستمع لي للنهاية، سوف أجيبك على كل أسئلتك في الحال، لقد علمت الآن أنه تبقى لك 45 يومًا حتى تودع هذه الدنيا، ولو كنت لا تصدقني، الأمر سهل للغاية، سوف تذهب غدًا وقوم بتحليل دمائك وسيظهر لك بكل وضوح نوع السم بجسدك ولكنك لن تجد له المصل

أبدًا، ولكن لا تقلق الدنيا ليست سوداء بالكامل أمامك، سوف أخبرك الخبر الثاني الذي سيجعلك سعيدًا، بالفعل الخاتم لا تستطيع أن تخلعه من يدك أبدًا، حتى لو قطعت يدك، سيظل مفعول السم في الجسد وسوف تموت أيضًا وخلال 45 يومًا، الحل الوحيد هو أنك تخلع الخاتم من يدك في مكان معين مخصص لذلك، اسمه «المنتزعة» سوف أخبرك مكانه بالضبط وتستطيع أن تخلع من خلاله الخاتم، لكن بشرط واحد فقط».

حازم متلهفًا:

«ما هو شرطك، أخبرني سريعًا».

«سوف تبحث عن كتاب ضائع وأبحث عنه منذ زمن، اسمه «كتاب الكنوز» قبل أن تنتهي الخمسة وأربعون يومًا وينتشر السم إلى قلبك، يجب أن تجد «كتاب الكنوز»، وسوف أخبرك عن مكان المنتزعة ونفρχ ونهيص كلنا ونطير على عش الهناء».

حازم مصدومًا:

«كتاب كنوز ماذا، هذا الأمر برمته ليس لي علاقة به، لماذا فعلت معي هكذا؟! هل قمت بأذيتك بأي شيء من قبل لتفعل هذا معي؟!»

«من السهل أن تجلس تندب حظك وتلطم خدودك وتشكي حالك خلال 45 يومًا ومن ثم تموت، ومن الأسهل أن تفعل ما تبرع به وتجد ما أبحث عنه، أليس هذا عملك، أن تجد الأشياء المفقودة، وأنا أوعدك حينها بأنني سأكافئك بمبلغ لم

تحلم به طول عمرك».

بخيبة أمل شديدة:

«لا إله إلا الله، أخبرني عن كتاب الكنوز هذا، أنا لم أسمع عنه طوال حياتي، فقدته متى وأين وكيف؟».

«أحسنت القول، هكذا يكون الرجال، تسأل أسئلة عملية بدلًا من أن تضيع وقتك بالبكاء والنواح، أنا لن أجعلك تفقد وقتك المتبقي الثمين بأمور ليس لها فائدة، كتاب الكنوز كان بصحبة شخص ما قبل أن يختفي فجأة هو والكتاب معًا، ولكن لا تقلق سوف أجعل كل التفاصيل عن هذا الرجل تظهر أمام باب منزلك قريبًا جدًا، وعندما تعلم من هو أريدك أن تتبع مكانه حتى تصل إليه وتأتي لي بالكتاب منه».

حازم بضيق شديد:

«كيف ستجعله يظهر أمامي، أنا، أنا لا أفهم شيئًا ولكن يبدو أنك قمت بالتخطيط للأمر جيدًا، أخبرني إذا استطعت الوصول إلى هذا الكتاب، كيف سوف أتواصل معك بالتأكيد ليس عن طريق هذا الهاتف، أنت لن تفعل خطأ مثل هذا».

«لا تقلق، نحن سنتقابل وجهًا لوجه قريبًا جدًا، فأنا لست عدوك بل نحن نتعاون سويًا للوصول للكتاب، وأنا أثق كل الثقة أنك لن تحاول أن تغضب الشخص الوحيد الذي من الممكن أن ينقذ حياتك، أستودعك الآن، ولنا لقاء قريب يا أغلى حبيب».

الخط انقطع فجأة، فصرخ حازم بغضب:

«ألوو، ألوو».

ألقى الهاتف جانبه بغضب شديد «ما تلك المصيبة، كتاب كنوز ماذا، وقائم زفت على رأسه، ما هذه المصيبة التي وقعت بها يا ربي!».

حاول حازم أن ينزع الخاتم من يده فلم يستطع وظل يتألم بشدة، فصرخ غاضبًا وهب واقفًا من على الأريكة وهو يحطم المنضدة أمامه بقدمه وقام بتحطيم الأثاث حوله وهو يحاول أن ينفث غضبه بكل شيء يحيط به.

الزمان.. قبل ثلاثة أيام.

المكان.. مكان منزو بمنطقة أثرية إسلامية قديمة.

بغرفة واسعة شاسعة، تضم تجمعًا كبيرًا من الأشخاص يتمايلون ويطربون على صوت أحدهم يصدح بأبيات الذكر لأبو النواس:

«إليك إله الخلق أرفع رغبتى وإن كنت يا ذا المن والجود مجرمًا، ولما قسا قلبي وضافت مذاهبي جعلت الرجا مني لعفوك سلقًا، تعاظمني ذنبي، فلما قرنته بعفوك ربي، كان عفوك أعظمًا وما زلت ذا عفو عن الذنب، لم تزل تجود وتعفو منة وتكرما».

يتوسط الرجال شخص عجوز هرم يجلس على أريكة

مرتفعة عنهم، يميل رأسه يمينًا ويسارًا ويبدو من هيئته أنه كبيرهم.

يتابع المنشد مدحه ويطرب السامعون بصوته الرخيم.

«ولولاك ما يقوى إبليس عابد وكيف وقد أغوى صفيك
آداما، فإن تعف عني تعف عن تمرّد ظلوم غشوم لا يزايل
مائما، وإن تنتقم مني فلست بآيس ولو أدخلت نفسي بجرمي
جهنما، فجرمي عظيم من قديم وحادث وعفوك يأتي العبد
أعلى وأجسما، تعاظمني ذنبي، فأقبلت خاشعًا ولولا الرضا
ما كنت يارب منعقًا، حولي فضل الله من كل جانب ونور من
الرحمن يفترش السما».

المنشد يستكمل إنشاده، بينما يقطع الجلسة شاب يتقدم
بسرعة ومعه ظرف بيده، ويميل على كبيرهم ويحدثه بلهفة:
«سيدي، لقد أتينا بنسخة من الرسالة التي أتت لابن المجرم
هارون يحيى».

يعتدل الرجل بجلسته، ويمسك الظرف ويخرج ما به من
صورة لحازم ومكتوب عليها عنوانه خلفها، فينظر الرجل إلى
صورة حازم بتمعن شديد ويتحدث إلى الشاب:

«هذه نسخة طبق الأصل من التي أتت لابن المجرم هارون،
جيد جدًا يا رجال، حازم منصور».

يعطي الرجل الصورة إلى الشاب وهو يتحدث إليه من
جديد:

«أرسل الفرزدق خلف هذا الرجل».

الشاب يظهر على وجه الفزع:

«نرسل الفرزدق!».

الزعيم مبتسماً إليه:

«أرسل الفرزدق».

الشاب يومئ له برأسه مطيقاً. ومن ثم ينصرف مسرعاً:

«أمرك يا سيدي».

المنشد ما زال يستمر بإنشاده والرجال يتمايلون حول

زعيمهم الذي حدث نفسه مبتسماً وهو يضرب على صدره:

«حازم منصور، يبدو أنه يصاحبك سوء الحظ، ف «القطب

الجاحظ» بنفسه سوف يرحب بك».

شارع المعز لدين الله الفاطمي أو الشارع الأعظم أو
قصة القاهرة كما يطلق عليه، هو شارع يمثل قلب مدينة
القاهرة القديمة والذي تم تطويره لكي يكون متحفاً مفتوحاً
للعامة والآثار الإسلامية، فأصبح يمتلئ بالمارة ويكتظ
بمحبى العمارة وتنوعت بداخله الندوات والحفلات الثقافية
والتاريخية التي يحتضنها، ووسط كل هؤلاء الحضور كان
فاروق الشاب العشريني وخطيبته هنية يمشون على تريت،
وكانت هنية تحمل عددًا من الكتب بيديها وبجوارها فاروق
يحمل عدد من الكتب هو الآخر، فنظر إلى الكتب التي يحملها
بيده بتأفف وهم يعبرون أحد الشوارع المتفرعة لشارع آخر:
«لقد أحضرتني إلى هنا على عجلة وجعلتني أترك عملي في
منتصفه من أجل أن نحضر لك كتبًا، ألا يكفيك تلك الكتب
التي معك يا هنية».

رفعت هنية الكتب التي بيدها اليمنى وهي تشير نحوه:
«لا، هذه كتب قديمة، لقد قرأتها من قبل، لكن معرض
الكتاب الجديد المتواجد بمنطقة «الربع» به تخفيضات على
كتب وروايات جديدة، وهذا يعني أن هذه الرحلة التي تعتقد
بأنها ثقيلة الظل على قلبك، ستوفر لنا الكثير بدلًا من أن
نشتري كل تلك الكتب بسعرها الكامل وبدون تخفيض».

نظر لها فاروق مبتسمًا:

«ماذا سأقول، لن أستطيع أن أهزمك بنقاش أبدًا، هذا جزاء من يقوم بخطبة فتاة مثقفة، بدلًا من أن يخرجوا للنزهة بوسط البلدة كأي مخطوبين عاديين، يذهبان لشراء الكتب!».

«أنا لم أخدعك يا عزيزي، أنت قبل أن تقوم بخطبتي وأنت تعلم بأنني درويشة كتب، عمومًا نحن ما زلنا ببداية الأمر، اترك مجنونة كتب مثلي واذهب واخطب فتاة أخرى تضع لك أحمر شفاه وتسألك عن لون المسكرة والكحل».

فاروق مبتسمًا:

«الله، الله، ما هذا الحديث يا ست البنات، أنا أمزح معك فقط».

هنية بدلال مصطنع:

«لا، أنا غاضبة منك».

«بالله عليك هل يصح هذا؟ هل يستطيع أحد أن يغضب من روحه؟».

هنية تبتسم بخجل ودلال:

«لا، لا زلت غاضبة منك».

فاروق مبتسمًا:

«وأنا لا أستطيع أن أغضبك يا حبيبة القلب، سوف أقوم بمصالحتك، وأشتري لك كل الكتب والروايات التي تريدينها على حسابي، ها.. أظن هكذا بأنني صالحتك».

هنية تضع إصبعها بفمها بدلال:

«اممم، حسناً.. سأفكر».

«وهل أهون عليك أن تظلي تفكرين بمفردك هكذا وتتركيني!».

تحرك الاثنان بداخل الشارع حتى نهايته وهنا وقف أمامهم رجل طويل أمسك فاروق من يده وهو يتحدث إليه برجاء وسحبه خطوتين قليلاً للأمام، وهو يريه هاتفاً أمامه به صورته لفتاة:

«لو سمحت ثانية واحدة يا أستاذ، هل رأيت فتاة مثل التي بتلك الصورة؟»

فاروق ينظر للصورة أمامه ليجدها صورة لسيدة غير واضحة الملامح، فيhez رأسه نافياً للرجل:

«للأسف، لم أرها».

يلح الرجل على فاروق من جديد ويجعله ينظر للهاتف مرة أخرى:

«حاول أن تنظر إليها مرة أخرى بتركيز بالله عليك».

نظر فاروق في الهاتف سريعاً ثم هز رأسه نافياً مرة أخرى:

«لا، لم أرها من قبل يا سيدي».

الرجل تحدث إليه وهو حزين:

«أشكرك جزيل الشكر يا أستاذ، أنا أتأسف لك إذا قمت

بتعطيلك عن مشاغلِكَ».

أجابه مبتسمًا:

«لا تقلق، لم يحدث أمر جَلَل».

وبالحال انصرف الرجل من أمام فاروق، الذي تابعه بنظره حتى اختفى ومن ثم نظر خلفه ليتحدث إلى خطيبته:

«هيا بنا يا هنية لنكمل الـ...».

وهنا حدث ما لم يكن بحسبانه قط، حيث اختفت فجأة هنية من ورائه ولم يجد أي أثر لها سوى فردة من حذائها والكتب التي كانت تمسكها بيدها، وهنا بدون وعي وصدمة أمسك فاروق بحذائها والكتب الملقاة على الأرض وهو يصرخ ويبحث حوله كالمجنون:

«هنية.. هنية، أين أنت؟ هنية.. أين أنت؟ هنية، هنية!!!»

بعد ثلاثة أيام من اختفاء هنية، كان فاروق بمكتب حازم ويجلس أمامه يشرح له ما حدث معه بالتفصيل وتستمع إليهم حياة بحزن وهي تمسك تابلت بيدها تدون بعض الملاحظات.

«وظللت أبحث عنها كالمجنون حتى منتصف الليل ولم أجد لها أي أثر، وظللت على هذا الأمر لثلاثة أيام متواصلة حتى أتيت إليك أخيرًا فأنت أُملي الوحيد».

حازم باهتمام شديد:

«هل خطيبتك هنية هذه ثرية، بمعنى هل أرسل أحدكم لك طلب فدية أو شيئًا من هذا القبيل».

فاروق هز رأسه نافيًا:

«لا، لم يتواصل معنا أي شخص بخصوص فدية أو أموال و نحن الاثنان من أسر متوسطة، لسنا أغنياء ولا نمتلك الملايين».

حازم بعبوس:

«هكذا أخذ الأمر منحني خطير للغاية».

فاروق بقلق شديد:

«خطير، ماذا يعني هذا؟ هل تعتقد أن هنية أصابها مكروه؟! أرجوك يجب أن تجدها، أنا سوف أبيع منزلي وأضع أمواله على الأموال التي كنا سنتزوج بها أنا وهنية وأعطيها لك كلها هذا لا يهم، أهم شيء أن تجد هنية أرجوك».

ينظر حازم إليه بشفقة ثم ينظر للخاتم الجاثم بيده فيمسح وجهه بغضب، ثم يتحدث إلى حياة:

«لو سمحتِ يا حياة، هل من الممكن أن تحضري لي كوبًا من المياه، أشعر بالعطش الشديد».

«سأحضرها، ثانية واحدة».

ومن ثم تحركت حياة إلى خارج المكتب وظل حازم بمفرده

مع فاروق الذي انتهز تلك اللحظة واقترب من فاروق قليلاً
وهمس في أذنه:

«القائم مقام».

بدت على وجه فاروق ملامح الدهشة:

«ماذا؟ أنا لا أفهم!».

يقترّب منه حازم أكثر:

«الكتاب، الكنوز، كتاب الكنوز».

فاروق محتارًا:

«كتاب، كتاب ماذا؟ أنا لا أفهم ماذا تقصد».

تعود حياة إلى داخل المكتب ومعها كوب الماء وتضعه أمام
حازم الذي يبدو عليه خيبة الأمل،

«تفضل المياه».

يتنهد حازم سريعًا، ومن ثم يحدث فاروق وهو يمد يده له:

«هل من الممكن أن تعطيني التذكرة».

فاروق يرتبك وهو يفتش بملابسه للحظات:

«أه، أه بالطبع.. ثانية واحدة، ثانية واحدة».

على الفور أخرج عملة برونزية من جيبه وأعطائها لحازم:

«لقد وجدتها، تفضل».

يأخذها حازم منه ويضعها أمامه على المكتب.

تحدث إليه فاروق متحمسًا:

«أخبرني ما هي خطوتنا القادمة، أنا جاهز بالنقود واستطعت أن آخذ إجازة من العمل، نستطيع أن نتحرك من الآن لو أردت».

حازم مرتبًا:

«للأسف، للأسف يا سيد فاروق لن أستطيع مساعدتك، واعفني من ذكر الأسباب، نصيحتي الوحيدة لك أن تتابع مع الشرطة القضية وبسرعة جدًا ولا تقم بتضييع دقيقة واحدة».

ملامح الصدمة تظهر على وجه فاروق وحياة أيضًا.

فاروق بحيرة شديدة:

«ماذا؟ لماذا؟ أنا مستعد أن أفعل أي شيء، لو تريد أموال أكثر سوف أتصرف، سوف أبيع أي شيء، سأبيع ملابسي، سأبيع نفسي، سأتصرف وأحضر لك النقود التي تريدها لكن جدها أرجوك».

حازم يشعر بالشفقة عليه، ولكنه يدير رأسه بعيدًا عنه:

«أنا آسف يا سيدي، لن أستطيع مساعدتك».

ينظر فاروق بضيق إلى حازم، ثم ينظر إلى حياة التي تنظر إلى الأرض بخجل، ويتركهم ويتحرك إلى خارج المكتب.

حياة تنفجر صارخة:

«هل ستخبرني لماذا رفضت هذه القضية، إنها تستوفي كل الشروط التي تريدها؛ بها خطف وسببش وتشويق مثل ما كنت ترغب، وبها نقود كثيرة أيضًا، الأهم من كل ذلك أنها حالة إنسانية مهمة، فتاة شابة مخطوفة، ماذا تريد أكثر من هذا كي توافق؟ لقد رفضت ثلاث قضايا حتى الآن وهذا لم يحدث أبدًا من قبل، وأيضًا ما قصة الخاتم الذي تضعه بيدك هذا لم تخبرني عنه من قبل».

حازم متنهدًا وهو يمسح الخاتم بأصابعه:

«من فضلك يا حياة، لا تسأليني عن أي شيء هذه الأيام إطلاقًا».

حياة غاضبة:

«ولا أسألك لماذا إن شاء الله، أنا أسألك عنك العمل، أليس هذا بعمل».

«يا حياة أرجوكي، نفذي ما أقول، أنا أفهم ماذا أفعل جيدًا».

حدثته حياة برجاء:

«ماذا لو أستحلفتك بالله أن تقبل تلك القضية من أجل خاطري».

«يا حياة خاطرك هذا فوق رأسي والله، لكن فعلًا أنا لا أستطيع أن أقبل تلك القضية الآن، حتى لو أردت».

أخذ يداعب خاتم الجاتم بيده بضيق:
«هناك أشياء كثيرة أهم من العمل الآن».

شعرت حياة بالغضب الشديد:

«إذا أنت مُصر على أن ترفض تلك القضية حتى بعد أن أخبرتك أن تقبلها من أجل خاطري، عمومًا حتى لو أنت رفضت تلك القضية، أنا سأقبلها وسوف أعمل عليها بعد انتهاء عملي، ولن أدع تلك الفتاة البريئة بأن تصبح حياتها بخطر أبدًا».

وبسرعة تتركه وتنصرف غاضبة إلى الخارج، نظر حازم إليها وهي تنصرف وهو يداعب خاتمه:

«ليست تلك الفتاة وحدها التي حياتها بخطر، أنت لا تفهمين شيئًا يا حياة».

عادت حياة إليه سريعًا وأخذت كوب المياه الذي أحضرته من قبل من أمامه وانصرفت غاضبة وصدفت الباب بقوة.

نظر إليها حازم مندهشًا من فعلها وهو يحدث نفسه:

«هل تلك الفتاة مجنونة أم ماذا؟».

وقف حازم أمام باب مشفى كبير ونظر في ساعته وحذث نفسه بقلق شديد:

«حسنًا أنا أمام مشفى المصل واللقاح، أتمنى من الله أن

يكون الأمر بسيطًا ويكون هناك مصل لهذا السم، أو ألا يكون هناك سم من الأساس ويكون كل الأمر دعاية سخيفة، أتمنى من الله ألا يكون سقمًا حقيقيًا».

وعلى الفور تقدم حازم إلى داخل المستشفى وهو يحمل بعض الأوراق بيده.

بعد ساعة بالضبط بداخل مشفى المصل واللقاح، كان الطبيب ببداية العقد الخامس من العمر يرتدي بالطو أبيض وأمامه بعض أجهزة الميكروسكوب وأدوات المعمل يقرأ ملفًا بين يديه باهتمام، بينما حازم كان يجلس على مقعد على مقربة منه يراقبه باهتمام شديد وهو يقرض أظافره بتوتر.

أغلق الطبيب الملف بسرعة وتوجه إلى حازم بالحديث:

«التحليل أظهرت بالفعل أن هناك مادة في دمائك غريبة، تتبطن بجدار الأوعية الدموية وتتحرك ببطء شديد للغاية يكاد يكون غير ملحوظ في مجرى الدم، هناك شيء ما دخل إلى دمك غريب، هل تعرضت لإصابة أو أكلت شيئًا غريبًا من وقت قريب؟».

ظل حازم يداعب الخاتم بيده دون أن يشعر:

«من الممكن، من الممكن، أخبرني يادكتور، هل تعلم ماهية تلك المادة الغريبة؟».

الطبيب ينظر بالملفات مرة أخرى:

«انتظر ثانية، آه لقد وجدنا في دمك جزءًا صغيرًا من الفضة ومادة البلورين ومادة ثالثة غير معروفة حتى الآن، لكن مع مزيد من الوقت سنستطيع أن نفصلها من باقي المركبات ونحللها ونعلمها بالنهاية».

بقلق شديد:

«هل تلك المواد يا دكتور ستسبب لي المشاكل فيما بعد، هل من الممكن أن تؤدي إلى موتي؟».

«بالطبع، أي مواد غريبة في الدم ممكن تؤدي إلى إصابات وأمراض خطيرة، ولو وصلت للقلب ستؤدي إلى الموت الفوري بالتأكيد».

حازم بخوف شديد:

«لا إله إلا الله، أعني هذا بأنه ليس هناك حل يا دكتور، ألا نستطيع أن نخرج تلك الأشياء من دمي أو نجد لها مصلًا أو شيئًا من هذا القبيل؟».

الطبيب يطمئنه:

«لا تقلق يا أستاذ حازم، هناك حل بالطبع، أن نغير دمك بالكامل ونتخلص من الدم الفاسد هذا، وأي عوالق بداخله».

حازم بفرح شديد:

«ماذا؟! مستحيل، أنا لا أستطيع أن أعبر عن فرحتي الآن، لقد كنت فاقداً للأمل، لكن حمدًا لله، أنت قد وجدت حلًا لمشكلتي، أخبرني متى نستطيع تغيير دمائي؟».

«على الفور لا تقلق، سوف نأخذ فصيلة دمك أولاً ونقوم بعمل بعض الفحوصات، ونقوم بإجراء العملية على الفور، من الممكن أن نقوم بها في الغد إن شاء الله».

يقفز حازم فرحاً ويقبل الطبيب من خده الأيمن:

«صدقني أنت طبيب لم تنجبه النساء، ولا حتى الرجال».

الطبيب يبتسم بضيق ويمسح آثار قبلة حازم من على خده بتقرز.

بداخل سيارة طارق الغنام بالقاهرة، كان أحمد هارون يجلس على المقعد الخلفي للسيارة وهو شبه نائم.

ففتح باب السيارة طارق الغنام فجأة فاستيقظ أحمد من غفلته، فتحدث إليه طارق بشفقة:

«أحمد، حبيبي، يبدو أنك متعب من السفر، سوف نتوجه إلى المنزل لكي تستريح قليلاً ومن ثم نتوجه إلى وجهتنا المقصودة فيما بعد».

اعتدل أحمد بجلسته ومسح عيونه بيده:

«لا أنا استيقظت بالكامل، أخبرني ماذا فعلت مع صاحب الصورة، هل تحدثت إلى الضابط صديقك؟».

دلف طارق إلى السيارة وجلس بجوار أحمد بالمقعد الخلفي:

«نعم، صديقي الضابط سأل عن صاحب الصورة هذه، وقام برفع البصمات عن الرسالة وعن الصورة التي معها ولكن لم نجد شيئًا، ما استطعت الوصول إليه من معلومات هو أن صاحب تلك الصورة اسمه حازم منصور وهو شاب متخصص في إيجاد الأشياء الضائعة والأشخاص المفقودين».

أحمد متحمسًا:

«إذا من الممكن بالفعل، أن يكون هذا الشخص الذي بالصورة له علاقة بأبي، أو على الأقل يعلم معلومات عن مكانه».

«سوف نذهب إلى عنوانه الآن ونعلم كل شيء بأنفسنا».

طارق أعطى ورقة لسائقه:

«اذهب بنا إلى هذا المكان يا سيد».

السائق انطلق بالسيارة مسرعًا:

«أمرك طارق باشا».

جلست حياة على مكتبها ويبدو عليها الارتباك الشديد، فدف عليها من الباب حازم وهو يحمل بيده علبة شوكولاته صغيرة ويبدو على وجهه السعادة، وقدم العلبة إلى حياة وهو يبتسم:

«أنا أعلم أنك كنت غاضبة مني من قبل، ولكن لقد أتيت

لأصالحك الآن بعد أن سمعت أخبار أسعدتني».

حياة تأخذ الشكولاته من يده وتحديثه بسرعة:

«هناك عميل منتظر في مكتبك بالداخل منذ مدة، وأخبرني أن ابنته اختفت ويريدك أن تبحث عنها وسوف يعطيك أي مبلغ ترغب به».

حازم باهتمام شديد:

«عميل؟! هل سجلت جميع بياناته؟».

باقتضاب:

«لا».

حازم مندهشًا:

«لماذا؟».

ملاحقة:

«ليس معه تذكرة».

ارتسمت على وجه حازم ملامح الصرامة الشديدة واتجه جهة باب المكتب بثقة شديدة.

دلف حازم من باب مكتبه وهو ينظر إلى العميل أمامه بتمعن، فظهر أمامه شخص في منتصف الثلاثينات يرتدي بدلة أنيقة وله جسد رياضي قوي ويبدو عليه القلق الشديد،

وقف حازم أمامه ومد يده ليصافحه:

«مساء الخير، أنا حازم منصور».

قفز الرجل جهة حازم على الفور وصافحه بحرارة شديدة:

«مساء الخير يا أستاذ حازم، أنا هاني مسعود، أنا وقعت من السماء وأنت تلقفتني، ابنتي ضاعت وأريد مساعدة حضرتك حالاً، وسوف أعطيك أي مبلغ تريده مهما كان ولكن يجب أن تعيد ابنتي، أتمنى أن تأتي معي الآن وتبحث عنها».

حازم يشير إليه بالجلوس ويتجه إلى مكتبه ويجلس عليه:

«بالطبع، بالطبع يا أستاذ هاني، ولكن يجب أولاً أن أسجل من حضرتك بعض المعلومات حتى نستطيع البحث عنها بطريقة صحيحة، أول معلومة يجب أن أعلمها، هل أبلغت الشرطة عن اختفاء ابنتك؟».

جلس هاني على مضض:

«لقد فعلت ذك بلا شك، فعلت كل ما تتخيل لكي أستطيع العثور على ابنتي، أنا أريدك أن تتفضل معي الآن وسوف أخبرك بكل التفاصيل التي ترغب بمعرفتها بطريقنا».

يقف مرة أخرى ويشير إلى حازم أن يتبعه، وعلى الفور يشير إليه حازم مرة أخرى أن يجلس:

«تفضل بالجلوس يا أستاذ هاني، هذه الأمور لا تحل بتلك الطريقة، يجب أن تكون كل المعلومات واضحة أمامي أولاً حتى أستطيع تحديد كيف سنقوم بتنفيذ خطواتنا جيداً،

أخبرني ببيانات الفتاة المختطفة أولاً، اسمها وسنها وما كانت ترتديه ساعة الاختفاء، وتسرد لي كافة التفاصيل الممكنة عن وقت ومكان اختفائها ولا تنس أي شاردة أو واردة».

تنهد هاني على مضض ومن ثم تحدث إليه:

«مع أنه كان من الممكن أن نسرد كل تلك الأمور ونحن بطريقنا نبحث عنها ولكن سأنفذ ما تخبرني به».

بتلك اللحظة تحول عقل حازم إلى ما يشبه فيلم السينما، يستمع إلى صوت هاني يتحدث إليه بأذنه ويحوّله إلى صورة سينمائية بعقله.

هاني بدأ في سرد ما حدث معه:

«منذ يومين، كانت زوجتي بصحبة ابنتي سميرة بالماهي يتريضن ويلعبن، ابنتي بعمر الست السنوات، كانت واقفة بجوار والدتها ينتظرن لعبة bumper cars «حتى يلعبن بها».

يرى في الحال حازم بعقله فيلقاً كاملاً تقف به فتاة تمسك بلونة كبيرة مع سيدة شابة تضحك بجوارها، ويقفن ثابتات دون أن تتحركن، يظهر فجأة أمام السيدة والفتاة عدة أشخاص يلعبون بلعبة تصادم السيارات دون أن يتحرك أحدهم بالمشهد، يتحدث حازم إليه وما زال يتخيل المشهد كفيلم بعقله.

«جيد.. ابنتك اسمها سميرة وعمرها 6 سنوات، وكانت

تنتظر مع والدتها لكي تلعب البامبر كارن، حسنا ماذا كانت ترتدي؟».

«كانت ترتدي فستانا أحمر مخطط بالأبيض وبه قلوب صفراء».

وعلى الفور تتغير ملابس الفتاة بالمشهد الذي بعقل حازم بالوصف الجديد، فيتحدث إلى هاني من جديد:

«جيد، أخبرني ماذا حدث؟».

بتلك الأثناء بعقل حازم، الجميع يتحرك في المشهد، والسيارات تصطدم ببعضها البعض وركابها فرحين وتراقبهم سميرة الصغيرة وبجوارها أمها.

صوت هاني يعود برأس حازم من جديد ليضيف تفاصيل جديدة:

«زوجتي قد استقبلت مكالمة على هاتفها وابنتي كانت بجوارها».

هنا يستمر عرض المشهد بعقل حازم كالسابق ولكن تظهر الأم وهي تمسك هاتفًا وتحدث به، يستمر هاني بوصف ما حدث بصوته:

«المكالمة استمرت تقريبًا لمدة ثماني دقائق بالضبط، لكن بعد ذلك اختفت الفتاة من جوارها».

يرى حازم بالمشهد السيدة تتحدث بالهاتف وبعد أن تنتهي تختفي الفتاة سميرة من جانبها وتشعر السيدة بالذعر الشديد

وهي تصرخ وتضرب صدرها، ويعود صوت هاني من جديد ليكمل سرده:

«ظلت زوجتي تبحث عنها بكل مكان لكنها لم تعثر لها على أثر».

سأله حازم سريعًا:

«من الذي أخبرك باختفاء الفتاة، هل زوجتك أم شخص آخر؟».

«زوجتي التي أبلغتني باختفاء ابنتي».

يتخيل حازم السيدة وهي تتحدث إلى زوجها هاني بالهاتف وتبكي منهارة، وهنا يسأله حازم عدة أسئلة بسرعة شديدة:

«هل بلغتك بالحادث في الهاتف أم عند عودتك إلى المنزل».

«أبلغتني عند عودتي للمنزل».

يظهر بعقل حازم نفس رد فعل السابق للسيدة وهي منهارة ولكن يختفي الهاتف من يدها ويظهر بالخلفية خلفها منزل بدل الملاهي.

يكمل حازم سيل أسئلته السريعة على هاني:

«لماذا لم تخبرك بالهاتف حينها؟».

تظهر نبذة توتر بصوت هاني:

«ماذا؟ لا أعلم، لا أعلم، من الممكن أنها كانت تظن أنها

ستجدها قبل أن آتي إلى المنزل».

بسرعة شديدة:

«ما اسم الملاهي».

«اسمها كايرو لاند».

يظهر بعقل حازم مشهّدًا للملاهي بدون وجود أي شخص
نهائيًا:

«ما هو عنوان تلك الملاهي؟».

«مدينة نصر».

«اختفت الفتاة أمام لعبة كاروزيل، صحيح؟».

يظهر بعقل حازم مشهّد لعبة الأحصنة الدوارة، بينما
يتحدث هاني بنبرة غاضبة:

«لقد أخبرتك أنها لعبة بامبرز كارز».

تختفي لعبة الأحصنة الدوارة من عقل حازم ويظهر بدلًا
منها لعبة صدام السيارات:

«هل هناك شهود بتلك الواقعة؟».

«بالطبع، كان هناك الكثير من الشهود».

يظهر بعقل حازم العديد من الأشخاص بجوار لعبة
السيارات، فيتابع أسئلته السريعة من جديد،

«هل معك أرقام هؤلاء الشهود؟».

«لا بالطبع، كيف سيكون معي أرقامهم».

«اعذرني على خطئي ولكن قد نسيت، هل فريدة ابنتك كانت ترتدي فستانًا أصفر وأبيض وبه قلوب حمراء واختفت مع المربية وهي تتحدث بالهاتف أليس كذلك؟».

بغضب:

«كانت ترتدي فستانًا أحمر في أبيض وبه قلوب صفراء وكان معها والدتها تتحدث بالهاتف وليست المربية».

يبتسم حازم بخبت ويختفي المشهد تمامًا من عقله ومن يثم يكمل أسئلته إلى هاني:

«ألم تخبرني أن والدتها كانت تشتري بعض الفشار؟».

هاني بضيق شديد:

«أمها كانت تتحدث بالهاتف ولم يذهب أحد لشراء الفشار».

«اعذرني على سوء ذاكرتي، الساعة التاسعة اختفت فريدة في ملاهي جيرو لاند، أليس صحيحًا».

بضيق:

«لقد أخبرتك أنها اختفت بالثامنة مساءً، والملاهي اسمها كايرو لاند، أنا لا أعلم لماذا تغير كلامي هكذا؟».

يبتسم حازم وهو ينظر إلى هاني بخبت، بينما يشعر هاني بالغضب فيصرخ عليه:

«أنت تعيد وتزيد وتقوم بتكرار حديثي بطريقة خاطئة، أنت لا تفعل شيئًا غير تضييع الوقت، أخبرني لماذا تفعل كل

ذلك؟».

يبتسم حازم بثقة:

«أنا آسف للغاية لتضييع وقتك يا أستاذ هاني، لكن سوف أسألك سؤالًا واحدًا صغيرًا فقط، ابنتك، حبيبتك التي اختفت في الملاهي، كان اسمها سميرة أم فريدة؟».

تظهر الصدمة على وجه هاني ويتابع حازم الحديث بثقة:

«من الواضح أنك كنت تحضر لكذبتك جيدًا وقمت بترتيب سيناريو كامل لقصتك، لكن كثرة تركيزك على التفاصيل، هو الخطأ الذي كشفك أمامي كثرة اهتمامك بالتفاصيل جعلتك تنسى أهم تفصييلة، اسم ابنتك التي قد أتيت وافتعلت كل ذلك الفيلم من أجلها، رأييت من منا الذي يقوم بتضييع وقت الآخر».

نظر إليه هاني مصدومًا قليلًا ومن ثم تبدلت ملامح الصدمة إلى الضحك وأخذ يصفق لحازم مهنئًا:

«رائع، رائع بالفعل، لم أكن أتوقع أن تكتشفني أبدًا، أنا أريد أن أسالك سؤالًا واحدًا فقط، ما الذي جعلك تشك بي من البداية، هل أخبرتك بشيء خاطئ بقصتي كشفتني أمامك».

«بصراحة لا، أنت ممثل جيد لدرجة أنك أقنعتني لوهلة بأنك أب مكلوم على ابنته، مشاعرك بالفعل كانت حاضرة، أنا رأييت المشاعر هذه كثيرة أمامي وأنت تقمصتها ببراعة، ولكن الذي كشفك بالنسبة لي هو أمر آخر غير ذلك».

هاني سأله بفضول شديد:

«ما هو هذا الشيء؟».

حازم أخرج بعض القطع المعدنية من جيبه ووضعها أمام هاني وهو يقوم بالإشارة إليها:

«هؤلاء؛ السحتوت، المليم، النكلة، التعريفة، القرش».

أشار حازم إلى السحتوت:

«السحتوت هذا يعني ربع مليم، الجنية المصري بالماضي كان يساوي 4000 سحتوت واسم سحتوت هذا قد أتى إلينا من الشام».

أشار حازم إلي المليم:

«أما هذا فهو المليم الأحمر وكلمة مليم هذه أتت من كلمة milliem بالفرنسية ومعناها الواحد على الألف لأن الجنية المصري كان يساوي ألف مليم».

أشار حازم إلى النكلة:

«وهذه هي النكلة وتعني 2 مليم واسمها يأتي من كلمة نيكل، وهي المادة التي كانت تصنع منها العملة حينها».

أشار حازم إلى التعريفة:

«أما هذه فتدعى التعريفة وهذه كانت تساوي خمسة مليم واسم التعريفة هذا مصطلح أطلق على الخمسة مليم، لأن الملايم الخمسة تلك كانت القيمة التي تدفع للجمارك في

هذا الوقت، من أجل دخول البضائع وبعد هذا أصبحت القيمة التي تدفع في المواصلات كقيمة موحدة بعد هذا».

أشار حازم إلى القرش:

«أما هذا فيسمى القرش، وكان يساوي 100 مليم وهذه بالطبع تسمى الخمسة قروش وهذه البريزة والرّبع جنيه إلى آخره».

حرك حازم العملات بأصابعه:

«تلك العملات هي التي كشفتك أمامي، بالطبع ستندهش من حديثي هذا ولكن عندما أشرح لك كل شيء سوف تفهم بسهولة، أنا والدي رحمة الله عليه، كان لديه هوس جمع العملات وطوايع البريد، كان يحب تجميعهم من أي مكان وبأي سعر، صرف ثروة كبيرة على تلك العملات، وأنا على العكس منه تمامًا أرى هذا أمرًا تافهًا ومضيعة للوقت والأموال، وكنا بسبب هذا الأمر ندخل بنقاش وصدام دائمًا مع بعضنا البعض على قيمة هذه الأشياء، ولكن بعد وفاته رحمة الله عليه الله، ورثت قدرًا كبيرًا من تلك العملات التي أرى أنها بدون قيمة، فكرت كثيرًا، أن أبيعها أو أتخلص منها، لكن كلما تذكرت المجهود والأموال التي كان أبي يبذلها في سبيل الحصول على تلك الأشياء، كنت أتراجع عن قراري على الفور، حتى اكتشفت طريقة أستطيع أن أستفيد منهم بعملتي، هل تعلم ما هي تلك الطريقة ياسيد هاني؟».

هاني مبتسمًا:

«ما هي تلك الطريقة يا سيد حازم؟».

أمسك حازم العملات بيده ورفعها أمام هاني:

«لأنك رجل لم تنجبه النساء أو حتى الرجال، فسوف سأخبرك، في عملي هذا لا يعرفني أحد أبدًا غير الناس الثقة، الذين عملت معهم من قبل، وبعض رجال الشرطة المحدودين الذين احتكوا بي ووثقوا بعملي، فكنت أعطي لكل شخص منهم تعاملت معه بأحد القضايا عملة من تلك العملات، بداية من السحتوت وصولًا للقرش، ولو هناك شخص يريد الحصول على قدراتي في الوصول لشيء مسروق أو مفقود، كان يتحدث إلى الأشخاص الذين عملت معهم من قبل ويخبرهم أنه يريد أن يتواصل معي فيقوم هذا الشخص من معارفي بإعطائه تذكرة من هؤلاء، أي تذكرة من تلك العملات وعن طرق تحديد نوع تلك العملة أعلم من الذي أرسل تلك القضية من معارفي وعملائي وأسترد منهم العملات من جديد، ولا أستقبل أبدًا أي عمل من شخص غير ثقة لم أعمل معه من قبل، وأي شخص يأتي لي بدون تذكرة مئلك هكذا، أعلم بأن وراءه أمرًا غامضًا على الفور، من الواضح أنك قمت ببحث ومجهود كبير عني ولكن بطريقة سطحية للغاية، يبدو أنك على عجلة من أمرك، أخبرني ما السر وراءك ولماذا كنت تريد أن تأخذني معك إلي أين يا هاني؟ أخبرني أولًا هل هذا هو اسمك الحقيقي؟».

صفر هاني متعجبًا:

«واو، ماهذا؟ أنت مصيبة سوداء، سوف تكون خسارة كبيرة إن لم تنضم لنا، يجب أن تنضم إلينا بالحال، خسارة كبيرة أن تموت».

حازم مصدومًا:

«أموت، من أنت؟ وماذا تريد بالضبط؟».

على الفور وضع يده بسرعة بدرج مكتبه وأخرج سلاحًا ناريًا ورفعته أمام هاني، الذي ابتسم ساخرًا وأخذ يحدثه مطمئنًا:

«لا تخف، أنا أخبرتك بأنك خسارة في الموت، جاوبني على أسئلتني بصراحة، وأنا بنفسني سوف أطلب لك العفو من القطب وأرشحك لكي تنضم لنا، وكبادرة لحسن نيتي، سوف أخبرك باسمي، أنا اسمي الفرزدق».

حازم مستغربًا من الاسم:

«ماذا؟ الفرزدق!».

الفرزدق مبتسمًا:

«ماذا؟ هل سمعت عني من قبل؟ هل الخائن هارون يحيى أخبرك عني».

«هارون يحيى من؟ أنا لا أفهم شيئًا، أليس أنت الذي أرسله القائم مقام؟».

الفرزدق يبدو عليه الاندهاش:

اللحظة ودفعه بظهره للحائط خلفه، وصاح على حياة لتهرب:

«اهربي يا حياة، اهربي وبلغى الشرطة بسرعة»

خرجت حياة من المكتب مرتاعة وهي تصرخ، فشعر الفرزدق بالغضب فدفع حازم بعنف فسقط أرضًا، والتقط سلاح حازم الناري وفككه لقطع صغيرة وألقاه بعيدًا.

«أنا سأقتلك بيدي وبأشد أنواع الألم، إذا لم تخبرني أين يختبئ هارون يحيى وأين يضع الكتاب».

حازم حاول الوقوف بصعوبة:

«هارون من؟ أنا لا أعلم من الذي تتحدث عنه هذا نهائيًا، ولا أعلم شيئًا عن كتاب الكنوز هذا أبدًا».

قام الفرزدق بضربه بقبضته بقوة، وحازم حاول أن يقاوم ولكن لم يستطع مفاداة ضربات الفرزدق السريعة التي انهالت على جسده فحاول أن يحمي جسده منها ولكن بلا جدوى، فكانت الغلبة للفرزدق الذي يبدو عليه أنه خضع لتدريب خيالي، وظل يضرب حازم بسرعة وبأماكن متفرقة من جسده وهو يبدو أنه يلهو معه كالقط وهو يصطاد عصفورًا صغيرًا.

«هذه آخر فرصة لك يا حازم، من الممكن أن أسامحك على تدنيسك للكتاب واجعل القطب الجاحظ يعفو عنك، لكن أخبرني أين هارون يحيى؟».

حاول حازم الاندفاع جهته باستماتة ولكن لكمه الفرزدق

بمعدته سريعًا فصرخ متألقًا، وهنا نظر له الفرزدق بضيق وأخرج سكينًا من ملابسه ولوحها أمامه باحترافية شديدة:

«يبدو أنك اخترت نهايتك».

شعر حازم بأن تلك لحظة أجله وهو يشاهد الفرزدق يحرك السكين بسرعة جهة عنقه، ولكن حدث ما لم يكن بالحسبان، حيث توقف الفرزدق عن طعنه باللحظة الأخيرة لينظر خلفه، فوجد إيهاب صديق حازم يحمل مقعدًا بين يده وهوى به على جسده، حاول الفرزدق حماية جسده بيده فتحطم المقعد على يده فشعر بالألم الشديد، وهمّ بالهجوم بسكينة جهة إيهاب وهو ينوي أن يفتك به، فقام بدفع سكينة بقوة شديدة جهة إيهاب، الذي حاول مقاومته، تدخل على الفور حازم ودفعه بقوة من الخلف لكي ينقذ صديقه ليخطئ الفرزدق عنق إيهاب وعرز السكين بكتفه، فانقض عليه حازم من الخلف وقام بضمه بقوة من ظهره ليمنعه من الحركة بقوة شديدة، واستغل إيهاب هذا رغم شعوره بالألم الشديد ولكنه قام بلكم الفرزدق بقوة بيده غير المصابة، ودخل الاثنان في صراع شديد مع الفرزدق الذي كان يتلقى اللكمات منهما بلا تأثير يذكر، فاتجه الاثنان بإلقاء الأثاث والمقاعد فوق جسد الفرزدق، واستمر الصراع فيما بينهم، لكن دون جدوى حيث استطاع الفرزدق أن يلقي بحازم أرضًا ويحطم مقعد فوقه، واتجه إلى إيهاب وقام بلكمه بشدة ونزع السكين من كتفه المصاب، فصرخ إيهاب متألقًا وتدفقت الدماء بسرعة من جرحه، حاول الفرزدق أن يطعن إيهاب مرة أخرى ولكنه وجد

حياة تقوم بإلقاء بعض الأثاث عليه وهي تصرخ مرتاعة:
«اتركه، اتركه أيها المجرم».

استغل إيهاب تلك اللحظة واندفع بقوة شديدة وحمل الفرزدق فوقه وهو يركض بسرعة، شعر الفرزدق أن إيهاب ينوي فعل شيء ما فنظر خلفه فوجد إيهاب ينوي أن يلقي به من النافذة خلفه، وعلى الفور ظل يضرب الفرزدق إيهاب بقبضاته فوق رأسه ولكن إيهاب كان يمسك به ويرفعه باستماته شديدة وركض به بسرعة شديدة وألقاه بداخل النافذة التي تحطمت من جسد الفرزدق الذي حاول أن يتشبث بأي شيء ولكن قوة دفع جسد إيهاب الضخم لم تمكنه من ذلك، وسقط هو وحطام النافذة للخارج، وهنا سقط إيهاب أرضاً مضرجاً بدمائه بعد أن ألقى الفرزدق من النافذة، فركضت جهته حياة وحازم وهو يتفقد جرحه قلقاً، تحرك حازم بسرعة جهة النافذة وتفقدتها بسرعة فوجدها محطة، وعلى الفور ألقى نظرة إلى الشارع ليتفقد جسد الفرزدق، فوجد بعض آثار الدماء والزجاج المحطم فوق أحد السيارات ولكنه لم يجد أي أثر لجسد الفرزدق، وشاهد بدلاً من ذلك أسفل النافذة كلاً من طارق الغنام وأحمد هارون وهما ينظران إليه من أسفل وعلى وجهيهما الصدمة وهما يشاهدان حازم الذي كان بالصورة التي أرسلت إليهم واقفاً يبادلهم النظرات من النافذة المحطمة.

وقفت حياة أمام غرفة إيهاب بأحد المستشفيات وهي تتحدث مع بعض رجال الشرطة وتشرح لهم ما حدث وحازم بجوارها يستمع إلى حديثها.

ويراقبهما من بعيد أحمد هارون وطارق الغنام وهما يتابعان ما يحدث بقلق، واستمر الوضع هكذا لمدة عشرين دقيقة ومن ثم دلفت حياة وبصحبته حازم إلى داخل غرفة إيهاب الذي كان يجلس على سرير وهو يربط ذراعه بشاش أبيض، وهنا أخذت حياة في البكاء على الفور حينما شاهده، فنظر إليها حازم مستغربًا ثم تركها وتحدث إلى إيهاب:

«حمدًا لله على سلامتك يا صديقي، لولا وجودك في المكتب بتلك اللحظة كنت سأكون ميتًا بالتأكيد، أنا مدين لك بحياتي كلها يا بوب يا صديقي».

إيهاب حدثه وهو يتألم قليلًا:

«ما هذا الحديث يا حازم، نحن إخوة، من يجب أن تشكره بالفعل هي حياة، لولا أنها قد قامت بالاتصال بي منذ حضور هذا الشخص إلى المكتب بعد أن شكّيت به، لم أكن لأظهر بالوقت المناسب».

حازم نظر إلى حياة مبتسمًا:

«يجب أن تكفي عن البكاء يا حياة، ألا تشاهدين حازم بصحته كامله مثل الفور الآن».

رفع إيهاب حاجبيه مبتسمًا:

فتابع حازم حديثه إلى حياة:

«هي فلتكف عن البكاء الآن، وما زلت مصر على قلبي حتى الآن، يجب عند شعورك بأي خطر أن تتصلي بالشرطة على الفور وأن تهربي، لا يجب أن تعرضي نفسك للخطر».

حياة مسحت دموعها وهي تومئ برأسها له:

سأله حازم على الفور:

«آه، أخبرني يا حازم، لماذا كان يريد هذا الرجل أن يقضي عليك؟».

«سوف أخبرك كل شيء فيما بعد يا بوب، سوف أخبرك كل شيء فيما بعد».

بعد مرور عشرين دقيقة.

كان طارق الغنام جالسًا على طاولة بكافتيريا المستشفى وبجواره أحمد هارون وأمامهما بعض أكواب المشروبات، فدخل عليهما حازم وصافحهما ومن ثم جلس على مقعد مقابل لهما.

«مساء الخير يا أستاذ طارق، أنا آسف على التأخير، لكن كنت أطمئن على إيهاب صديقي».

طارق ابتسم له وحذثه بحميمية، بينما أحمد يحدق به بتمعن، فلاحظ حازم ذلك ولكنه لم يبد أي رد فعل.

«أهلا بك يا أخي أتمنى من الله أن يكون صديقك بصحة جيدة الآن».

«الحمد لله جرحه لم يكن خطيرًا، السكين توقف بداخل عظام إيهاب الحمد لله، وهذا منع إصابته بجروح خطيرة، لكن كنت أرغب بسؤالك عن شيء هام، هل شاهدتما الرجل الذي أصاب إيهاب؟ لقد سقط من الطابق الثالث ولكن لم نجد له أي أثر».

تحدث أحمد إليه بحماسة:

«نعم لقد شاهدناه ونحن نهتم بالصعود إليكم، لقد سمعنا ضوضاء كبيرة وصوت تحطم النافذة، وبعد ذلك رأينا سقوط رجل على سيارة بالأسفل ولم يتحرك إطلاقًا، وهنا حاول أنكل طارق أن يقترب منه، ولكننا وجدناه وضع شيئًا بفمه وابتلعه وبأقل من لحظات هب واقفًا فوق السيارة وركض مبتعدًا ونحن غير مصدقين كيف لشخص مصاب بتلك الإصابات أن يفعل ذلك».

طارق ملاحظًا:

«بالفعل، كان موقفًا ولا الخيال، أي شخص آخر في وضعه كان سيموت أو على أقل تقدير كان لن يستطيع الحركة مرة أخرى، ولكن هذا قام يركض كعداء يخترق ضاحية».

مسح حازم عرقه بتوتر:

«على الرغم من غرابة ما تحكونه الآن، لكن أنا أصدقه، لأن

هذا الرجل لم يكن بشراً طبيعياً أبداً، لم نستطع أنا وإيهاب أن نتغلب عليه ونحن اثنان وبالذات إيهاب فهو قوي كالثور وكان يمارس الفنون القتالية لفترة طويلة قبل أن يتزوج ولم نستطع التغلب عليه، ولكن ثانية واحدة أنتم تقولون بأنكم قد توجهتم إلي، لماذا كنتم ترغبون بلقائي؟».

طارق اعتدل بجلسته وأخذ يتحدث بجدية:

«نعم يا أستاذ حازم، نحن كنا بطريقنا إليك بالفعل، نحن أتينا إليك من سيدني خصيصاً بمعضلة كبيرة وحضرتك من ستساعدنا بحلها».

حازم يشير إلى نفسه مستغرباً:

«أنا.. أخبرني ما هي تلك المعضلة أولاً».

طارق أخرج الرسالة التي أرسلت إليهم وبها صورة حازم وأعطاهما لحازم الذي نظر إليها مصدوماً:

«هذه رسالة أتت إلينا، ومضمونها بأن نهب إليك لتساعدنا في إيجاد صديقي السيد هارون يحيى».

صرخ حازم بشده عندما سمع الاسم:

«من؟ هارون يحيى!».

أوماً طارق له برأسه وأشار إلى أحمد بجواره:

«نعم، هارون يحيى باحث الآثار المشهور ووالد هذا الشاب الذي بجواري أحمد هارون».

ألقى حازم بالرسالة من يده على الطاولة واقترب منهما
أكثر:

«يجب عليكما أن تشرحا لي الأمر بأكمله من البداية وبأدق
التفاصيل الممكنة».

أثناء هذا كان القطب الجاحظ يقف وسط رجاله يتمايل
على أصوات المنشدين ويتحرك وسطهم بحركات غريبة،
وأحد المنشدين يصدح بصوت قوي الأبيات التالية:

«إِلَهْنَا مَا أَغْدَلَك، مِلِيكَ كُلِّ مَنْ مَلَكَ لَبْنِيكَ، قَدْ لَبَيْتُ لَكَ لَبْنِيكَ
إِنَّ الْكُفْدَ لَكَ وَالْمُلْكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ، مَا خَابَ عَبْدٌ سَأَلَكَ، أَنْتَ
لَهُ حَيْثُ سَأَلَكَ، لَوْ لَكَ يَا رَبِّ هَلْكَ، لَبْنِيكَ إِنَّ الْكُفْدَ لَكَ وَالْمُلْكَ،
لَا شَرِيكَ لَكَ، كُلُّ نَبِيٍّ وَمَلَكٍ وَكُلُّ مَنْ أَهْلٌ لَكَ».

دلف شاب وسطهم واتجه صوب الجاحظ وتحدث معه
بصوت خافت، فظهرت صدمة الخبر على وجه الجاحظ وهو
يتمتم غير مصدق:

«ماذا؟ الفرزدق!».

على الفور تحرك الجاحظ مع الشاب إلى خارج المجلس
بسرعة شديدة، وتوجها إلى غرفة مخفية بمدخل تحت
الأرض، فهبط الجاحظ ومعه الشاب خلال سلم إلى الأسفل
ليظهر أمامهما غرفة واسعة كبيرة ممتلئة بأبيات شعر مكتوب
بالخط الكوفي بشكل جمالي مزخرف، فاستقبله خمسة رجال

وحيوه بأن وضعوا أطراف أصابعهم اليمنى فوق جباههم ثلاث مرات وهو يمر وسطهم. أطل الجاحظ بعينه أمامه ليرى سريزًا ينام فوقه الفرزدق وهو مغطى بالشاش الأبيض ولا يستطيع الحركة وفاقداً للوعي، هذا المشهد أشعل الغضب بقلب الجاحظ فتحدث إلى رجاله وهو مغتاظ غير مصدق:

«الفرزدق!! الفرزدق!! يحدث له هذا، ماذا حدث؟!».

جاوبه على الفور أحد رجاله ويدعى الأخطل:

«لقد وجدنا رسالة استغاثه مرسلة منه بالقرب من مخبأ من مخابئنا، وعندما وصلنا له وجدناه مثل ما تراه الآن، ولولا أنه تناول بيضة العنقاء لكان مات بلا شك».

الجاحظ مصدوقاً:

«ماذا؟ هل اضطر لتناول بيضة العنقاء أيضاً، لهذه الدرجة كان بوضع خطير، يبدو أن حازم هذا ليس سهلاً، هارون يحيى استعان به بالتأكد لامتلاكه قدرات قوية وخطيرة كادت تزهق روح الفرزدق، لكن ليس الجاحظ من يترك أتباعه فريسة للآخرين دون انتقام».

هنا قفز أحد رجاله فجأة وهو يلوح بسكينه ويضحك بشدة:

«أرسلني أنا أيها القطب، أنا جاهز لملاقاة هذا المدعو حازم».

تحدث إليه الجاحظ محذراً:

«أريده حيًا يا جريس، وأنت لا تعلم سوى طريق الموت،

سوف أرسل معك الأخطل، أنتما الاثنان تحضران هذا الوغد أمامي، وأنا سوف أريه بنفسه معنى غضب الجاحظ .»

أوماً الأخطل وجريرو إلى الجاحظ برأسيهما وتحركا سريعاً إلى خارج الغرفة. راقبهما الجاحظ حتى اختفيا من أمامه ونظر إلى الفرزدق بأسى وهو غائب عن الوعي:

«لا تقلق يا بني، سوف تنال انتقامك بكل تأكيد، هذا وعد مني بذلك».

ما زال حازم مع طارق وأحمد هارون يجلسون بكافتيريا المستشفى ويتحدثون، انتهى طارق من سرد حديثة بينما ظل حازم ينظر بضيق إلى صورته وهي بين يديه:

«أفهم من حديثكما هذا بأنكما قد أرسلت لكما هذه الرسالة تخبركما أنكما تستطيعان الوصول إلى هارون يحيى عن طريقى أنا، عن طريق شخص طوال عمره لم يره أو يسمع عنه في حياته من قبل، قصة جميلة، أريدكما أن تخبراني بدون الكثير من اللف والدوران، هل أنتما من أتباع القائم مقام؟!».

طارق مندهشاً من سماعه الاسم:

«قائم إيش؟!».

حازم ملاحظاً:

«القائم مقام، ماذا؟ هل تريد أن تقنعني بأنك لا تعرفه؟!».

نظر طارق إلى أحمد بجواره مستغربًا للحظات ومن ثم تحدث إلى حازم:

«لا أعرفه والله يا أخي، إيش القائم مقام هذا؟!».

تنهد حازم بضيق، ثم أشار إلى الخاتم بيده:

«حسنًا، هل تعلمان أي شيء عن هذا الخاتم، اسمه الجائم، هل سمعتما عنه من قبل؟!».

أوما طارق وأحمد برأسيهما بالنفي، وتحدث إليه طارق:

«لا نعلم أي معلومة عن هذا الخاتم أو عن غيره، كل المعلومات التي لدينا هي التي قرأتها بداخل تلك الرسالة التي بها صورتك».

حازم بضيق شديد:

«أنتما لا تعلمان من هو القائم مقام ولكن يبدو أنه يعلمكما جيدًا، لقد ذكر بشكل مبهم بأنه سيضعكما بطريقي، لكن على الرغم من ذلك أنا أتأسف لكما».

وهنا على الفور قام بتمزيق صورته والرسالة التي بصحبتهما، أمام أحمد وطارق اللذين نظرا إليه مستنكرين فعله، ولكنه لم يعرهما أي اهتمام وقام بتكملة حديثه إليهما:

«أنا لن أستطيع أن أفيدكما بأي شيء، أنا لن أقع تحت رحمة أحد بعد ذلك ولن أصبح لعبة يلعب بها، ووجدت طريقة تخلصني من أمر الجائم هذا، أشكرك جزيل الشكر جدًا على

وقوفك معنا، بعد هذا الحادث الذي حدث بالمكتب، وبالنسبة لحساب المستشفى سوف أرسلها لك على حسابك إذا أرسلت لي حسابك البنكي بأي وقت يا أخ طارق، وزادني شرف معرفتكما ولكن أتمنى ألا نرى بعضنا البعض بعد ذلك أبدًا، مع السلامة».

وعلى الفور تركهما حازم منصرفًا. ف شعر أحمد بالغضب من فعله وضرب الطاولة بيده، فربت طارق على كتفه بأسى وهو يحاول أن يخفف وقع الأمر عليه.

وعلى الفور تحرك حازم بسرعة شديدة بأروقة المستشفى حتى خرج من بابها وهو يتحدث بالهاتف بصوت عالٍ ويشير إلى إحدى سيارات الأجرة.

«كيف حالك يا دكتور، سوف آتي إلى حضرتك حالًا لكي نقوم بعملية تغيير الدم، نعم يا دكتور أنا جاهز، سوف آتي إليك لكي نقوم بها على الفور، حسنًا يا دكتور في سلامة الله».

أغلق الهاتف وقام بالصعود لداخل سيارة الأجرة وهو يتلمس الخاتم بيده بدون أن يشعر ويخبر السائق أن يتحرك.

تتحرك حياة بداخل غرفة إيهاب بالمستشفى وهي تضع الهاتف على أذنها بغضب، بينما يراقبها إيهاب من فوق سريره

وهو يبتسم.

فتحدثت إليه بغضب:

«ما زال لا يرد على الهاتف، كيف يترك صديقه الوحيد الذي أنقذ حياته بالمستشفى بمفرده هكذا؟ أنا لا أعلم ماذا أسمى هذا؟ ولكن تلك ليست صداقة أبدًا».

ضحك إيهاب ساخراً وهو يتألم:

«ههههه، آآه.. لماذا أنت غاضبة، بالتأكيد انشغل بشيء هام سوف ينتهي منه ويعود مسرعًا».

حدثته بضيق:

«أتعجب كيف ما زلت حريصًا على صداقة هذا الشخص الأناني، كنت ستموت من أجله».

«لأنني صديقه، وأعلم عيوبه جيدًا، هو يتصف بالأنانية بالفعل ولكنه يملك صفات كثيرة أخرى جيدة».

«أخبرني ما هي تلك الصفات الجيدة إذا؟».

ضحك على الفور من حديثها:

«الحقيقة أنا لا أعلم ولكن بالتأكيد هو يملك صفات جيدة، ولكننا لا نراها حاليًا».

ضحكت حياة على حديثه:

«لا أعلم كيف تستطيع أن تمزح هكذا بعد كل ما حدث لك؟».

«ههههه، لاتضعي هذا برأسك ياما دقت فوق الرأس الطبول، أريدك فقط يا حياة بالله عليك إذا وصلت لحازم احرصي على ألا يخبر دليلة زوجتي بما حدث معي، حتى لا تفزع، يكفي ما تمر به من مرض حاليًا، واطلبي منه أن يذهب ليطمئن على دليلة ويرى إذا كانت تحتاج شيئًا دون أن يعلمها بمصابي».

تبسمت حياة إليه بمودة:

«سبحان الله شتان من نذالة صاحبك، وما بين إخلاصك ووفائك لزوجتك، لا تقلق أنا سأذهب لمدام دليلة بنفسي وأطمئن عليها دون أن أعلمها بما حدث لك».

بفرح شديد:

«أشكرك، أشكرك جزيل الشكر يا حياة».

بغرفة بمستشفى المصل واللقاح، جلس حازم على سرير وهو يرتدي ملابس المرضى ووقف بجواره الطبيب السابق يضع يده ببعض القسطرة ويشبكه بجهاز طبي بجواره.

الطبيب يضغط على زر بالجهاز فتتحرك الدماء من داخل القسطرة وتدخل جهة ذراع حازم، الذي ينظر للدماء وهي تتدفق إلى ذراعه فيبتسم ويتنهد بارتياح شديد، اتجهت عيناه إلى الساعة المعلقة على الحائط أمامه فظهرت عقاربها تشير إلى أنها الخامسة بالضبط.

شعر حازم بالنعاس يدب بجسده فحاول مقاومته وهو
ينظر للساعة أمامه التي تظهر أنها السادسة بالضبط.

دب النعاس بجسد حازم أكثر فأكثر وحاول مقاومته بلا
جدوى فسقط بحالة نوم عميقة.

فتح حازم عينيه ببطء ليجد الساعة تشير إلى الثامنة وأنه
قد انتقل من الغرفة التي كانت بها أجهزة فصل الدماء إلى
غرفة أخرى وهو يجلس على السرير هناك.

نظر إلى ذراعه فوجده مغطى ببعض اللاصقات الطبية،
اعتدل حازم بجلسته وهو مبتسم وقام بفتح وإغلاق قبضتي
يديه وهو يحدث نفسه فرحاً:

«أشعر بنشاط كبير يدب في جسدي، يبدو أن هذا الأثر
بسبب الدم الجديد، لم أكن أعلم من قبل أن الإنسان يستطيع
تغيير دمائه، كنت أخشى من البداية ألا يكون لدي أي دماء».

وظل يضحك على دعابته السخيفة ببلاهة شديدة:

«هههههههه، ما هذا أنا أطلق الدعابات، من الواضح أن
الدماء انتقلت لي من شخص خفيف الظل، خفيف الظل،
خفيف كام كيلو جرام ياترى!».

ضحك بصوت شديد ومرتفع:

«هههههههه، من الواضح إن الدم انتقل لي من الخليل
كوميدي، أصبحت ثقيل الظل للغاية».

هب واقفًا سريعًا وهو يشعر بالنشاط وقفز بمكانه وحرك جسده يمينًا ويسارًا:

«واحد، اثنان، واحد، اثنان، واحد، اثنان، هل نسيت باقي الأرقام أم ماذا؟».

نظر نظرة سريعة بجواره فوجد باقة من الورود على الكوميد، فنظر إليها متسائلًا:

«ما هذه الورود؟! من الذي أرسلها، لا أحد يعلم نهائيًا بأني أقوم بعملية تغيير للدم اليوم».

اتجه إلى باقة الورد وحملها بيده فوجد ورقة صغيرة بداخلها، فوضع الورد على الكوميد مرة أخرى وأخذ يقرأ الورقة بصوت مرتفع:

«حمدًا لله على سلامتك أيها البطل، ومبارك على دمائك الجديدة، يبدو أنك تستطيع استخدام رأسك جيدًا ولديك حل لكل معضلة وأيقنت أنني كنت محققًا عندما اخترتك، لكن أحمل لك أخبارًا سيئة، للأسف مجهودك هذا كله كان بدون فائدة، وأنت ما زلت ستموت خلال 45 يومًا، آسف أقصد خلال 43 يومًا، وحتى لو قمت بتغير دمائك صباح كل يوم وحتى لو قطعت يدك بأكلها مثل ما أخبرتك من قبل لا أمل لديك، ليس هناك أمامك سوى خيارين، الأول أن تغير جسدك بالكامل وليس دماؤك فقط وحظًا سعيدًا بذلك، أو أن تكف عن عنادك وتعمل بوظيفتك مثل ما أخبرتك، الخيط الوحيد للوصول لكتاب الكنوز هو هارون يحيى، توصل إلى هارون

يحيى ستتوصل للكتاب، ومبارك مرة أخرى على إجراء العملية ومنتظر بشوق كبير أن أراك عن قريب، المخلص لك دائماً القائم مقام».

مزق حازم الورقة بيده بغضب شديد وهو يصرخ بعنف وألقى باقة الورد من على الطاولة وهو يكاد ينفجر غيظاً.

«اللياليل العنة»

لون أبيض ساطع، لون أبيض يعمي الأبصار، كل شيء حوله يخضع للون الأبيض يبتلعه وينفذ إليه، هو لا يعلم أين هو أو ماذا يفعل، لكنه يشعر بأنه نائم على سرير، لا يوجد ما يوحى بذلك سوى شعور اليقين الذي يجتاحه أنه ممد على سرير، لا يرى أي شيء أمامه أو خلفه أو فوقه أو تحته سوى اللون الأبيض، لا يستمع لصوت أي شيء سوى صوته، أخذ يتنحى ويحاول أن يستمع إلى صوته، هو بالفعل الشيء الوحيد الذي يستطيع سماعه فصرخ بأعلى صوت لديه:

«أين أنا، أنا لا أستطيع الحركة، ما هذا؟».

نظر على يمينه وهو لا يعلم يمينه من يساره سوى عن طريق شعور اليقين أن هذا يمينه، كان يغلفه شعور الخوف بالكامل، ينظر إلى الفراغ الأبيض على يمينه يتحول إلى جسد شيء ما، لا يستطيع أن يراه بوضوح بسبب هذا اللون الأبيض الذي يبتلع كل شيء ولكن شعور اليقين يخبره أيضًا بأن هذا الجسد هو لحياة، فصرخ عليها لتنقذه:

«حياة، أين أنا؟ حياة، لماذا لا تجيبيني؟ حياة تحدثي إلي، أجيبيني يا حياة».

ولكن كما يقال، لا حياة لمن تنادي، فهي لم تجبه أو تنظر إليه، لكنها تشير بيدها أمامها.

نظر حازم إلى الجهة التي تشير إليها. فوجد جسد شخص

ما يظهر على يساره وشعور اليقين يخبره بأنه إيهاب يعطي لها ظهره وينظر للفراغ أمامه، فصرخ عليه هو الآخر ليستنجد به:

«إيهاب، إيهاب، أين أنا يا إيهاب؟ إيهاب لماذا لا تجيبني، إيهاب أين أنا؟».

ولكن إيهاب لا يجيبه بل تحرك جهته ووقف أمام سريره، وكذلك فعلت حياة أيضًا ووقفت أمام سريره بنفس الطريقة وبنفس اللحظة، ويقف الاثنان أمامه ينظران إليه ولا يتحدثان، فصرخ عليهما حازم مرتاعًا:

«إيهاب، حياة، ماذا هنالك؟ لماذا لا تتحدثان إلي؟».

أشار كل من إيهاب وحياة بأيديهما جهة حازم الذي سألهما في حيرة:

«ما هنالك، لماذا تشيران إلي؟ ماذا حدث؟».

شعر حازم بانتفاضة قوية وعنيفة بيده اليسرى، فرفعها أمامه ليشاهد الخاتم الجاثم يتراقص فوق يده ويخرج منه دخان أسود ثقيل وكثيف للغاية وينتشر بسرعة ومن ثم يتحول إلى شيء بحجم الطفل الصغير يجلس على صدره وعيونه حمراء مخيفة ينظر له بعيون جاحظة والدخان يخرج منه بكل مكان ويبتلع اللون الأبيض ويحيله إلى الظلام الدامس ويبتلع إيهاب وحياة وينظر إلى حازم بعيون مرعبة، فصرخ مرتاعًا:

«ما هذا؟ من أنت؟ عليك اللعنة، أتركني، أتركني.»

تخرج مخالب سوداء حادة من أيدي وأقدام هذا الكائن الذي يجثم فوق صدره ويزرعه بداخل جسد حازم ويتحرك ببطء جهة وجهه، وحازم يصرخ بخوف وهيستريا يريد أن يزيح هذا الشيء من فوق صدره لكنه لا يستطيع الحركة، الكائن يقترب أكثر وأكثر فوق جسد حازم وهو يفرز مخالبه الحادة بجسده ليتحرك إلى الأمام وظل على هذا حتى اقترب من وجه حازم الذي ظل يصرخ برعب شديد، وهنا فتح الكائن فمه وابتلع وجه حازم بقضمه واحدة.

[illegible]

صرخة مخيفة مفزعة انطلقت من صدر حازم وهو يستيقظ
من على سريريه وهب جالسًا وهو ينظر حوله يمينًا ويسارًا
بفزع وهو يضع يده على صدره مرتاعًا.

شعر بالهدوء قليلاً، فتنهد وهو ينظر إلى الخاتم بيده بضيق
«يبدو أنه كان مجرد حلم، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، يا
له من كابوس مزعج».

مسح وجهه بیده وهو یتنهد بارتیاح شدید.

بعد مرور ساعتين كان يتواجد حازم مرة أخرى بمشفى المصل واللقاح يتابع مع الطبيب، الفحوصات الجديدة التي

أخذ ينظر إليها الطبيب وهو مندهش، وبعد مراجعتها عدة مرات تركها أمامه وتوجه إليه بالحديث:

«للأسف يا أستاذ حازم، لقد وجدنا آثارًا متبقية للمواد السابقة في الدم الجديد، هي صحيح ليست بالقدر أو النسبة السابقة فهي أقل بكثير، ولكنها ما زالت موجودة وهذا أمر غريب للغاية، نظرًا لأننا قمنا بتغيير دم حضرتك كله، ولا أعلم كيف تلوث دمك مرة أخرى بهذه السرعة».

حازم يحدثه بأسى وهو يفرك خاتمه:

«لكن أنا أعلم كيف تلوث من جديد».

شعر الطبيب بالفضول:

«هل تعلم السبب؟ أخبرني ما هو؟».

مرتبًا:

«ماذا؟ آه، بالتأكيد، هناك شيء شربته أو أكلت هو الذي قام بتلويث دمائي من جديد، لكن إذا علمنا السبب فالحل سهل بالتأكيد».

يداعب يده بقلق:

«هل إذا قمت بالتخلص من مصدر السم يا دكتور، أقصد هذا التلوث، مثلًا أبعدت مصدر هذا التلوث، قطعته نهائيًا مثلًا، ثم قمت بعملية تغير الدم مرة أخرى، سوف أكون بخير أليس كذلك؟».

الطبيب بثقة:

«بالطبع، إذا لم يوجد مصدر لتلوّث الدم الجديد، سوف تصبح بخير وبأتم الصحة والعافية».

شعر بالسعادة من حديث الطبيب:

«الحمد لله، الحمد لله، أتمنى من الله أن يعطيني من الشجاعة والقوة، لكي أستطيع أن أقطع مصدر هذا التلوّث من الأساس».

قال تلك الكلمات وهو ينظر إلى يده التي بها الخاتم بحسرة شديدة، ومن ثم تحدث إلى الطبيب من جديد:

«متى نستطيع أن نقوم بعملية تغيير الدم مرة أخرى يا دكتور؟».

مطمئنًا:

«لا تقلق، نحن لسنا بعجالة من أمرنا، خذ الوقت الذي تريده في تحضير نفسك، أي عملية نقل دم مرة ثانية لن تكون إلا بعد شهرين من الآن على الأقل».

شعر بالصدمة الشديدة:

«ماذا؟ شهران؟ مستحيل، يجب أن أقوم بتلك العملية بأسرع وقت ممكن».

«هذا غير ممكن يا أستاذ حازم، أي مريض يتعرض لعملية نقل دم متكرر على فترات قصيرة هيترتب على هذا، تراكم

كمية كبيرة من الحديد في الدم وهذا سيسبب ضرر كبير
ل للغاية على القلب، قد يؤدي إلى الوفاة، أأمن وقت هو أنا
ننتظر على الأقل ستين يومًا كاملين».

حازم يمسك رأسه مصدومًا:

«مستحيل، مستحيل يا دكتور، لقد تبقى لي أقل من بضع
وأربعين يومًا ماذا أفعل، ماذا أفعل يا ربي؟».

الطبيب ملاحظًا:

«ليس هناك حل غير هذا، لا أنا ولا أي طبيب آخر نستطيع
أن نتخذ قرارًا غير هذا حتى لا تصبح حياتك في خطر،
وإذا أردت أن تذهب إلى مستشفى أخرى أو إلى طبيب آخر
فسوف يقيس نسبة الدماء في جسدك وما مدى نسبة الحديد
بداخلها وسوف يرفضون القيام بها أيضًا، لن نستطيع خداع
الطب حتى إذا أردت يا أستاذ حازم، ولماذا أنت بعجالة هكذا،
انتظر شهرين ومن ثم ستعيش حياتك كلها سليمًا معافى
بإذن الله».

حازم وضع يده على رأسه وحدث نفسه بضيق:

«حياتي كلها سليم معافى، أنت لا تفهم شيئًا، أنت لا تفهم
شيئًا».

جلس إيهاب داخل سيارة أجرة وهو يربط كتفه بشاش
أبيض ويتحدث بالهاتف:

«كيف حالك يا حياة»، لا أنا الحمد لله بخير الآن، لقد تركوني أخرج من المستشفى وأخبروني أن أقوم بالتغيير على الجرح مرتين باليوم عن طريق أي ممرض أو أي طبيب صيدلي، نعم أنا متجه إلى المنزل الآن وأركب سيارة أجرة، لم تستطعي الوصول إلى حازم حتى الآن؟ أنا أيضًا عندما أتصل به يرن هاتفه ولكنه لا يرد، صحيح أنا لم أستطع الاتصال بك بالأمس لأن الوقت قد تأخر، أخبريني عندما ذهبتى إلى دليلة لزيارتها هل شكت في شيء؟ لم يظهر لك بعيونها أنها غير مصدقة أنني مسافر للعمل؟ جيد الحمد لله، الحمد لله، لا أريد أن أشعرها بالقلق علي، يكفي ما تمر به الآن، سوف أذهب إلى المنزل وأخذ حمامًا سريعًا ومن ثم أغير على الجرح وأذهب لها بالمستشفى لكي أطمئن عليها بنفسى، أشكرك جزيل الشكر يا حياة، مع السلامة».

أغلق الهاتف وتحدث إلى نفسه بقلق:

«يا ترى ماذا يحدث معك وتخفيه عنا يا حازم، أنا متأكد بأن هناك مصيبة ما تحدث معك ولا تريد أخبارنا، ولكن أنا لن أتركك أبدًا حتى تخبرني بكل شيء».

جلست حياة على مكتبها تتحدث بالهاتف المحمول:

«في سلامة الله يا أستاذ إيهاب».

وضعت الهاتف على المكتب أمامها سريعًا، وبتلك اللحظة دلف إلى المكتب الأخلل وجريير ينظران إلى حياة بتمعن

وبثقة شديدة وهما يتجولان بأنحاء المكتب، شعرت حياة بالريبة من أشكالهما وانقبض قلبها ولكنها حاولت أن تتشجع قليلاً وتحدث إليهما:

«نعم ياسادة، ماذا تريدان؟».

تحدث إليها الأختل سريعًا، بينما ينظر إليها جرير مبتسمًا ومن ثم أخذ يتراقص حول نفسه بالمكتب:

«هل حازم بيك متواجد الآن يا آنسة؟».

تنظر حياة باندعاش إلى جرير الذي ظل يتراقص أمامها بشكل غريب، فابتلعت ريقها وحدثتهما بقلق:

«لا يا فندم، السيد حازم غير متواجد للأسف، من حضراتكما؟ ولماذا ترغبان بمقابلته؟».

نظر إليها جرير سريعًا وهو يرفع حاجبيه، ومن ثم التف حول نفسه مرتين وهو يرقص وتوجه جهة باب مكتب حازم ففتحه وألقى نظرة سريعة عليه، ومن ثم عاد مرة أخرى إليها متراقصًا وهو يحدث الأختل:

«أووووه، يا للخسارة، إنه غير موجود بالفعل».

تصرخ عليه حياة بغضب:

«ما هذا الذي فعلته؟ كيف تسمح لنفسك أن تقتحم المكتب هكذا؟».

جرير اتجه ليجلس على المقعد أمامها سريعًا وهو يحتضن

ظهر المقعد ويحدثها مبتسقا:

«أوووه، لا تنزعجي أيتها الجميلة، أنا لا أزعج الجميلات، سوف أجيبك على كل أسئلتك، لكن سوف أسألك سؤالاً واحداً فقط بالمقابل، ما اسمك؟».

حياة تحاول أن تتصنع الجلد:

«أعطني الصبر يا الله، اسمي حياة، هل من الممكن أن أعرف من حضراتكما، وماذا تريدان؟».

جرير تحدث إلى الأخطل مبتسقا:

«أوووه، اسمها قنبلة لغوية، هل تعلم جمع اسم تلك الجميلة حياة، أخبرني بسرعة ما هو جمع حياة؟».

الأخطل بثقة:

«جمع حياة قولاً واحداً هو حيوان».

حياة مصدومة:

«ماذا؟ حيوان!».

يرفع جرير إصبعه معترضاً:

«لا.. جمع حياة «حيوات» مثل جمع فتاة تصبح فتيات، صلاة تصبح صلوات، حياة تصبح حيوات».

الأخطل بثقة شديدة:

«وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ». دي آية

صريحة من سورة العنكبوت، جمع حياة، حيوان».

يبتسم جرير وهو يتحدث إلى حياة بتودد:

«أوووه، ألم أخبرك أنها قنبلة لغوية، ما هو رأيك أنت أيتها الجميلة، جمع حياة حيوان أو حيوات؟».

حياة بضيق شديد:

«ليس لدي صبر أو متسع من الوقت لحديثكما الفارغ هذا، إما تخبراني من أنتما أو سوف أتصل بالشرطة لكي أبلغ عن اقتحامكما المكتب حالاً».

جرير يبتسم للأخطل:

«أرأيت هذا يا صديقي، إنها ليست تملك الجمال فقط بل الشراسة أيضًا».

الأخطل يشير إليه برأسه بأن يتبعه، فترك جرير المقعد على الفور والتف حول نفسه بسرعة وأشار لحياة بيده مودعًا، بينما تحدث إليها الأخطل بنبرة تهديد:

«نحن سنتركك الآن، ولن نزعجك مرة أخرى، ولن نسألك عن مكان حازم، لأنه إذا كان يختبئ أسفل صفائح الأرض فسوف نجده بكل تأكيد».

انصرف الأخطل ومعه جرير الذي أشار إلى حياة بيده مودعًا:

«إلى اللقاء يا حياة أيتها الجميلة».

ينتاب حياة الذعر الشديد بعد أن انصرفوا فتحدث نفسها مرتعبة:

«يا نهار أبيض، من هؤلاء، كاد يقف قلبي من الخوف، لا.. أنا لن أتحمل أن أجلس هنا بمفردي، سأغلق المكتب وأذهب إلى منزلي وسوف أتصل بحازم أو أرسل له رسالة ألا يأتي إلى المكتب، يانهار أبيض، ماذا يحدث لنا، أنا في غاية الرعب». وعلى الفور حملت حقيبتها وركضت مذعورة إلى خارج المكتب.

شخص يجد نفسه بعراك شديد مع حازم ولا يرى سوى يديه فقط وهي تحاول صد لكماته السريعة ثم ظلام تام. فجأة يجد الشخص نفسه بمواجهة أخرى مع حازم الذي يحطم مقعدًا على يده فيصيبها بجروح شديدة، ومن ثم إظلام.

حازم يرفع سلاحًا ناريًا على الرجل فيمسكه بسرعة من يد حازم، ثم إظلام، فجأة يجد الشخص نفسه مرتفعًا بالهواء ويحمله إيهاب وهو يحاول ضربه بيده على رأسه، ثم إظلام، فجأة يجد الشخص نفسه يحطم نافذة بجسده ويشاهد نفسه يخرج من مكان مغلق إلى خارج بناية، ثم إظلام، فجأة يجد نفسه يقترب بسرعة شديدة من سيارة موضوعه أسفل رأسًا على عقب، فيحاول أن يحتضن رأسه بيديه ليمنعها من التحطم فوق جسد السيارة، ثم إظلام، فجأة يجد جسده

ينتفض بقوة شديدة، يشعر بإصابات بجميع أنحاء جسده، أصوات أبواق السيارة أسفل منه يكاد يفجر طبلة أذنه ولكنه لا يشعر بشيء لأن جميع الألم المنبعث من أطرافه وظهره سيجعله يموت من الصدمة بكل تأكيد، الدماء تخرج من أنفه وفمه ولا يستطيع التنفس، ثم إظلام، يستيقظ على ألم من جديد بأصابعه فيجد إصبعين من يده اليسرى محطمين تمامًا، حاول أن يعيد شكل العظام الطبيعي إلى أصابعه من جديد ولكنه لم يحتمل فلم يصرخ ابتلع صراخه وهو يفكر أن الحل الوحيد أمامه هو بيضة العنقاء، إظلام.

لم يعد إلى وعيه سوى عندما وجد نفسه يبتلع شيئًا صغيرًا للغاية مع بعض دماؤه بداخل بلعومه، شعر بالراحة من فعله هذا ولكنه لم يخف شعوره بالألم، ترك نفسه ينغمس في الظلام ليختفي وعيه، فهو يعلم الآن أنه لن يموت، لن تتركه بيضة العنقاء ليموت، إنه بظلام تام الآن.

وعيه غائب عن الدنيا بأكملها ولكنه شعر بشيء يخترق هذا الظلام بسرعة، إنها قوة كبيرة للغاية تغمره، تصل إلى قلبه فيدب بجسده النشاط، وعلى الفور عاد وعيه، لم يتذكر أي شيء سوى أنه قفز بحركة بهلوانية من فوق السيارة أدهشت جميع من شاهده يحتضر منذ عدة لحظات، فورة القوة تغمره، لا يشعر بأي ألم بجسده، فجميع حواسه تحاول أن تتدارك تلك القوة الغريبة التي دلفت إلى جسده، العقل مشغول بمحاولة إبعاد كل تلك القوة الفائضة عن القلب، يجب توزيعها بعيدًا بأي شكل الآن حتى لا تنفجر الأوعية

الدموية من تلك الطاقة الرهيبة، العقل يرسل تلك الطاقة الفائضة إلى القدمين فتزيد سرعتهما وقوتهما وتنتفخ الأوردة وتتسع العضلات لتحمل كل تلك الطاقة، الإنسان السريع يستطيع أن يركض بسرعة تصل إلى 70 كم بالساعة، وبذلك السرعة يستطيع أن يجتاز المائة متر في 8 ثوانٍ، أما هنا فكانت سرعته تصل إلى 85 كم بالساعة، بتلك السرعة بالفعل استطاع التغلب على سرعة بعض السيارات التي كانت تمر بطريقه، لم يشعر بالتعب أو التردد، لأنه يجب أن يركض بتلك السرعة حتى يستطيع أن يحرق كل تلك الطاقة التي تفرغ جسده، لم يعد يشعر بأي شيء، الدماء تجمدت على ملابسه وعلى وجهه، الرياح تقاوم جسده بحرارة شديدة جعلت سطح جسده يصل إلى 42 درجة مئوية أكثر من الحرارة الطبيعية بـ 9 درجات، ولهذا قام جسده بإخراج معظم المياه المخزنة بداخله على هيئة عرق لكي يخفف تلك الحرارة الغير طبيعية، ولهذا لم يكن يتوقف هذا الشخص أبدًا إلا عندما يجد مصدر مياه أمامه أيًا كان شكلها فيشرب منه بسرعة شديدة حتى ينهيه تمامًا وهو يدب قدمه في الأرض حتى لا يتوقف عن الحركة، كان مشهد هذا الشخص مخيفًا وغريبًا لأي شخص يراه يفعل ذلك، فبتلك اللحظات وبسبب الطاقة الغامرة التي أعطته إياها بيضة العنقاء أصبح شخصًا غير عادي يتعدى حدود البشر ولهذا لم يستطع أن يحتفظ بحذائه لأنه كان يمنعه عن استخدام كامل سرعته، ولم يستطع أن يحتمل ملابسه كاملة وهو مشتعل بتلك الحرارة القاتلة فترك جميع ملابسه عدا بنطاله وظل يركض وليس بعقله إلا هدف

واحد، المخبأ الآمن الذي يستطيع أن يختبئ داخله بعد أن ينهار جسده بعد نفاد بيضة العنقاء، فهذه ليست المرة الأولى التي يستخدم قوتها ولكنها المرة الأولى التي يستخدمها لكي يهرب من الموت بسبب قتال، وعندما وجد ضالته، مبنى قديم بمنطقة بعيدة، هذا هو منزله الآمن وما إن دلف إلى داخله حتى سقط أرضاً بعد أن ضغط زر الذعر المخبأ بداخل المنزل وهنا لم يعد يشعر بأي شيء بجسده سوى شعور الطاقة التي ما زالت تدب بجسده، إن شعور تلك الطاقة أشبه بشعور دبيب النمل وهو يخطو على جسدك ولكن تخيل هذا الدبيب بسبب ملايين من النمل التي تتخذ جسدك مسكناً لها وتتحرك بكل بوصة من خلاله، هذا هو شعور الطاقة المستخرجة من بيضة العنقاء، شعر بالأرض تلتف حوله بكل مكان، الأرض تدور وتدور وتدور، شعور الاسترخاء يملأ جسده ولكن شعور دبيب النمل يمنعه من أن يتيه بغيابة الجب ويسقطه في محيط أحلامه، يمنعه من أن يتفلت من حبال الوعي ليسقط ببرائن النوم والراحة وظل في تلك الحالة حتى مرور عدة ساعات ولم يعد يشعر بأي شيء آخر بعد هذا سوى الظلام، الظلام التام.

كل تلك الأحداث التي كانت تمر بعقل الفرزدق بتلك اللحظة، وما إن تذكر كل تلك الأحداث حتى هب من مكانه جالساً وهو يرتجف ويمتلئ بالعرق، شعر بدرجة حرارة شديدة بجسده وإحمرار وجهه بسبب الدماء المتدفقة إلى رأسه، نظر حوله بتمعن ليجد نفسه نائماً فوق سرير بمخبئ

الجماعة والجاحظ يقف على قرب منه يراقبه وهو وسط
عدد من رجاله، عاد بنظره سريعًا يقلب المكان إلى أن وجد
الجاحظ يقف أمامه فطأ رأسه بخجل:

«سيدي القطب».

تنهد الجاحظ وأخذ يتحدث إليه ببطء معاتبًا:

«الفرزدق، الفرزدق، الاسم الذي يسبب الرعب لمن يسمعه،
من أكثر رجالي حنكة وقوة، من أكثر الأتباع الذي أأتمنه
وأعتمد عليه دائمًا، لم أكن أعتقد يومًا من الأيام أن أراه
مهزومًا ذليلاً هكذا أمامي».

الفرزدق يستمع إلى كلماته وهو يضغط على أسنانه غضبًا
ولكنه لم يرفع عينيه أمامه، فتابع الجاحظ معاتبته:

«كانت مفاجأة غير سارة، غير محبة، عندما أبلغوني أنك
مصاب بإصابات خطيرة، إصابات اضطرتك أن تتناول بيضة
العنقاء!».

الجاحظ ألقى عليه بعض الشعر يلومه من خلاله:

إِنِّي لَسَّائِلُ كُلِّ ذِي طِبِّ

مَاذَا دَوَاءُ صَبَابَةِ الصَّبِّ

وَدَوَاءُ عَاذِلَةِ ثُبَاكِزْنِي

جَعَلْتُ عِثَابِي أَوْجَبَ الثَّخِبِ

أَوْ لَيْسَ مِنْ عَجَبِ أَسَائِلِكُمْ

مَا خَظَبْتُ عَاذِلَتِي وَمَا خَظَبِي.

فرد عليه الفرزدق بأبيات شعر يدافع بها عن نفسه:

سَتَاتِيكَ مِنِّي إِنْ بَقِيَتْ قَصَائِدُ

يُقَصِّرُ عَنْ تَحْبِيرِهَا كُلُّ قَائِلٍ

لَهَا تُشْرِقُ الْأَحْسَابُ عِنْدَ سَمَاعِهَا

إِذَا غَدَّ فَضْلُ الْفِعْلِ مِنْ كُلِّ فَاعِلٍ

وَأَنْتَ أَمْرٌ لِلضُّلْبِ مِنْ مَرَّةٍ

الَّتِي تُقَصِّرُ عَنْهَا بَسْطَةُ الْمُتَطَاوِلِ.

تبسم الجاحظ له:

«وهذا عهدي بك دائماً يا فرزدق، أنا أعلم أنه ليس هنالك من يغالبك في القوة والسرعة والحنكة، ولهذا أنا أثق أنك هُزمت بالمكيدة، ومن صنع تلك المكيدة للفرزدق أكيد هو شخص استثنائي غير عادي، ولهذا أنا أريدك أن تخبرني بما حدث معك لحظة بلحظة وبأدق التفاصيل».

الفرزدق أوماً له برأسه بخضوع:

«أمرك سيدي الجاحظ، أمرك مطاع».

أصوات عالية صاخبة تصدح بغرفة دليلة التي أحاط بها عدد من الممرضات والطبيبات ووضعن جهاز تنفس على

وجهها وطلبين من زوجها إيهاب أن يترك الغرفة، فامتثل إلى أمرهن وعيناه تكاد تفيض من الدمع، اصطحبه على الفور مدير المستشفى وهو يبعده بعيدًا عن غرفة دليلة:

«للأسف الحالة الصحية لمدام دليلة تدهورت للغاية منذ هذا الصباح ودخلت بغيوبة كاملة الآن».

مصدومًا:

«غيوبة! كانت من قبل لا تستطيع أن تتفاعل معنا أو تجيبنا، والآن حتى لن تستطيع سماعنا».

«لا أخفي عليك الأمر دخولها بغيوبة كاملة هذا تطور خطير في حالتها غير المعروفة من البداية».

«ماذا سيحدث يادكتور؟ ألن تستطيع دليلة أن تخرج من تلك الغيوبة أبدًا؟!».

«هذا بعلم الله يا إيهاب، من الممكن مثل ما دخلت في الغيوبة بمفردها تخرج منها بمفردها، لكن المتعارف عليه أنه كلما طال الإنسان بحالة الغيوبة هذا، كلما أصبح من الصعب للغاية أن يعود لوعيه مرة أخرى».

يمسك إيهاب رأسه مصدومًا، فيشعر الطبيب بالشفقة عليه:

«أعلم جيدًا أن ما أخبرك به هو صعب للغاية عليك يا إيهاب، ولكن من واجبي أن أظهر لك كل الجوانب المحيطة بحالة مدام دليلة، وما زال بالطبع عرض وكالة سي دي سي الأمريكية متواجدًا، لو رغبت في عدم المتابعة معنا».

أمسك إيهاب يد الدكتور بثقة:

«أنا أثق بك يا دكتور، وأنت أيضًا يجب أن تثق بي، إن شاء الله سوف أجد علاجًا لدليّة، أريدك أن تهتم بها على قدر استطاعتك حتى أجد علاجًا لدليّة».

«والله يا إيهاب حالة الأمل التي تتملكك أصابتنا بالعدوى بالفعل، سأظل على أمل أنا أيضًا وأثق بك، وبإذن الله ستشفى زوجتك من كل أمراضها، وأنا أرى من وجهة نظري أن فكرة مشاركة سي دي سي الأميركية في علاج مدام دليّة مهم، من الممكن أن أعرض عليهم أن يقوموا بأبحاثهم وعلاجهم عليها بشكل تعاواني معنا وتكون تحت إشرافنا وملاحظتنا، ومن الممكن أن يكون هناك أمل وخير إن شاء الله».

صافح إيهاب يد المدير بحرارة:

«أوافق على هذا الاقتراح يا دكتور، أنا موافق».

المدير أوما له برأسه:

«على بركة الله، سوف أتواصل معهم وإن شاء الله خير، بعد إذنك يا إيهاب».

«تفضل يا دكتور».

تحرك المدير مبتعدًا وتحرك إيهاب إلى خارج غرفة زوجته وظل يراقب الممرضات بتمعن وهن يعالجن زوجته، فأخذ يمسك ذراعه المصابة وهو يحث نفسه بعزم:

«أوعدك، أوعدك يا دليلة بأني سوف أفعل أي شيء بهذه الدنيا لكي أجد علاجك».

أحمد هارون يبكي بحرقه وهو يشعر بالغضب الشديد،
ويصرخ بوجه طارق بعنف:

«أشعر بالحنق والقرفة يا أنكل طارق، كل شيء نفعله
يفشل، كل طريق نسير به نهايته مسدودة، لا نعلم أين مكان
أبي، ولا نعلم كيف نثبت براءته، أشعر أنه لا يوجد لدينا أي
أمل».

طارق مهوئًا:

«لا تقل هذا يا أحمد، يجب أن تكون مؤمنًا بالله وتتحلى
بالأمل، ما ضاقت إلا فرجت، إن شاء الله ربنا سوف يحلها لا
تخف».

أحمد غاضبًا:

«لماذا ربنا فعل هذا منذ البداية، لماذا لم يساعدنا الله لكي
نظهر براءة أبي، أليس بريئًا بالفعل، لماذا لا يساعدنا الله، لماذا
يعذبنا ويغلق كل الأبواب بوجوهنا».

شعر طارق بالاستياء من حديثه للحظات، لكنه ربت على
كتفه وأخذ يحدثه باللين:

«لا، لا يا أحمد.. لا يا بني، ربنا خالقنا ومدبر أمرنا، هو القاهر
فوق عباده، ربنا لا يعذب عباده أبدًا، ربنا رحمته وسعت

غضبه ومغفرته سبقت عقابه، نحن نرى الأمور من وجهة نظرنا الضيقة للغاية من طريقة تفكيرنا البشرية الضئيلة السطحية ولكن ربنا سبحانه وتعالى هو علام الغيوب، هو أعلم منا بالحقيقة ولا يرضى أبدًا بالظلم، كن على ثقة بأن أي أمر قد قدره الله لك، مهما كان صعبًا عليك وعلى من حولك فهو بالنهاية كل الخير، أيًا كان ابتلاء ربنا لنا فهو عليه تصريحه، صدقني أنا أتحدث إليك من واقع خبرة سنين كثيرة عشتها ومررت من خلالها بالكثير من الأمور مثل هذه وأكثر ومع كل مرة كنت أندهش من تدابير الخالق سبحانه وتعالى، تدابير لم تكن أبدًا في خيالي، استغفر، استغفر ربك وادع له كي يفرج همك، هو مدبر الأمر كاشف الكروب».

نظر أحمد إلى الأرض خجلًا:

«استغفر الله العظيم، يا رب اغفر لي وساعدني كي أصل لأبي يارب».

طارق تبسم له وربت على كتفه مرة أخرى:

«رائع يا أحمد، تذكر دائمًا لا ملجأ ولا منجى من الله إلا إليه».

فجأة يرن جرس الباب، فيذهب طارق مسرعًا ليفتحه وهو مستغرب للغاية:

«من يا ترى؟ لا أحد يعلم عنوان بيتي الجديد هنا في مصر».

تحرك خلفه سريعًا أحمد، ليرى من هذا الطارق، فتح الاثنان الباب بفضول فوجدا أمامهما حازم الذي حدثهما بسرعة شديدة:

«أنا موافق أن أساعدكما لتجدا هارون يحيى ولكن بعدة بشروط».

قفز أحمد فرحًا من حديث حازم وتغيره المفاجئ ونظر إلى طارق وهو سعيد.

أخذ يبتسم طارق من رد فعله وهو يشير بإصبعه إلى أعلى:

«ماذا أخبرتك؟!».

بالقرب من غروب الشمس فوق كورنيش النيل، كان يجلس الأخطل على السور يراقب الشمس وهي تتحرك إلى مبيتها اليومي، وحوله الأطفال يلعبون والنساء والرجال يستمتعون بمشهد المغيب الممتع الممتزج بنسيم النيل الخافت، كان مشهد رائعًا يريح القلب ويحبب النفس بالحياة، ويصبح حاجزًا لخروج مكنون النفس وخبايا الروح ولهذا أطل الأخطل النظر بانعكاس الأشعة البرتقالية على المياه أسفلها وأخذ يملأ من هذا المشهد تلايب روحه.

قاطع جلسته الصافية تلك سريعًا جرير وهو يقفز فوق السور وجلس عليه هو الآخر بطريقة بهلوانية، وأعطى الأخطل زجاجة معدنية لمشروب غازي، فأخذها الأخطل

وشرب منه سريعًا وهو يتحدث إلى جرير وهو مستاء:

«أيها الأحمق لقد أخبرتك أنني أريده بطعم التفاح».

جرير ساخرًا:

«يا صديقي فلتشرب في صمت، هل تظن أن هذا المشروب به تفاح أو حتى بطعم التفاح من الأساس، اشرب كلها سموم بالنهاية، اشرب، اشرب يا أخطل بصوت عادل إمام في فيلم سلام يا صاحبي».

شعر الأخطل بالغضب:

«لقد أخبرتك مئة مرة يا أخي، الاسم هذا يشعرني بالضيق، نادني بأبو مالك يا أخي».

جرير بصق المشروب من فمه وهو يضحك بشدة:

«ههههههههه، إذا لم يرق لك اسم الأخطل هذا، لماذا استمعت إلى أوامر الجاحظ ووافقت عليه، لماذا لم تطلب منه تغييره؟».

«يا صديقي الاسم رائع للغاية، وكان يطلق على شخصية عظيمة، لكن أنت تعلم جيدًا اللمسة الخاصة بنا كمصريين، فنحيل كل شيء إلى دعاية ونسخر منها. وأنت تعلم جيدًا أنني لا أستطيع أن أعصي أمرًا للجاحظ».

جرير بتحد:

«هل تخاف منه؟».

نظر له الأخطل بثقة:

«سأكون مجنونًا بالفعل إذا لم أخف منه، بالذات أنا أكثر شخص يعلم ما هي قدراته، لقب القطب هذا لم يأت من فراغ يا جرير، أنا أقدم منك ورأيت الكثير بداخل جماعتنا».

أشاح جرير بيده وظل يشرب مشروبه بلا مبالاة، فنظر إليه الأخطل مستنكرًا:

«هل أنت غير سعيد بانضمامك لنا يا جرير؟».

ضربه جرير بقبضة يده بكتفه:

«ما الذي جعلك تظن هذا أيها الغبي؟».

«أوقات كثيرة أشعر أنك غير مقتنع بفكرنا ومبادئنا، وأنت انضمت إلينا فقط، لأنني طلبت منك هذا».

جرير يقوم بتحريك المشروب بيده عدة مرات:

«لن تفرق كثيرًا يا صديقي، كل الأمور واحدة بالنهاية، ما كنت أجيده قبل انضمامي للجماعة، هو نفسه الذي أجيده بعد انضمامي الآن، وأظن الجاحظ وافق على طلب انضمامي لكم، ليس من أجل لأنني مقتنع بالمبادئ والقيم لديكم، هو في الأول والآخر وافق لأجل الشيء الذي أبرع به ألا وهو القتل».

«نحن لا نفعل هذا لمكاسب شخصية أو انتقام يا جرير، الأمر أكبر من هذا بكثير، نحن جنود بمعركة ما بين الحق والباطل، الشر والخير».

جرير ضحك ساخرًا منه:

«بالنهاية اسمنا جنود، جنود مهمتهم القضاء على أعدائنا،
وبعد هذا نضع أي مبرر آخر يرضينا».

«عيبك أنك تأخذ الأمور بسطحية بحتة يا جرير».

«بل أنت الذي يأخذ الأمور بشكل معقد يا صديقي».

ألقى زجاجة المياه الغازية بعيدًا عنهما وقفز من فوق السور
بشكل بهلواني وهو يشير إلى الأخطل:

«هيا بنا لنقم بعملنا، هيا نحضر رأس حازم معنا».

أمسك الأخطل جرير من كتفه محذرًا:

«جرير، موت لا، الجاحظ يريد حيا».

يتنهد بضيق:

«حسنًا، سأحاول أن أكبح نفسي».

يبتسم له بخبت:

«سأحاول، لكن لن أعدك».

يضحك الأخطل على حديثه ويتحرك معه باتجاه فريستهما
الجديدة.

جلس حازم على أريكة أمام طارق الغنام وأحمد هارون
وهو يفتح لاب توب أمامه ويحدثهما.

مثل ما أخبرتكما سوف أقوم بمساعدتكما للوصول لهارون يحيى في مقابل عدة شروط، أي إخلال بتلك الشروط لن أكمل عملية البحث عنه.

أحمد فرحاً:

«نحن نوافق على أي شرط تريده».

نظر له طارق معاتباً على تسرعه، ثم تحدث إلى حازم:

«نستمع إلى شروطك أولاً يا سيد حازم».

حازم سريعاً:

«الشروط كالتالي؛ أولاً، أنا الوحيد الذي سيدير عملية البحث هذه، لن يتدخل أحد بعلمي ويسألني لماذا فعلت هذا ولماذا لم أفعل ذاك، وسأقوم بإطلاعكم على أي مستجدات أو معلومات تستحق الذكر».

طارق وأحمد ينظران إلي بعضهما البعض سريعاً، ومن ثم يتحدث طارق إلى حازم:

«حسنًا، أكمل شروطك».

«عملية البحث هذه ليست نتائجها أكيدة أبدًا، يعني هناك نسبة ما بعدم وصولنا لهارون يحيى هذا، سوف نقوم بفعل أقصى ما لدينا، ولكن بالنهاية من الممكن عملية البحث هذه لا تفضي إلى شيء، هذا أمر من الممكن حدوثه، ويجب علي أن أذكره لكما من البداية حتى لا قدر الله إذا حدث فيما بعد لا تعتقدان بأنني خدعتكما».

يظهر الاضطراب على وجه كل من طارق وأحمد الذي سأله
بخوف:

«أتعني بهذا أنك لن تجده؟ إذا لماذا نستعين بك إذا؟».

قاطع طارق على الفور:

«انتظر قليلاً يا صغيري، أخبرني كم لبثت بهذا العمل يا سيد
حازم؟».

«خمس أو ست سنوات تقريباً».

«وخلال تلك الفترة كم قضية فشلت بحلها، أقصد كم
النسب المئوية كنت قريب».

«صفر بالمئة».

يظهر الاندهاش على أحمد وطارق الذي سأله مستغرباً:

«صفر بالمئة! إذا معنى حديثك أنك لم تفشل بحل أي قضية
من قبل».

«نعم حتى الآن ليس هناك قضية لم أحلها».

تهلل وجه أحمد بالحال:

«إذا ما دمت تتمتع بكل تلك المهارة، لماذا تخبرنا بأن هناك
احتمال ألا نجده».

بعقه شديدة:

«أنا شخص عملي، كل حساباتي بالورقة والقلم، وقناعتني

دائمًا أنه ليس هناك نجاح 100% بشكل مستمر، ولهذا يجب أن نضع باعتبارنا نسبة من الفشل حتى ولو واحد بالمائة، مهما كانت ثقتي بمهارتي لن تكون على قدر خوفي من ترتيبات القدر، وهذا شرط هام من شروطي، ها.. ما قولكما، موافقان؟».

نظر طارق إلى أحمد وهو يرفع يده مستسلفًا:

«موافقان».

«الشرط الثالث، سوف تدفع لي ثلاث أضعاف ما أتقاضاه عادة، المخاطرة هذه المرة أكثر بكثير من المخاطرة التي أقوم بها بالعادة، وأنتما شاهدتما بأعينكما، الشخص الذي أتى لقتلي بمكتبي بسبب السيد هارون يحيى، ولهذا سأتقاضى منك نصف الأموال الآن والنصف الآخر عندما نعر عليه، ها.. موافق؟».

أحمد ظل ينظر إلى طارق بعيون متوسلة، شعر طارق بالشفقة عليه فتنهد وأومأ برأسه لحازم:

«موافق».

«اتفقنا، أهم أمر الآن هو أن تعتبروني كالمحامي الخاص بكم، أنا شخص لا أرى لا أسمع لا أتكلم، أية معلومة ستخبروني بها لن تتسرب لأي شخص، مهما كانت نوعها، مهما كانت قذارتها، مهما كانت محرجة لكما، لا تخفيا أي شيء، من الممكن أصغر معلومة ترونها تافهة وتستهيئنا بها توصلنا لهدفنا أو تبعده عنا تمامًا، اتفقنا؟».

حازم يمد يده إليهما ليصافحهما، فيصافحه طارق ثم أحمد وهو يبتسم:

«اتفقنا».

أخرج حازم بعض الأوراق سريعًا من أسفل حاسبه المحمول وأعطاهما لطارق:

«تفضل، قم بالتوقيع على هذا العقد وعلى هذا الشيك، ولو أردت الاستفسار عن أي شيء، أنا رهن أمرك».

طارق نظر إلى الأوراق سريعًا ووضع إمضاءه عليها وهو يحدثه مستفسرًا

«هناك سؤال واحد يدور بخلي منذ أن جلسنا، فلتجب عليه إذا سمحت».

وضع حازم العقود بحقيبة الحاسب وهو يستمع إليه باهتمام شديد:

«حسنًا، ماهو سؤالك؟».

«لقد قمت بتغيير محل سكني القديم هنا بمصر، وهذا المكان أمكث به منذ عدة أيام فقط ولا يعلم عنواني هنا أحد، كيف توصلت إلى مكاني؟».

ظهرت خيبة الأمل على وجه حازم:

«هل هذا السؤال الذي شغل بالك؟! على الرغم أنه سؤال بسيط ولا يحتاج إلى إجابة، لكن سأخبرك، كاميرات

المستشفى التي كنا بها، كانت لقطت عدة صور لسيارتك وأخذت أنا أرقام تلك السيارة وتواصلت مع المعرض الذي كنت تؤجر منه السيارة، ومن هناك توصلت إلى عنوانك».

طارق مصدومًا:

«ماذا؟ من المفترض أن بياناتي الشخصية سرية، ولا يستطيع أحد أن يصل إليها».

حازم يبتسم ساخراً:

«هههه، حضرتك بعصر المعلومات والتكنولوجيا وما زلت تعتقد أن بياناتك سرية، واضح أنك طيب للغاية يا شيخ طارق، أنت يتم التجسس على بياناتك الشخصية بكل لحظة من أول هاتفك وساعتك الشخصية وصولاً إلى منزلك وحمام سباحتك، نحن لا نعيش تحت الشمس الآن بل تحت ملايين الأقمار الصناعية التي تحتوي على معلومات عن كل لحظة يعيشها البشر بهذا الكوكب، هناك قاعدة علمية يجب أن تضعها برأسك، ما دام هناك كاشات نقدية إذا لا توجد معلومة سرية، هذا هو قانون العصر الذي نعيش به حاليًا».

أوما طارق له برأسه:

«للأسف كلامك صحيح، ممكن أسألك عن خطواتنا القادمة، متى سنبدأ نتحرك ونجهز أنفسنا للبحث عن هارون».

حازم يضع سماعة بلوتوث بأذنه:

«بدأنا البحث بالفعل، لكن أحتاج منك شيئين؛ الأول

أن تحضرا لي أي جهاز إلكتروني كان يتعامل عليه السيد هارون».

أحمد وقف سريعا:

«سوف أذهب لأحضر لك الحاسب المحمول الذي كان يعمل عليه» وتركهم وركض إلى غرفته مسرعا.

وضع حازم يده على سماعة الأذن وتحدث بها:

«ألو، حياة، اتركي أي شيء بيدك الآن، لقد قبلنا عملاً جديداً، سوف أبلغك بالتفاصيل فيما بعد».

تظهر على وجهه علامات الاندهاش فجأة:

«ماذا؟ لم تعلمي أسماء هؤلاء الاثنين؟ ألم يخبروكي ماذا يريدان مني، حسناً لا يهم، لا تذهبي إلى المكتب أبداً تلك الأيام، وحولي أي مكالمات تأتي له إلى هاتفك الخاص المؤمن. وسوف أتصرف فيما بعد».

دخل أحمد وهو يحمل الحاسب المحمول الخاص بوالده ووضعه أمام حازم، الذي التقطه منه وتابع حديثه لحياة:

«المهم الآن، سوف أقوم بعمل اتصال بـلاب توب العميل، أريدك أن تستخرجي كل البيانات التي كانت عليه».

أحمد يحدثه مضطرباً:

«الجهاز مغلق بكلمة سر، لم أستطع تخمينها أبداً».

تبسم حازم ساخراً وهو يضع فلاشه صغيرة بالحاسب:

«لقد أوصلت الكونفرتر، كم ستحتاجين من الوقت، عشر ثوانٍ، أليست كثيرة، لا تصرخي هكذا، أنا أعبت معك، هيا سلام مؤقت».

نزع السماعة من أذنه، فحدثه طارق مندهشًا:

«هل تستطيعون فك شفرة الجهاز في عشر ثواني فقط!».

هنا استمعوا إلى صوت حياة يظهر على الحاسب أمامهم وهي تحدث حازم:

«تم فتح الجهاز يا مستر حازم وأقوم بسحب كل الداتا منه وأي داتا كانت على أي جهاز إلكتروني قد تم التوصيل به من قبل».

طارق وأحمد ينظران إلى ما يحدث منبهرين، بينما يجاوبها حازم مبتسمًا من ردة فعلهما:

«جيد يا حياة، الله ينور، اقطعي الاتصال الآن وعندما أريد أن أتواصل معك سوف أخبرك».

طارق منبهزًا:

«هذا والله عجيب، وصلت لكل شيء بمجرد لمسة زر في ثوانٍ، ويا ترى هل حياة هذه بشرية أم نظام إلكتروني متطور يساعدك في عمليات بحثك؟!».

حازم ضحك بشدة:

«نظام إلكتروني إيه بس يا شيخ طارق، هل تراني آدم

عاصم مخترع ومتخصص تكنولوجيا وأشياء مثل هذا القبيل، هذه فتاة مسكينة تعمل معي تدعى حياة، لكن أستاذة كمبيوتر واتصالات وعلاقات، لا أستطيع أن أستغني عنها بعملتي أبدًا».

طارق منبهًا:

«هل تعرف آدم عاصم معرفة شخصية، هل تستطيع أن توصلني به؟».

«وكيف سأعرف آدم عاصم يا شيخ طارق، أنا أسمع عنه فقط عن طريق التلفاز والسوشيال ميديا من بعيد لبعيد، مثل ما أسمع عن حبيب هواريس، ورجال الأعمال المشاهير هؤلاء».

«والله خسارة، كنت أريد أن أشارك معه بعدة استثمارات في مصر، لكن متردد، كثير من الناس يشتكون منه ويقولون أنه متكبر ومغرور وهذه الأشياء لا أحبها ولا أحب أن أتعامل مع أصحابها».

حازم نظر إلى الحاسب وهو يحدث طارق بجدية:

«اتركا كل الأحاديث الجانبية الآن وركزا معي، أريدكما أن تخبروني بصورة سريعة هكذا عن هارون يحيى، من هو هارون يحيى ولماذا اختفى فجأة هكذا؟ ولماذا اتهمته الشرطة في جريمة قتل، أخبروني كل شيء».

يرجع طارق بظهره ويستند على المقعد وهو يتنهد:

«آااااه، ماذا أخبرك عن هارون يحيى، هارون يحيى عالم آثار مرموق، سمعت عنه أول مرة من خلال الأوساط العلمية العالمية، ذاع سيطه كالنار في الهشيم، تعرفت عليه بعد ذلك بصفة شخصية في إحدى الندوات الدورية عن الآثار في لندن، وعلى الرغم من اختلاف تخصصنا حيث كان تخصصي آثارًا إسلامية، لكن جمعتنا أهداف كثير مشتركة، مثل حب السفر والمغامرة والبحث عن الآثار المفقودة بكل مكان، كنا نتقابل بشكل دوري مرة أو مرتين في العام، نساfer مع بعضنا أو نقوم بأبحاث مشتركة سويًا، وظللنا على هذا الأمر لفترة طويلة، عشر سنوات كاملة، بعد ذلك انشغلت بالتجارة الخاصة بعائلتي قليلًا وابتعدت عن مجال الآثار ولم أقم بالسفر مثل السابق ولكن هارون لم يفقد شغفه واهتمامه أبدًا وكوّن اسفًا كبيرًا وعلاقات في مجال البحث العلمي والآثري، آخر خمس سنوات لم نكن نتواصل كثيرًا نظرًا لانشغالي مثل ما أخبرتك، لكن كنت أعلم أخباره من بعيد لبعيد وبعض الأحيان كنت أسافر له عدة أيام وأرجع مرة أخرى، ولكن ببداية هذا العام وصلت لي أخبار أنه تم اكتشاف مدينة مفقودة قديمة عن طريق هارون يحيى وبعثته، ولكن صاحب اكتشاف المدينة هذه مأساة كبيرة، حيث تم مقتل جميع أعضاء البعثة عن طريق السلاح الناري الخاص بهارون نفسه، وهذا صاحب اختفاء هارون دون أن يترك أي معلومة أو دليلًا يكشف عن ملابسات هذا الحادث ويبرئه، وطبقًا أكاد أجزم أن هناك لبسًا في هذا الأمر أو تم توريط هارون بمكيدة بشكل ما، أنا أعرف هذا الرجل منذ 15 عامًا وأعتبره أخي الذي لم

تنجبه أمي وأعلم جيدًا أنه لم يلتفت أبدًا إلى بريق المال والذهب أبدًا، أضعف الأيمان أنني قد طلبت منه أن يعمل معي في بيزنس عائلتي الذي سيضخ له ملايين الجنيهات سنويًا ولكنه رفض عرضي لأن شغفه بالسفر والاكتشافات كان على أشده، ليس من المعقول بعد كل هذا سيقتل أعضاء بعثته بسلاحه الخاصة ويتركهم عرضة للاكتشاف من قبل الشرطة من أجل آثار، رأى منها ما يسيل له اللعاب، إذا كان هو القاتل بالفعل كان على الأقل خبأ أجسادهم في أي مكان من أماكن الصحراء الشاسعة ولن يجدهم أحد، ولكن هارون ليس هذا النوع من الرجال أبدًا.

حازم تحدث إلى طارق وهو يداعب ذقنه:

«بالفعل حديثك منطقي، بالتأكيد هناك لغز لا نعلمه، ولكن ستنكشف كل الخيوط عندما نجده إن شاء الله».

أخذ يداعب حازم الخاتم بيده وهو يظهره أمام طارق ليرى رد فعله:

«ياترى، هل تعلم شيئًا عن كتاب الكنوز؟».

لا يبدي طارق أي رد فعل على الخاتم:

«إيش كتاب الكنوز هذا الذي تستمر بسؤالني عنه؟».

تظهر خيبة الأمل على وجه حازم:

«أنا نفسي لا أعلم، لكن واضح من اسمه إنه كتاب قيم، من الممكن إن هؤلاء الناس المعتقدين بأنه كتاب كنوز بالفعل،

تبحث عنه وتعتقد أن السيد هارون معه الكتاب ويخبئه ،
منهم هؤلاء من هاجموني بمكتبي قريبًا، هؤلاء أناس خطرون
يجب أن نأخذ أقصى درجات حذرنا معهم».

أحمد تحدث إليه سريعًا:

«هل تعتقد أن والدي من أرسل إلينا صورتك وأخبرنا إذا
أردنا أن نجده فعليًا بلقائك».

يرتبك حازم سريعًا:

«ماذا؟ آلااه، من الممكن، لكن هذا ليس هامًا الآن، ما يهم
هو أننا نجد دليلًا بسرعة يوصلنا للسيد هارون، وهذا يقودنا
لسؤال مهم للغاية، هل كان والدك يا أحمد يعاني من أمراض
مزمنة معينة؟».

«لا أعلم، كان لديه ضغط مرتفع وبعض أمراض أخرى، لكن
لا أتذكرها بالضبط».

حازم باهتمام شديد:

«يجب أن تتذكرها بالضبط أو على الأقل تتذكر طبيبًا أو
مستشفى كان والدك يتردد عليه وأنا سوف أتصرف».

طارق مندهشًا:

«بماذا ستفيدك معرفتك بأمراض هارون أنا لا أفهم؟».

حازم بثقة شديدة:

«بالطبع ستفيدني للغاية، لأنه إذا وجدنا مكانا نشك بأن

السيد هارون يحيى مختبئ به، نستطيع مع دمج وإضافة وصفه الجسماني والأمراض التي يحملها، سوف نبحت عن الأجانب الذين تعالجوا من هذه الأمراض منذ فترة قريبة وبالنهاية سوف نستطيع أن نتوصل إليه، لأنه مهما حاول أن يغير شكله وهيئته لكن لا يستطيع أن يغير جسده ولا الأمراض التي يحملها، وأنا استطعت أن أصل لأناس بمنتهى السهولة عن طريق أمراضهم المزمنة هذه».

طارق وأحمد ينظران بانبهار، فيبتسم طارق:

«والله أنت تستاهل أي مبلغ تطلبه، يبدو عليك أنك متخصص في عملك ما شاء الله».

هاتف حازم يرن بيده وهو يحدث طارق:

«هذا لا شيء يا شيخ طارق، نحن ما زلنا بالبداية، ثانية واحدة أرد على الهاتف».

قام بفتح سماعة البلوتوث بيده:

«نعم يا حياة، ماذا هناك؟».

حياة تتحدث إليه بفرح شديد:

«مستر حازم، هناك معلومات هامة من صفحة من صفحات كتاب اسمه كتاب الكنوز، وجدتها في اللاب توب الذي أرسلته لي، هذه المعلومة هامة للغاية، قد تفيد الأستاذ إيهاب، ولكن نتمنى من الله أن تكون صحيحة».

حازم باهتمام شديد:

«كتاب الكنوز! وستفيد إيهاب، كيف؟ أرسلها لي على الواتس آب بالحال».

«سوف أرسلها لك الآن».

حمل حازم هاتفه بيده وينظر به سريعًا، فظهرت على وجهه علامات الصدمة:

«لمسة الملائكة، هل هذا الأمر حقيقي بالفعل، يحب أن أبلغ إيهاب بهذا فورًا».

تحرك حازم من مكانه سريعًا وسط دهشة أحمد وطارق الذي يتحدث إليه بفضول:

«في إيش يا أستاذ حازم، لمسة ملائكة إيش، هل وجدتم دليلاً عن مكان هارون؟».

وضع الهاتف بجيبه بسرعة وأخرج عملة معدنية ألقى بها إلى طارق الذي أمسكها بيده سريعًا،

«سوف أخبرك فيما بعد، أمسك هذه واحتفظ به ولا تضيعها».

طارق نظر للعملة المعدنية بيده متعجبًا:

«إيش هذا؟!».

فتح حازم الباب بسرعة وتحدث إليهما مسرعًا:

«هذا سحتوت، احتفظ به معك حاليًا، سوف أترك لك اللاب توب الخاص بي حافظ عليه جيدًا، لو ضاع منك سوف

أجعلك تدفع ثمنه سلام».

يختفي حازم من أمامهما فنظر طارق إلى العملة وهو يقلبها بيده متعجبًا.

«سحت، توت».

توقف حازم أمام البناية التي يسكن بها إيهاب، وهو يهبط من سيارة أوبر سريعًا مبتسمًا وحدث نفسه فرحًا:

«ياه.. يا هوبا يا صديقي، سوف تطير من السعادة عند سماع هذا الخبر الذي أحمله لك الآن».

فجأة يظهر جرير أمام حازم وهو ينظر إليه بنظرات مخيفة:

«صدقني مهما كانت فرحته، لن تبقى مثل فرحتي أني رأيتك الآن يا زومة».

شعر حازم بالفزع من ظهور جرير المفاجئ له:

«من أنت؟».

أشار إليه جرير مبتسمًا:

«لا تستعجل هكذا، لا أريد أن أفسد لك المفاجأة».

وهنا قفز الأخطل خلف حازم وضربه بعنف شديد بمقبض سلاحه الناري، فسقط أرضًا وهو يقاوم أن يفقد وعيه بشدة.

آخر ما شاهده قبل أن يغيب عن عالم المستيقظين ويصبح

بَعَالَمِ الْمَغِيبِينَ هُوَ الْأَخْطَلُ وَهُوَ يَبْتَسِمُ لَهُ وَجَرِيرٌ يَتَقَافِزُ أَمَامَهُ
وَهُوَ يَخْرُجُ لَهُ لِسَانُهُ لِيَفِيضَهُ.

بوسط ظلام حالك وغرفة شاسعة واسعة ممتلئة بالرياح الباردة، استيقظت هنية وهي مرتاعة، تحاول أن ترى أمامها فلا تستطيع مشاهدة أي شيء سوى الظلام المحيط بها، ظلت تصرخ وهي تتلفت حولها يمينًا ويسارًا على غير هدى.

«فاروق.. فاروق، أنجدي يا فاروق، أين أنا؟ فاروق، أين أنت يا فاروق؟ أنجدي أنا خطفت، أمي، أبي، النجدة، أي أحد أنقذوني».

فجأة تكتشف وهي تتحرك أنها مقيدة من يديها وقدميها بأربطة خشنة فتصرخ مرتاعة:

«آااااااااه، ماهذا؟ من قيدني هكذا، أنا خائفة، أرجوكم أنقذوني، أرجوكم اتركوني أذهب إلى أهلي».

تتحرك هنية بالظلام فتتعرّض بشيء وتسقط على الأرض مرتاعة، تحاول أن تتلمس الأرض بجوارها بيديها فتجد شيئًا صلبًا ومكورًا بين يديها، ترفعه بفضول وتحاول أن تنظر إليه بعد أن قربته من رأسها وبدأت عيناها تعتاد قليلًا على الظلام فشاهدت بصعوبة أسنًانا وهنا دقت بناظريها أكر فوجدت أنها تحمل النصف الأعلى من جمجمة بشرية فألقته من يدها وهي فزعة وأخذت تتراجع للخلف حبوا على يديها وقدميها، وهنا وجدت نفسها وسط كومة أخرى من الجماجم البشرية فقفزت تركض بعيدة عنهم وهي تنهار من البكاء وليس على لسانها غير كلمة «أنقذوني، أنقذوني».

وكلما تحركت تتحسس أسفلها بعض العظام المتبقية من رفات سابقة أسفل قدميها، شعرت بالخوف الشديد من دهسها تلك الرفات الميتة، فلم تجد أي بد سوى الالتصاق بالحائط، فجأة سمعت صوت شيء غريب يقترب منها من جهة اليمين ومن ثم سمعت نفس الصوت يصدر من اليسار وهو يقترب بجوارها، تعالت الأصوات أكثر وأكثر وهي تقترب منها وقد ذابت بجلدها وهي ترى بصورة مشوشة أجساد أشياء مخيفة هي التي تصدر تلك الأصوات، كان واضح لها أن هناك جسدين يقتربان منها، كانت لا تراهما جيدًا لكن تستشعر وجودهما، فقدت النطق والحركة فجأة عندما شاهدت أحد تلك الأشياء يقف أمامها وأنفاسه النتنة تلتصق بوجهها، وهنا انتاب هنية رعب لم تره بحياتها، رعب ليس له مثيل لدرجة أن عقلها أغلق وعيها حتى لا تموت من شدة الصدمة والخوف وخرت مغشية عليها غائبة عن العالم وما فيه، ولم تشعر بهذين الجسدين وهما يحملانها وسط الظلام لمكان ما لا يعلم عنه أحد.

صَحِكْتُ فَقَالُوا أَلَا تَحْتَشِمُ

بَكَيْتُ فَقَالُوا أَلَا تَبْتَسِمُ!

بَسَمْتُ فَقَالُوا يُرَائِي بِهَا

عَبَسْتُ فَقَالُوا بَدَا مَا كُنْتُمْ!

صَمْتُ فَقَالُوا كَلِيلُ اللِّسَانِ
نَطَقْتُ فَقَالُوا كَثِيرُ الْكَلِمِ!
حَلِمْتُ فَقَالُوا صَنِيعُ الْجَبَانِ
وَلَوْ كَانَ مُقْتَدِرًا لَأَنْتَقِمَ!
بَسَلْتُ فَقَالُوا لَطِيشٌ بِهِ
وَمَا كَانَ مُجْتَرئًا لَوْ حَكَمَ!
يَقُولُونَ شَدْ إِذَا قُلْتُ لَا
وَأَمْعَةٌ حِينَ وَافَقْتَهُمْ!
فَأَيَقَنْتُ أَنِي مُهِمًّا أَرَدْتُ
رِضَا النَّاسِ لَا بَدَّ مِنْ أَنْ أُذَمَّ!

كان يسمع حازم تلك الأبيات بأذنه ثم فتح عينيه ببطء للحظات ثم هب واقفًا مرتاعًا ليجد نفسه بغرفة كبيرة أسفل الأرض وحوائطها بيضاء ومكتوب عليها أبيات وحكم باللغة العربية وبشكل جمالي على الطريقة الكوفية، ف شعر بالاندهاش، ولكن الاندهاش تحول إلى خوف عندما وجد الأخطل وجريير يقفون أمامه مبتسمين وحوله بعض الرجال يتوسطهم رجل كبير بالعمر تقريبًا بالعقد التاسع من عمره على أقل تقدير، لكن جسده ضخم ويبدو عليه القوة وهو يتكئ على عصي فضية مزخرفة برسومات لحيوانات خرافية متشابكة بكلمات عربية بشكل هندسي رائع، ويرتدي

جلبَابًا هندیًا أبيض فضفًا وعباءة زرقاء مزركشة بأبیات
شعر باللون الفضي تعطي منظرًا جمالیًا خلابًا وتضیف علیه
رهبة شديدة، جلس على مقعد أمام حازم وخلفه رجاله
یقفون خلفه بشكل هندسي على هيئة مثلث مقلوب، شعر
حازم بالخطر من هذا المشهد الذي یحدث أمامه وزاده
الخوف أكثر عندما وجد یدیه مقیدتين، وأیقن أنه هالك
لامحالة، ولكن صوت الرجل العجوز الرخیم هذا من روعه
قلیلًا وهو یحدثه:

«حلت أهلاً ونزلت سهلاً یا حازم».

حازم حاول فك یدیه المقیدتين أمامه وهو مرتاع:

«من أنتم؟ أين أنا؟ من أنت؟».

الجاحظ تبسم له ببطء:

«اعلم أيها الأخ البار الرحیم أیدك الله وإيانا بروح منه، بأن
اسمي هو الجاحظ».

جميع الرجال حوله یلمسون جباههم ثلاث مرات متتالية
تحية له، فشر حازم بالخوف من ردة فعلهم وابتلع ريقه
بقلق.

الجاحظ أشار بیده جهة شخص خلفه:

«وهذا شخص قابله أنت من قبل، عندما علم بوجودك أتى
لیرحب بك بنفسه».

رفع حازم عينیه ببطء إلى أعلى لیظهر الفرزدق أمامه وهو

يربط الشاش ببعض الأماكن بجسده ويقف خلف الجاحظ وهو ينظر إليه بعيون نارية، فرجع حازم للخلف وهو مصدوم:

«أنت؟!».

الجاحظ ابتسم له بخبت:

«نعم الفرزدق، بالطبع أنت مندهش للغاية أنه أمامك، كنت متيقنًا بموته أليس صحيحًا؟».

أجابه متلعثمًا:

«أنا.. أنا لم أكن أقصد بالطبع أن أؤذيه، هو من هجم على مكتبي وكان يريد قتلي».

الفرزدق نظر له بغضب، بينما ما زال الجاحظ مبتسمًا:

«ويا ترى هل تعتقد أن الفرزدق لو كان يريد قتلك، كنت ستظل حيًا حتى الآن؟».

الجاحظ يشير خلفه جهة الفرزدق:

«الفرزدق لو كان يريدك ميتًا، لكنت ميتًا بدون حتى أن تشعر».

حازم نظر له قلقًا وهو يبتلع ريقه:

«من، من أنتم؟ وماذا تريدون مني؟».

الجاحظ تحرك بمقعده وأسند ظهره للخلف:

«بالتأكيد يجب أن تعلم من نحن، أنت ضيفنا، يجب أن
تُحمل على كفوف الراحة، انزعوا قيوده».

تحرك الأختل سريعًا جهة حازم الذي كان قلقًا وقام بقطع
قيوده بسكين، ومن ثم غرزها على المنضدة أمام حازم، الذي
نظر إلى السكين مرتابًا.

الجاحظ تابعه مبتسمًا وهو ينظر للسكين:

«لا تخف، نحن نثق بك، ونريدك أن تثق بنا، ولهذا يجب أن
تأخذ واجبك، إكرام الضيف واجب».

صفق الجاحظ بيده، فدخل شخص على الفور يحمل كوبًا
صغيرًا وضعه أمام حازم، الذي ظل ينظر للكوب مرتابًا.
رمقه الجاحظ بنظرة فاترة:

«لقد أخبرتك أن إكرام الضيف واجب».

مد حازم يده إلى الكوب بتردد ومن ثم حمله ووضعته جهة
أنفه عدة مرات وتشممه.

«ما هذا المشروب، له رائحة عطرة أخاذة».

ابتسم الجاحظ:

«هذا لا شيء، انتظر فقط حتى تتذوق طعمه، اشرب لا
تخف».

نظر لهم حازم قلقًا ومن ثم رشف منه رشفة خفيفة ثم
استطعمه فشرّب منه كثيرًا وهو يستلذه:

«ما هذا، له مذاق رائع، وبه طعم رمان، لكن هناك طعم آخر غريب لكنه حلو أيضًا، ما هذا المشروب أنا لم أذق مثل طعمه بحياتي».

«هذا يا صغيري عصير رمان مثل ما أنت قلت، لكنه مخلوط بالشاي الأخضر وحبوب الشايا، وهذا مشروب يقوم بتنشيط المخ والجسم ويبث الارتياح وينقي الروح».

انتهى حازم من تناول الكوب ومن ثم شعر بالارتخاء يدب بجسده وتنهد بقوة:

«آآآآآآآآآآآه».

الجاحظ سريًا:

«بالهناء والشفاء، مطرح ما يسري يمري»

ثم أشار إلي نفسه وأشار إلى الرجال:

«كما أخبرتك، اسمي أبو حمد الجاحظ، ومن خلفي هو الفرزدق كما تعلم».

ثم يشير إلى الأخطل:

«وهذا الأخطل».

ومن ثم يشير إلى جرير:

«وهذا يدعى جرير».

يقوم جرير بتحيته من بعيد:

«زوووما، كيف حالك؟».

الجاحظ يشير إلى باقي رجالة:

«أما هؤلاء فهم رجالي سوف تتعرف عليهم إذا كان في عمري».

بنبرة تهديد:

«وبعمرك بقية».

حازم ابتلع ريقه بقلق، فقام الجاحظ بالتحدث إليه بنبرة هادئة مطمئنة:

«أنا ورجالي يا حازم، مجموعة مختارة بعناية، لنا أهداف واحدة وطموح مشترك نسعى لتحقيقه، مثل ما هو واضح من أسمائنا، إننا جماعة تحب الشعر واللغة والفلسفة والفن والجمال، تستطيع أن تطلق علينا لقب ذواقة، ذواقة نعشق كل ما هو جميل ومثير، نهل من رحيق المعرفة والعلم ولكن في نفس الوقت، نحن حراس، حراس ومدافعون لكل ما هو هش وقابل للتدمير، نبعد من يحاول أن يقترب من المعرفة المدمرة، نحاول أن نحافظ على الإنسانية من نفسها، نوجههم لكي يحيدوا عن طريق الخطر ولا ينجرفوا وراء البريق الكاذب، هذا البريق البراق الذي يجذب الفراشات للنار ويسبب احتراقها، تستطيع أن تقول إن مهمتنا تتلخص بمنع فراشات البشر من الانجذاب للهب القدر».

حازم بتوتر شديد:

«يا جماعة الخير، أنا لست من الرجال الذين يستمعون إلى هذه الكلام الرائع الرنان، أنا شخص تافه وبسيط للغاية، يبدو أنكم قد أخطأتموني بشخص آخر، أشكركم كثيرًا على مشروب الرمان بالخرشوف هذا، وسوف أنسى أنكم خطفتموني من الأساس، اتركوني أذهب إلى حال سبيلي وكما يقال يا دار ما دخلك شر».

حازم هب واقفًا من مكانه فجأة، فوجد جميع رجال الجاحظ يشهرون الأسلحة المختلفة بوجهه، فصرخ عليه الجاحظ غاضبًا:

«فلتجلس مكانك».

جلس حازم سريعًا وهو خائف:

«لقد جلست، لقد جلست».

نظر له الجاحظ بغضب شديد وحدثه ببطء:

«حذاري، ثم حذاري، أن تتكلم أو تتحرك دون أن أخبرك بذلك، ولن أحذرك مرة أخرى».

أخذ يومئ له حازم برأسه خائفًا، فتابع الجاحظ حديثه:

«من الواضح أنك لست فطيرًا مثل ما مكنت أعتقد، يبدو أنك فهمت وضعك بشكل خاطئ، أنت هنا من أجل أن تجيب على أسئلتى فقط، أين هارون يحيى؟».

حازم متوترًا:

«والله، والله العظيم ثلاثة لا أعرف هارون هذا ولا عمري رأيته بحياتي من قبل».

«وكتاب الكنوز؟».

«وأيضًا هذا الكتاب اللعين، لم أسمع عنه من قبل».

الجاحظ أشار للخاتم بيده:

«لكن وجود هذا الخاتم بيدك يخبرني بغير هذا، إنه من كنوز الكتاب».

حازم أمسك الخاتم بيده غاضبًا:

«هذا هو السبب، هذا الخاتم اللعين، هو السبب في جميع المصائب التي تنهال على رأسي».

«إنك تدعي أنك لا تعلم مكان الكتاب ولا تعرف هارون يحيى، فكيف وصلت للخاتم إذا؟».

«لم أصل له أو أسعى للحصول عليه، لقد أرسل لي ولبسته دون أن أعلم أن به سقا».

«أنت تعلم أنه مسموم! إذا فأنت تعلم أن خاتم الجاثم هذا كان مصنوعًا خصيصًا للمحكوم عليهم بالإعدام».

«أيوه لقد علمت، ولكن بعد فوات الأوان للأسف».

«ولماذا ارتديته وأنت تعلم أنه مسموم؟».

«لقد علمت بعد ما ارتديته وتورطت، واستغل القائم مقام هذا الأمر وأمرني بالبحث عن كتاب الكنوز».

الجاحظ يبدو عليه الاهتمام الشديد:

«القائم مقام؟!».

«نعم، هذا القائم مقام خرب الله بيته، هو من أرسل لي هذا الخاتم وأشركني بكل تلك الأمور على الرغم عني».

الجاحظ دأب ذقنه بيده:

«وهل القائم مقام هذا، هو الذي أرسل صورتك وعنوانك لابن هارون وصاحبه أليس كذلك؟!».

«أنار الله وجهك، بالضبط هذا ما حدث».

الجاحظ فرك يديه مبتسماً واعتدل بجلسته:

«يجب عليك أنت تحكي لي قصة القائم مقام هذا من البداية حتى النهاية وعلى أقل من مهلك».

وهنا أخذ يسترسل حازم بقصته وهو يترقق بكلامه ويتحقق من مقامه، وأثناء ذلك بدا على وجه الفرزدق الاهتمام الشديد بقصة حازم والقائم مقام وهو يستمع بحرص شديد.

إيهاب يقف أمام بنايته وهو متعرق، وينظر حوله يمينًا ويسارًا كمن يبحث عن شيء، وهو يضع هاتفه على أذنه ويتحدث من خلاله:

«أنا أمام البناية الآن يا حياة ولا أرى حازم أمامي بأي

مكان، هل أنت متأكدة أنه أتى إلى هنا بالفعل؟».

حياة تتحدث بالهاتف بقلق شديد:

«بالطبع متأكدة، لقد ذهب إليك وهو سعيد لكي يخبرك عن لمسة الملائكة».

إيهاب باهتمام شديد:

«ماذا؟ ماهي لمسة الملائكة هذه؟».

حياة بغضب:

«هذا ليس هامًا الآن، المهم أن نجد صاحبك».

إيهاب يرفع يده لأعلى بضيق شديد للحظات ومن ثم يحاول محادثتها بهدوء:

«حسنًا، حسنًا، اشرح لي أولاً ما الذي جعلك تعتقدين بحدوث أمر سيئ له؟».

حياة بقلق:

«كنا نعمل مع عميل جديد ووجدنا بيناته معلومة عن لمسة الملائكة هذه وأخبرته عنها وأراد أن يفرحك بهذا الأمر بنفسه، وذهب إلى منزلك، وكنت أتابع تحركاته مثل ما كنت أفعل دائمًا بشكل دوري، لكنه لم يتحرك من عندك لمدة ساعتين، هاتفه متواجد بنفس المكان لم يتحرك نهائيًا، وعندما أتصل به لا يرد، فقامت بالاتصال بك وأخبرتني بأنك لم تقابله أيضًا»

بدى القلق على وجه إيهاب:

«لا هذا الأمر غير مطمئن إطلاقًا، حاولي الاتصال به مرة أخرى الآن».

سمع صوتها وهي تبكي:

«أنا أفعل هذا الآن».

شعر إيهاب بالشقفة عليها للحظات، ومن ثم سمع صوت رنين صادر من أحد الحقائق بالقرب من مدخل البناية فتوجه على الفور جهة مصدر الصوت، فوجد هاتف حازم ملقى على الأرض فأمسكه بيده مصدومًا.

«وجدت الهاتف يا حياة ملقى بالقرب من مدخل البناية بالفعل».

تنهار حياة باكية:

«لقد حدث له مكروه إذا».

نظر حازم بعزم شديد إلى الهاتف بيده:

«لا تخافي يا حياة، حازم بخير بإذن الله، سوف أتصل بك فيما بعد».

أغلق الهاتف وأخذ يحدث نفسه بحنق شديد:

«أقسم بالله، إذا حدث مكروه لحازم، لن أترك من فعل هذا أبدًا وسأظل أطارده حتى آخر يوم بعمرى».

أثناء ذلك كان الجاحظ بمقره يستمع باهتمام شديد إلى

حازم الذي أخذ يسترسل بشرح ما حدث له بالتفصيل»

«وبعد قيامي بعملية تغيير دمائي وفشلها، لم أجد وسيلة أخرى للهروب بها من مصيري المحتوم للموت، غير أن أنفذ أمر القائم مقام وأجد الكتاب، وهذا كل ما حدث لي من ساعة مكالمته لي حتى ساعة وصول رجالك ظاظا وجرجير وقاموا باختطافي».

ضحك جريج بشدة وهو يشير إلى حازم بيده:

«ظاظا وجرجير، ههههههه، إن هذا الرجل مضحك، فلتضمه لجماعتنا يا سيدي».

الجاحظ أشار بيده لجريج أن يصمت، فصمت سريعًا، فلكزه الأخطل بكتفه معاتبًا فتوجع جريج بصوت مكتوم.

اعتدل الجاحظ بجلسته واقترب قليلًا من حازم:

«إذا أنت شاركت بهذه القصة كلها على غير إرادتك، وأنتك مرغم على البحث عن كتاب الكنوز حتى تتخلص من خاتم الجائم الذي بيدك».

«بالضبط، والله العظيم هذا كل ما حدث معي بالضبط يا..».

الجاحظ يومئ له برأسه مبتسمًا، ثم أشار جهة عينيه:

«الجاحظ، اسمي الجاحظ، وتعني بالعامية الذي يبرق بعينه».

حازم ابتسم له وأكمل حديثه:

«هذا كل ما حدث، يا الذي يبرق بعينيهِ، وبما أنك علمت الحقيقة بأكملها وأنه ليس لي علاقة بأي مشاكل ما بينك وبين هارون يحيى هذا، فهل من الممكن أن تتركني أرحل إلى حال سبيلي، هل من الممكن؟».

نظر له الجاحظ لعدة لحظات دون أن يبدي أي رد فعل، فساد التوتر المكان، وشعر الجميع بالقلق منتظرين ردة فعل الجاحظ وكان أكثرهم ترقبًا الفرزدق وبالطبع حازم.

بعد عدة لحظات قطع الجاحظ صمته الطويل أخيرًا وهو يرفع عصاه وينظر إليها بإعجاب:

«خلال سنوات عمري القليلة في هذه الدنيا، تعلمت ألا أنبهر بأي شخص إطلاقًا، لا أنبهر بحديثه أو طريقه ارتدائه لملابسه أو بوضعه الاجتماعي ولا بأمواله الكثيرة ولا حتى بأدبه المصطنع، ما يبهرني هو شيء واحد فقط».

الجاحظ يشير إلى رأسه بعصاه الفضية:

«عقله، عقل الإنسان وطريقة تفكيره، هذا مايجب علينا أن نبهر به، لأن الكثير من الأشخاص يكونون حمقى ويتصنعون الذكاء، وهناك من يملك الذكاء ويتصنع أنه أحمق، وأنت يا حازم، يا ترى هل أنت ذكي أم أحمق؟».

حازم متوسلاً:

«أحمق، أحمق والله، طالما وضعت الخاتم هذا بيدي دون أن أفكر وأوقعت نفسي بتلك الورطة، بالتأكيد أنا أحمق وابن

أحمق أيضًا».

الجاحظ مبتسماً:

«لا يوجد أحمق يعلم أنه أحمق يا حازم، أخبرني، ما هو الخير وما هو الشر؟».

«الخير والشر، ولماذا أجابك على هذا؟ هل تقوم باختباري؟».

«اعلم يا أخ حازم، أيدك الله و إيانا بروح منه، أن الدنيا بأكملها ماهي إلا اختبار، نحن نتنادم فقط، أريد أن أعرف وجهة نظرك، ما هو تعريفك أو فهمك للخير وللشر، أم أنك لا تستطيع التفرقة بينهم».

حازم يفكر قليلاً وهو يعرض على شفتيه ثم يومئ برأسه للجاحظ:

«أنا لا أفهم ما هو مغزاك من تلك الأسئلة ولكني سأجاريك، الخير ببساطة شديدة ومن غير تعقيد هو أي شيء نافع للناس والشر عكسه هو أي شيء مضر لهم».

الجاحظ يهز رأسه له عدة مرات وهو مبتسم:

«رائع، جيد، على حسب مفهومك هذا، لو هناك شخص يسكن بمنزله لفترة طويلة جداً، وهذا المنزل نريد أن نهدمه حتى نستطيع أن نبني مشفى لعلاج الآلاف من الناس، ومكان منزل هذا الرجل هو أنسب مكان لبناء هذا المستشفى، لكن هذا الرجل رفض ذلك، ولا يريد أن يساعد آلاف الناس، يا

ترى ماذا ستفعل، هل ستأخذ منه هذا البيت غصبًا وتحوله لمشفى؟».

«بالتأكيد سأفعل هذا».

«لكن هنا سيكون هذا الخير لآلاف الناس ولكنه الشر لصاحب المنزل، هذا المنزل الذي عاش به طوال عمره وحياته كلها وأنت أخذته منه على غير رضاه».

«بالتأكيد سوف أقوم بتعويضه وأطلب رضاه بأي طريقة كانت، هل لو كنت أنت بمكاني، كنت ستفعل شيئًا آخر؟».

«لا كنت سأفعل مثلك بالضبط، وأي شخص غيري سوف يفعل نفس ما كنا سنفعله، وهذا يعود، لأن غالبية البشر تختار العدد الكبير أمام الفرد، لا يهم هنا إذا كان الفرد هذا سيناله خير أم شر، المهم أن يضمنوا أن الغالبية العظمى تعيش بشكل جيد، وهذا لا ينبع من مفهوم الخير والشر، هذا ينبع من ثقافة ترسخت بداخلنا، أن الجماعة أهم من الفرد، هذه طبيعة الإنسان، الجندي يضحي بحياته في الحرب من أجل انتصار زملائه، وهو في تلك الحالة سيوصف بالبطل، ونحن أيضًا يا حازم، جماعة لا يهم بها الفرد، نحن يهمنا المجتمع، الناس، نحافظ على الخير لفئة كبيرة، بنفس الوقت سوف يوصف ما نفعله هذا بالشر من فئة قليلة للغاية».

أمسك الجاحظ السكين أمام حازم فجأة، فشعر حازم بالارتباك وراقبه بتوتر شديد وهو يكمل حديثه إليه:

«إذا عندما أقوم بتعذيبك الآن، تستطيع ان تسمي فعلي

هذا شر، ولكنه في الحقيقة خير، لأننا نمنع شرار الناس، من أن يصلوا للمعرفة التي سوف تكون خطر على باقي المجتمع، تخيل خاتم خطير مثل الجاثم الذي بيدك الآن، لو أصبح منتشرًا ووقع في أيدي أناس سيئة، كم بريء سيتورط مثلك، كم شرطي، كم عامل، كم طبيب سوف يصبح تحت رحمة مبتزين لا يهمهم أحد غير مصلحتهم، أنت تعتقد أن الأمر بسيط ولكنه أخطر بكثير مما تتخيل، يكفيك أن تعرف أن خاتم الجاثم هذا من أقل الكنوز المذكورة في الكتاب، هناك أسرار كثيرة لو وقعت في الأيدي الخاطئة فمن الممكن أن تهلك الملايين، تحرق العالم بأجمعه، ونحن لن نسمح بهذا أبدًا، أنا وجهة نظري أن الخير والشر ما هو غير اختيار، اختيارك، أن تأكل العنب زبيباً أو أنك تشربه نبيذاً، هذا اختيارك، وعلى اختيارك يُبنى قرارك، اختيارك أن تبقى معنا أو علينا؟».

حازم مرتابًا:

«لا أفهم ماذا تقصد؟».

«معنى حديثي أن تصبح فردًا من جماعتنا، سوف نغير اسمك من حازم وتمتلك اسمًا جديدًا يعبر عن سمو روحك، أنت تمتلك عدد من المهارات الممتازة يا حازم ونحن نقدر المهارات، ستساعدنا ونساعدك، سوف تجد كتاب الكنوز لنا وتجد الخائن هارون يحيى وفي المقابل سنخبرك بمكان المنتزعة وتتخلص من الجاثم للأبد، وليس هذا فقط، أنت ستمتلك من العلم والقوة والسطوة ما لم تحلم به طوال

حياتك، وبالطبع الأموال هذا أمر مفروغ منه لدينا، ها، ما قولك؟».

حازم بسرعة شديدة وبدون تردد:

«موافق».

ظهر الاندهاش على وجه الجاحظ ورجاله من سرعة موافقته، فسأله مرة أخرى كزيادة تأكيد على ما سمعه:

«موافق، هل وافقت أن تنضم إلينا؟».

«بالطبع موافق، لأنني سأفعل معكم مثل ما كنت سأفعل مع القائم مقام، وسوف تخلصوني من هذا الخاتم، وستعطوني نقودًا وأنا أحب النقود للغاية، بصراحة شديدة أنا كلب نقود، ولهذا أنا موافق على الانضمام لكم».

الجاحظ يصفق له مبتسمًا وهو يحدث رجاله:

«أرأيتم، أرأيتم كيف أنه شخص ذكي ويعلم مصلحته جيدًا ولهذا وافق أن ينضم لنا».

أخذ رجال الجاحظ يصفقون ويهللون وقام جرير بالصفير له مشجعًا، فشر حازم بالخجل وظل يراقبهم مبتسمًا

ظل الرجال يصفقون بينما أشار الجاحظ لجرير بعصاه:

«الغسالة».

جرير ضحك بشدة وخرج إلى الخارج، فنظر له حازم قلقًا:

«غسالة؟ ماذا تعني بالغسالة؟».

الجاحظ يبتسم له ويحدثه ببطء:

«أنت موافق؟».

حازم مبتسقا:

«نعم أنا أوافق».

يقترب منه الجاحظ مبتسماً ومن ثم يسحب السكين من فوق المنضدة و يضربها بكل قوته بفخذ حازم وهو يصرخ عليه غاضباً:

[illegible]

صرخ حازم متألماً وهو يمسك قدمه ويحاول أن يقف،
فضربه رجال الجاحظ سريعاً وثبتوه بمكانه:

«آااااااااااه، قدمي، هل أنت مجنون؟».

الجاحظ يحرك السكين يمينًا ويسارًا بفخذ حازم الذي يكاد يموت ألقًا:

«أنت الذي جنت حينما اعتقدت أنك لوهلة تستطيع أن
تخدع الجاحظ، أنا أقرأ الإنسان من نظرة واحدة، وأنت بكل
رعونة وغباء تكذب علي وأنا أنظر بعينيك».

حازم متألما:

«أنا لم أكن أكذب عليك، قدمي تؤولمني، سوف أموت».

الجاحظ ساخرًا:

«ماذا؟ ألم تكن تكذب علي، أنا آسف، أعذرني لقد أصبحت عجوزًا شكاكًا، سامحني يا حازم، سامحني يا بني، هل يا ترى مازلت موافقًا أن تكون عضوًا بجماعتنا بعد ما حدث».

نظر له حازم دون أن يتحدث، فضحك الجاحظ بصوت عالٍ:

«أرأيت، أرأيت كيف أصبحت حكيما، أنت تفكر الآن برأسك، ماذا سيحدث يا ترى، لو أخبرته بأنني موافق هل سيصدقني ولن يفعل معي مثل ما فعل أم لا؟ والمعضلة هنا أنني وافقت، ماذا كان سيحدث إذا يا ترى إذا رفضت؟ ماذا يا حازم، هل أكلت القطة لسانك؟ لاتخف».

الجاحظ يشير إلى جهة عينيه:

«أنا لن أبرق لك بعيني، صحيح، ماهو اسمي؟».

يبتلع ريقه ويجاوبه بسرعة شديدة:

«الجاحظ، سي، سيدي الجاحظ، سيدي الجاحظ».

الجاحظ يمد يده ببطء جهة جسد حازم الذي يثبتته الرجال جيدًا، وربت على فخذه الثاني غير المصاب:

«أحسن، أرأيت، أرأيت كيف أحبك، بحركة واحدة فقط علمتك أن تحترم الكبير وتحفظ الأسماء بسرعة، وتفكر جيدًا قبل أن تتكلم، وألا تكذب مرة أخرى، أرأيت، أرأيت كيف تعلمت أشياء كثيرة من أول جلسة معي، وسوف نجلس معًا كثيرًا بعد ذلك وسوف أعلمك أشياء أكثر بكثير من هذا».

مد يده بسرعة وأخرج السكين من فخذ حازم الذي صرخ وهو يتألم بشدة، فأمسك الجاحظ السكين بأطراف أصابعه متقززًا وأعطاه لأحد رجاله:

«ما هذا؟ ما هذا؟ كل هذا الدم الملوث، ارمها بعيدًا».

اقترب جرير وهو يجر غسالة ضخمة بصحبة شخص آخر:

«الغسالة يا سيدي».

الجاحظ يمسح أصابعه بمنديل بعناية:

«جيد، لقد أتت بوقتها».

تحدث إلى حازم الذي نظر لها مصدومًا:

«أخبرني يا بني، هل جريت أن تجلس داخل غسالة من قبل؟».

حازم خائفًا:

«لا لم أفعل؟».

ساخرًا:

«ولا أنا أيضًا، لهذا سنجعلك أول من يجرب هذا الإحساس ونريدك بعد أن تنتهي أن نخبرنا بتجربتك كاملة، وأنت تدور بداخلها وتسقط رأسًا على عقب».

الرجال يسحبون حازم من فوق المقعد جهة الغسالة وهو يقاومهم بشدة ويصرخ عليهم مرتاعًا:

«ماذا تفعلون، اتركوني، هل أنتم مجانيين، أيها المجانييييييييييين».

رفعه الرجال إلى أعلى وألقوه بداخل الغسالة الضخمة
وأغلقوا الباب عليه بقوة، ذهب جرير وهو يقفز متراقصًا
لوضع المقبس بالكهرباء ثم قام بتشغيل الغسالة فرحًا:
«استحمًا سعيدًا يا زوومة».

تعمل الغسالة وترتج بعنف شديد وصوتها يبتلع صرخات
حازم المختلطة بضحك الجاحظ ورجاله، بينما ظل الفرزدق
يراقب رد فعلهم من بعيد دون أن يبدي أي ردة فعل بدوره.

جلس طارق الغنام على الأريكة وهو يفكر بعمق ويداعب
ذقنه وبجواره أحمد الذي سأله قلقًا،
«هل تعتقد يا أنكل طارق أن حازم هذا سوف يجد أبي
بالفعل؟».

أجابه بثقة شديدة:

«لدي اعتقاد كبير يا أحمد أن الله قد وضع حازم هذا بطريقنا كي نصل لهارون، يبدو عليه أنه محترف ويعلم جيدًا ما يفعله، على الرغم من أنه غريب الأطوار قليلًا».

«لكنه تركنا وانصرف فجأة بدون سبب واضح أو تفسير، من المفترض أننا تعاقدنا معه وبمبلغ ليس بالقليل، من الواجب عليه أن يخبرنا بكل خطوة يخطوها».

«يبدو أنه وجد شيئًا هامًا بحاسوب والدك، على ذكر هذا الأمر، لقد ألغى كلمة السر من الجهاز، أحضره لي لتفحصه».

على الفور تحرك أحمد جهة أحد الغرف وقام بإحضار الحاسوب ووضع أمام طارق الذي تفحصه على الفور لعدة دقائق:

«لقد دلفت على آخر عمليات تمت على الجهاز، هناك ملف بي دي إف pdf، أممم هذه صورة لصفحة قديمة للغاية، يبدو عليها أنها من كتاب الكنوز المزعوم هذا، غير معقول؟ لمسة الملائكة!».

نظر أحمد إلى الشاشة بفضول ليرى ما يقرأه طارق لعدة ثوانٍ، وظهرت علامات الاندهاش على وجهه.

«هل يعقل هذا؟ هل هناك شيء مثل هذا حقيقي؟».

طارق مذهولًا:

«والله هذا شيء فوق العقل! لو هذا الأمر حقيقي، ولمسة الملائكة حقيقية بالفعل سيكون كنز نادر حقًا، لو الكتاب به أشياء مثل هذا فسيكون كتاب كنوز بلا ريب».

«بالتأكيد إذا كانت صفحة مثل هذه لدى والدي إذا فالأمر صحيح بالفعل، ووالدي تورط بتلك المشاكل بسبب كتاب الكنوز هذا».

شعر طارق بالقلق الشديد ولكنه حاول أن يخفي قلقه حتى لا يتأثر أحمد بذلك:

«الموضوع مريب يا أحمد وشائك، يجب أن نحمي أنفسنا جيدًا، سوف أتعاقد مع شركة حراسة عالمية كنت أتعامل معها في الكويت لكي يرسلوا لنا حراسة، نحن بالفعل نعلم أنه لا يوجد شيء سوف يحرسنا من قضاء الله وقدره، ولكننا سنعقلها ونتوكل».

الجاحظ ما زال جالسًا بمقره وسط رجاله يتسامرون، فنظر إلى ساعته فجأة، ففرق أصابعه وهو يشير إلى الأخطل: «يكفي هذا عليه، فلتعالجوه وتحضروه لي».

تحرك جرير والأخطل وفقًا لأمره واختفوا عن ناظره، فتلفت الفرزدق إلى الجاحظ متسائلًا:

«هل تعتقد أن حديث حازم هذا حقيقي يا سيدي؟».

الجاحظ بثقة شديدة:

«بنسبة كبيرة صحيح، من الواضح أن هناك شخصية جديدة ظهرت في طريقنا، لكن لا مشكلة يا مزاحب، وأهلاً وسهلاً بها».

«هل تعتقد أنه من الحشاشين يا سيدي».

«لا، هذا ليس أسلوب الحشاشين ولا طريقتهم أبدًا، هذا شخص يمتلك حنكة وخبرة كبيرة وشخصية قيادية أيضًا، القائم مقام ليس اسمًا اعتباطيًا أبدًا، الاسم البديل دائمًا يدل

على شخصية وتوجه الإنسان، القائم مقام هذا شخصية غامضة ومثيرة، تستحق لها حالة تجلي كاملة».

الفرزدق مندهشًا:

«حالة تجلي! لهذه الدرجة أنت مهتم بهذا القائم مقام».

الجاحظ مبتسقا:

«بالطبع مهتم، مثل القائم مقام هذا، يعلم بالتأكيد أنه عندما يبحث عن كتاب الكنوز أنني سوف أقف له بالمرصاد، وبالرغم من أنه يعلم ذلك ويعلم جيدًا من هو القطب الجاحظ وجماعته يتحداني، هذه فرصة ممتازة لك أنت وزملاؤك لكي تروا بأنفسكم كيف قمنا بالقضاء على أعدائنا ونجحنا بالحفاظ على جماعتنا وأفكارنا من تحديات ألف عام بأكملها وما زلنا مستمرين حتى الآن، سقطت ممالك ودول وإمبراطوريات، ولكن جماعة إخوان الصفاء وخلان الوفاء ما زالت موجودة».

الفرزدق يميل إلى أذنه ويهمس:

«لكن يا سيدي لا تنس أن حالة التجلي لم تنفع مع هارون يحيى».

الجاحظ بثقة:

«يجب أن تفهم أن الحالة الوحيدة التي يفشل بها التجلي، هي أن يكون هارون نفسه قد مات، وهذا ما أشعر به منذ زمن، لأنه لا يوجد طريقة ليهرب بها أحد من تحت عيني على

الأرض أبدًا، سوى أن يكون مدفونًا أسفلها».

دخل الغرفة سريعًا كل من جرير والأخطل وهما يسحبان معهما حازم الذي تم ربط فخذه بشاش أبيض وملابسه مبعثرة وشعره غير مرتب، فابتسم الجاحظ بالحال عندما شاهده:

«أهلاً، أهلاً يا حازم، احكي لنا يا بطل ماذا حدث لك وأنت تقلب رأسًا على عقب داخل الغسالة».

تملك حازم الغيظ الشديد لكنه ابتلعه كمن يبتلع الدواء غصبا، خشية غضب الجاحظ وعدم توقع ردة فعله، فحاول أن يتمالك نفسه وسأله بنبرة متوسلة:

«أريد أن أعلم، لماذا تفعلون معي هكذا؟ أنا لم أقم بأذيتكم بأي طريقة، لماذا تعاملونني هكذا؟».

الجاحظ أشاح برأسه وأعطى له جانبه معاتبًا:

«لأنك مصرّ على إزعاجنا يا حازم، ولا تستمع لطلباتنا».

شعر بالحيرة الشديدة:

«كيف لا أستمع إلى طلباتكم، وأنا وافقت على كل طلباتكم وأخبرتكم بأنني سأفعل كل ما تريدونه، وعلى الرغم من هذا قمتم بطعني بالسكين ووضعتوني داخل غسالة وكنت أوقن بأن جسدي سيتحطم وستزهق نفسي بداخلها».

«لا تخف، لا تخف، جرح السكين مجرد جرح سطحي، خدش صغير سيترك لك علامة، ووضعناك بالغسالة حتى

تتحرك الدماء بجسدك وتنتفض عضلاتك الكامنة منذ سنين طويلة، وكل تلك الأمور البسيطة هي مهمة حتى تتذكر دائمًا مقابلتنا تلك ولا تُمحي من رأسك أبدًا، ما يهم الآن أن نخبرنا جوابك النهائي، هل ستنضم إلينا؟».

هز رأسه موافقًا بسرعة، فتابع الجاحظ حديثه:

«هل ستبحث عن هارون يحيى وتحضر لنا كتاب الكنوز؟».

هز رأسه بالموافقة مرة أخرى، فوقف الجاحظ فجأة من مكانه فتراجع حازم عدة خطوات فزعًا، فتجاهله الجاحظ ورفع عصاه وهو يمكسها من المنتصف مبتسمًا:

«إذًا مبارك عليك الانضمام لنا يا حازم، أيها الأخ الكريم أيدك الله وإيانا بروح منه، من اليوم فصاعدًا سوف تكتب صفحة جديدة بحياتك، ولا تقلق أو تخشى شيئًا، نحن لن نترك هذا القائم مقام، قريبًا جدًا سوف نحضره أمامك هنا، وسنخلصك من خاتم الجاثم ونجعلك تلبسه له بيدك أنت، اذهبوا به الآن للمقر السابع وجهزوه لتأدية القسم».

وعلى الفور أعطى الجاحظ ظهره لحازم وانصرف خارج الغرفة بصحبة بعض رجاله، وسحب جرير والأختل حازم إلى الخارج بعد أن وضعوا غمامة على عينيه، وظل يصرخ عليهما مرتاغًا وهو لا يعلم إلى أين يذهب أو ما سيحدث له بعد هذا.

ظل يتحرك حازم بصحبة الأخطل وجريرو وهو لا يرى شيئاً، يحاول أن يستمع لأصوات مألوفة فلم يستمع إلى شيء إلا ثرثرة مصحابيه، فكر قليلاً بهدوء بعد أن أخذ الخوف والصدمة عقله، هل من المحتمل أنهم سوف يقتلوه، ظل يفكر بعدة سيناريوهات لذلك فوجد أنه ليس هناك سبب لذلك، فهو قد رأى اقتناع الجاحظ بقصة القائم مقام بالفعل، ولا يعلم سبب ذلك ولكنه اعتقد أن الجاحظ يملك بالتأكيد معلومات أكدت صدق حديده وأعلمته بأنه لا يخدعه، فوصل بتفكيره إلى حد اليقين بأنهم لن يستطيعوا أن يتخلصوا منه، فهم يبدو عليهم أنهم مستमितون بإيجاد كتاب الكنوز هذا أكثر من إيجاد هارون يحيى بالفعل.

وهنا دارت برأسه أفكار كثيرة، مثل ما ماهية شخصية هارون يحيى ذلك؟ على حسب وصف صديقه يبدو أنه شخصية مثالية تكاد يخرج لها جناحان وتتحول إلى ملاك منزل من السماء، وعلى حسب سماع سيرته من الجاحظ ورجاله، فيبدو عليه أنه شيطان سيفعل أي شيء للحصول على مبتغاه، ولكن من وجهة نظره التي كونها سريعاً أن هارون يحيى يمتلك الصفتين، الشر المطلق والطيبة المطلقة أي أنه ممثل قدير استطاع أن يخدع عائلته وأصدقائه وبذات الوقت استطاع أن يخدع تلك الجماعة الرهيبة المخيفة وأخذ منهم كتاب الكنوز، ما ماهية هذا الكتاب؟ وهل ما قرأه عن لمسة الملائكة هذا صحيح؟! هل كتاب الكنوز هذا ممتلئ بتلك الأشياء بالفعل، لقد أثار هذا الكتاب

فضوله بالتأكيد واتخذ قراره إذا لم يكن هناك القائم مقام
والجاحظ ورجاله أو حتى خاتم الجاثم وسمه وحياته التي
على المحك، لكان فضوله قاده للبحث عن هذا الكتاب بنفسه
وتحمل ما يصاحبه من مخاطر.

عاد حازم إلى الاستماع إلى ما يحدث حوله ومحاولة
معرفة بيئته، يبدو أنه قد مر الآن ما يقارب من العشر دقائق
وهم يتحركون، يصعدون مرتفعات ويهبطون درجات يبدو
أنهم بمكان تحت الأرض، المكان أصبح أكثر حرارة الآن،
فيبدو عليهم قد اقتربوا إلى المخرج ويبدو أن هذا المقر
بمكان ما بالصحراء، ظل يتحرك حازم وهو مندهش على
قدرة قدمه على الحركة بسهولة، فهو لم يعد يشعر بالألم من
ضربة السكين بفخذه، هل وضعوا عليه أعشابًا معينة عند
علاجه تمنعه من الإحساس بالألم، إنه لا يشعر بالخدر بجسده
وحواسه جميعها تعمل بشكل طبيعي، إذا لم يكن هذا علاجًا
كيميائيًا، إذا بالفعل هو علاج عشبي، ويبدو أنهم يملكون
معرفة طبية عشبية رائعة مكنتهم من معالجه ومداواة
قدمه بسرعة هكذا، لا عجب أن الفرزدق هذا قد نجى من
تلك السقطة التي حدثت له بمكتبه، ولكن لا.. مستحيل، لا
يستطيع أحد أن ينجو من هذا، لا بد أن هناك سر ما لا أعرفه،
هذا ما كان يدور برأس حازم هنا وهو لا يعلم أنه قد وصل
هو ومرافقه إلى وجهتهم، مرأب (جراج) تتكدس به عدة
سيارات.

ووقفوا أمام سيارة دفع رباعية ليركبوها، ولكن توقفوا

بالحال عندما شاهدوا الفرزدق يتحرك بالجراج خلفهم
ويتقدم جهتهم، شعر الأخطل بالقلق والتوتر أما جرير
فارتسمت على وجهه ابتسامة كبيرة، وقف الاثنان أمام حازم
ليحموه، فشعر حازم بالقلق من فعلهم دون أن يعلم ما يحدث.
ظل يتقدم الفرزدق ناحيتهم حتى وقف أمامهم بتحدٍ،
وعلى الفور وضع جرير وهو يبتسم سكينًا بالقرب من بطن
الفرزدق والأخطل وضع مسدسه على رأسه، فلم يعبأ الفرزدق
بأسلحتهم المصوبة تجاهه وظل ينظر لهم بتحدٍ، فساد
الصمت وأجواء الترقب المكان وارتفع الإدرينالين بأجساد
الثلاثة وهم بوضع الاستعداد، هذا الهدوء المخيف الذي حلّ
على المكان أصاب حازم بالاضطراب فأخذ يسألهم بتوتر:
«ماذا يحدث؟».

نظر له الفرزدق بغيظ شديد ومن ثم تنهد وهو يزيح
مسدس الأخطل من فوق رأسه:

«أنا لست مجنونًا لكي أعادي الجاحظ وأكسر أوامره بسبب
شخص مثل هذا».

هز الأخطل له رأسه متفهمًا ثم سحب سلاحه من جهة رأسه
بينما ظهرت خيبة الأمل على وجه جرير الذي تحدث إليه
حزينًا:

«يا للأسف، كنت أريد أن نتقاتل، ونرى من منا سيقتل
الثاني أسرع من الآخر».

نظر له الفرزدق بلامبالاة للحظات ثم نزع الغمامة من على وجه حازم، الذي اجتاحه الخوف الشديد عندما وجد الفرزدق أمامه وتراجع خطوة إلى الخلف متأهبا:

«أنت؟ ماذا تريد مني؟».

الفرزدق حمل بين إبهامه وسبابته شيئا دائريا صغيرا بحجم رأس عود الكبريت شفافه وبنية اللون، وأخذ يقربها من عيون حازم:

«أترى تلك الحبة الصغيرة، إنها بيضة العنقاء، تلك التي أنقذتني من الموت عندما سقطت من مكتبك».

ظهرت الصدمة على وجه حازم الذي أخذ يحقق ويدقق بتلك الحبة الصغيرة الشفافة بفضول شديد، ولكن فجأة ضربه الفرزدق بمعدته بقوة شديدة فصرخ متألما، فوضع الفرزدق يده على فم حازم ومنعه من الصراخ واقترب من أذنه وهو يصرخ عليه:

«تذكر دائما يا حازم، أنك ما زلت حيا أنت وصاحبك لأن الجاحظ كان يريد هذا، وعندما يغير رأيه، تأكد حينها أنك ستري وجهي وسيكون آخر شيء تراه بهذه الدنيا».

وضع الأخطل يده على سلاحه الناري متحسسا إياه يرقب فعل الفرزدق، بينما أشار جرير بإصبعه جهة نفسه وهو يضحك:

«هذا لن يحدث يا فرزدق لأنني سوف أقتله قبلك» وظل

يضحك بشدة.

ترك الفرزدق حازم الذي ظل ينظر له مصدومًا دون أن يتحدث، فأعطى الفرزدق ظهره لهم وانصرف مغادرًا.

وضع الأخطل الغمامة على وجه حازم مرة أخرى وتحرك جهة مقعد السائق، بينما جرير قام بوضع حازم بالمقعد الخلفي وأغلق الباب واتجه إلى المقعد بجوار الأخطل، وانطلقوا بالسيارة.

استمرت السيارة تخترق الطريق داخل الصحراء وهي تحمل حازم الذي كان صامتًا لا يتحدث أو يصدر أي صوت، بينما يقود الأخطل السيارة وبجواره يجلس جرير متذمرًا:

«ماذا يا حازم، هل ستظل هادئًا هكذا؟ لا يوجد صرخ، لا يوجد استغاثة، أليس من الممكن أننا نتحرك بوسط الصحراء الآن لكي نقتلك وندفنك».

الأخطل ينهره سريعًا:

«جرير، كف عن مزاحك السخيف هذا، لا تقلق يا حازم، أنت في أمان، عندما وافقت أن تنضم لنا لن نستطيع أحد أن يقترب منك بأي أذى بعد ذلك».

جرير معاتبًا:

«لماذا أخبرته؟ كنت أريد أن أتلاعب بأعصابه قليلًا».

تحدث إليهم حازم سريعًا:

«وهل من المفترض أن من ينضم لكم يظل مغمى العينين ويديه مربوطتين هكذا؟»

جرير مبتسماً:

«مجرد احترازاات صغيرة حتى حلفان القسم وتصبح واحداً منا رسمياً وحينها ستختلف الدنيا معك تماماً سوف تراها من منظور آخر لم تشاهده في حياتك».

«هل أستطيع سؤالكم عن شيء؟».

أجابه الأخطل سريعاً:

«إذا كان سؤالاً نستطيع أن نجيب عليه سنجيب».

«ما هي بيضة العنقاء هذه؟».

جرير ابتسم إلى الأخطل وتحدث إلى حازم:

«هل هذا هو سؤالك؟ هههه، حسناً سأخبرك يا زوومة، بيضة العنقاء هذه خليط من مواد غذائية قوية جداً ما أعرفه منهم حليب النحل والجينسنج وعسل الصدر اليمني وباقي مكونات أخرى لا أعلمها، المهم أن هذه المكونات قوية للغاية، قطعة صغيره منهم في حجم عود الكبريت تستطيع أن تمد طاقة لرياضي، تجعله يركض خمسة أيام متواصلة بدون أي راحة، ومن أجل ذلك نحن نستخدمها في حالات الخطر الشديدة لأنها تعطينا قوة خارقة تفوق قوة سوبر مان وتعالج الجروح وأي إصابات بسرعة شديدة جداً».

حازم بفضول:

«إذا هي غير سامة، لا تميت؟».

ضحك جرير ساخرًا منه:

«لا، ليست سامة، لكن من الممكن أن تموت بالطبع لو قلبك لم يتحملها، لكن لماذا تركت كل ما حدث معك منذ الصباح وتساءل فقط عن بيضة العنقاء؟ لماذا؟».

فجأة تنمحي الابتسامة من على وجه جرير ويرتسم الجمود مكانها وهو يبادل الأخطل النظرات ونظر الاثنان ببطء خلفهم ليشاهدا حازم يصرخ متألقًا وهو ينتفض بقوة شديدة على مقعده، شعر الأخطل بالارتباك الشديد وأخذ يصرخ على جرير بسرعة:

«انظر ماذا حدث له، يبدو أنه تناول بيضة العنقاء».

تحرك جرير بسرعة من مقعده وحاول أن يقوم بالسيطرة على حازم الذي ظل ينتفض ويصرخ بقوة، فحاول إمساكه ووقف حركته وهو مرتبك:

«اللعنة، كيف تحصل على بيضة العنقاء؟ انجدي يا أخطل، لا أستطع أن أوقفه بمفردي».

جرير أمسك المقود بارتباك شديد وهو ينظر إلى حازم وجرير بجواره:

«لن أستطيع أن أفعل شيء وأنا أقود».

فجأة صرخ حازم بقوة وقام بتمزيق قيوده بعنف ونزع

الغمامة من على عينيه وحاول جرير أن يمنعه من ذلك فلم يستطع، هجم حازم بقوة وعنف شديد على جرير بمقعده الأمامي وحاول جرير الدفاع عن نفسه بقوة فلم يستطع بسبب تفوق حازم الطاغية، حاول الأخطل مساعدة جرير ولكن اختل مقود السيارة من تحت يده فعاد إليه سريعًا وأمسكه من جديد، حازم قام بمهاجمة الأخطل أيضًا وهو يقود وحاول جرير أن يمنعه فلم يستطع.

انحرف مقود السيارة بقوة من تحت يد الأخطل، فانقلبت السيارة بقوة وعنف شديدين، فلم يشعر أحد بداخلها سوى أنهم يتقلبون كالسردين المخزن بعلبة صغيرة ملقاة من فوق منحدر، استمرت السيارة بالانقلاب أكثر من خمس مرات ومن ثم توقفت أخيرًا.

ظلام، حرارة شديدة، حلق محترق متشوق لقطرة ماء، شيء أشبه بدبيب النمل يتحرك بداخل جسده بكل مكان نبضات قلب سريعة للغاية، شعر أن قلبه يكاد ينفجر، وهنا كان لا بد أن يحاول الخلاص من كل ذلك فهبّ واقفًا على الفور، وتفتحت عيون حازم بعد غفوة سريعة بسبب الحادث، كان يتحرك مترنحًا لا يعلم يمينه من يساره، صرخ صرخة كبيرة للغاية، شعر أن جسده يمتلك طاقة ضخمة رهيبة، كان يريد إخراجها بأي طريقه، تدارك للحظات ماذا حدث له، فنظر حوله سريعًا فوجد السيارة التي كانت تقله محترقة ومقلوبة رأسًا على عقب، تلفت يمينًا ويسارًا فوجد الصحراء حوله والرمال بكل مكان والسيارة مشتعلة، كان جسده يهتز

بعنف وبه بعض السحجات والجروح فتلمس وجهه فوجد
بعض الدماء تسيل من رأسه، هنا ترمى إلى أذنه صوت جرير
يصرخ بنبرة حزينة:

«أخطل، أخطل، رد علي يا صديقي، رد علي يا أخي».

تحرك حازم مسرعًا جهة الصوت فرأى أمامه جرير يجلس
على الأرض بقدم مصابة وشبه محطمه ويحمل جسد
الأخطل المغطى بالدماء ويصرخ عليه مفجوعًا:

«حامد، رد علي يا حامد، حامد لا تمت يا حامد، لا تتركني يا
حامد، لا تتركني يا صاحبي».

جسد حازم اهتز بعنف شديد فصرخ من الألم:

«آآآآآآآآآآ، جسدي، لا أستطيع التحمل».

وهنا نظر إليه جرير بعيون مشتعلة تحمل غضب العالم كله
وصرخ فيه حانقًا:

«أنت، أنت السبب، أنت من قتل حامد، أطيب وأحن صاحب
قابله بحياتي».

حازم شعر بالصدمة الشديدة:

«أنا، أنا لم أفعل شيء، ليس لي ذنب».

وهنا شعر بجسده يشتعل فصرخ متألقًا:

«آآآآآآآآآآ، جسدي لا يحتمل».

نظر جرير إلى قدمه التي تكاد تكون محطمة، فوضع يده

على جيبه يتحسسه، وهنا شاهده حازم وهو يتحسس جيبه فعلم أنه يريد الوصول إلى بيضة العنقاء لكي يقاتله ويتغلب عليه، فركض حازم بسرعة شديدة جهته، بينما حاول جرير أن يصل إلى جيبه بسرعة وهو مرتبك ونجح بإخراج كيس صغير به بيضة العنقاء وعلى الفور حملها بيده، وقربها من فمه، فانقض عليه حازم بسرعة شديدة وأمسك بيضه العنقاء من يده ونزعها منه بعنف ولكمه بوجهه بقوة شديدة، تألم جرير ونزفت أنفه بقوة شديدة، ولكنه لم يعبأ بهذا وأخذ يصرخ على حازم بعنف وهو يضرب يديه بالأرض بجواره بغضب شديد وهو يمسك باليد الأخرى بجسد صديقه:

«لن أترك يا حازم، لو ذهبت إلى آخر العالم لن أترك، سأقتلك، سأقتلك أنت وأهلك وأصحابك ومعارفك وأي شخص قابلك في حياته، سأقتلكم جميعًا، الدنيا كلها لن تكفي في دم صاحبي أبدًا».

حازم حمل بيضة العنقاء الخاصة بجرير بيده وهو ينتفض متألقًا، نظر مصدومًا إلى جرير الذي يتوعده خلفه فرمقه للحظات وركض بوسط الطريق بسرعة شديدة، وهو يستمع لصوت جرير وهو يتباعد خلفه وهو يركض:

«سأقتلك يا حازم، هل تسمعي سأقتلك كككككككككككك».

آخر ما كان في عقل حازم هذا الوقت هي تهديدات جرير، لم يكن بحاله تسمح له أن يفكر بمدى خطورة الموقف الذي

حل به لأنه بالفعل كان بحالة يرثى لها وكان على مشارف الموت، بيضة العنقاء أعطت له طاقة ضخمة للغاية، لم يتحملها جسده أو يعلم كيف يتحكم بها، لأنه أخذها بدون أي معلومات عنها أو عن أعراضها الجانبية، كل ما جال بخاطره بتلك اللحظة أن يتخلص من كل تلك الطاقة بأي شكل أو وسيلة، ولم يجد أفضل من أن يركض، لا يهم إلى أين أو إلى متى؟ المهم أن يركض فقط، وهذا ما حدث، ظل يركض ويركض ويركض، يركض بسرعة شديدة للغاية وسط الطريق الصحراوي وجسده بأكمله تحول للحمرة، والعرق غزى جسده من كل اتجاه بطريقة عنيفة، حتى يستطيع أن يغطي قليلاً على الحرارة المنبعثة من جسده، شعر بالحر الشديد للغاية، فلم يتحمل أن يظل بتلك الحرارة العالية فنزع قميصه ثم شمر نصف بنطاله واستمر بالركض، واستمر على هذا حتى أصبح وسط عدد كبير من السيارات التي تمشي على الطريق فلفت انتباه سائقها وأخذ بعضهم يصورونه بهواتفهم، نظراً لشكله الغريب وركضه السريع الذي كان يقترب أحياناً كثيرة من سرعة بعض السيارات، أثناء ذلك توقف حازم فجأة وهو يشعر بأن صدره يشتعل، فلم تعتد رثاه على هذا القدر الكبير من الأكسجين أو بعملية الشهيق والزفير المتكررة تلك، كانت عضلاته تنقبض بقوة وترتجش كمقعد المساج، ولكن الطاقة المستخرجة من بيضة العنقاء كانت كافية بالتغطية على ذلك، فلم يشعر بالألم أو رد الفعل على استخدام عضلاته المفرطة بذات الوقت، لكن العكس مع رثته فلم تتكيف بأي وقت من الأوقات على هذا القدر المبدول من قلبه من قبل، فتوقف

ليأخذ قسطًا من الراحة لم يتعد بأي شكل من الأشكال أكثر من دقيقتين وشعر أن قلبه سوف ينفجر من فرط الطاقة مرة أخرى وعلى الفور أخذ يصرخ بصوت قوي جهوري أفزع من كان بالقرب منه من سائقي السيارات والركاب وكاد أن يسبب لبعضهم الحوادث وهم يرقبونه مرتاعين، ولكن لم يعبأ حازم بأي من ذلك، فكان لا يفكر بمنطقية أبدًا لأن عقله اللاواعي هو من اتخذ مركز القيادة بتلك اللحظة حتى لا يهلك ويموت، فكانت كل أفعاله وردود أفعاله هي مطابقة لمدى الخطر الذي يحدق به ومدى القدرة على الخلاص منه، فتلافى العقل اللاواعي الألم الذي يلم برئته وأعطاه أمرًا أن يتابع الركض من جديد، وهذا ما استجاب له حازم وظل يركض من جديد.

اقترب أكثر من التجمعات البشرية فلمح من بعيد متجّرًا كبيرًا، يقف السائقون والمارة أمامه للابتياح منه فتوجه إليه بالحال، ودلف داخله وفتح الثلاجة الخاصة به وفتح زجاجات المياه التي بداخلها وشربها بسرعة شديدة ليعوض جسده عن كل تلك المياه التي فقدتها متعرقًا ويحمي نفسه من الموت بالجفاف وقام بسحب بعضهم ووضعهم فوق رأسه بينما زبائن المحل يستعجبون من فعله، عندما انتهت زجاجات المياه من أمامه قام بفتح بعض زجاجات المياه الغازية ووضعها فوق رأسه وجسده ليخفف من درجة حرارته، اتجه إليه بعض العاملين بالمحل غاضبين من فعله، فصرخ حازم متألمًا وهو يضع يده جهة قلبه الذي ينبض بشدة، واحمر جسده وخرجت حرارة قوية من جسده من

جديد، فشعر الزبائن والعاملون بالمحل بالخوف منه وظلوا يركضون من أمامه، وعلى الفور فعل هو مثلهم أيضًا وركض بالطريق مرة أخرى، وبعد عدة أميال وقف حازم أمام سيارة يتم تصليحها وحولها بعض الركاب والميكانيكية، فقام بضرب السيارة بقوة شديدة بيده وركلها بقدمه، فأحدث بها بعض الانبعاجات وكادت السيارة أن تنقلب، فركض الركاب والميكانيكية هاربين منه عندما شاهدوه يفعل ذلك، واستمر حازم على فعل ذلك يقوم بأي شيء غير مألوف أو معتاد ولكن المهم أن يخرج طاقته الفائضة بأي شكل.

إيهاب كان يتحدث بالهاتف من داخل غرفة معيشته ويبدو عليه القلق الشديد:

«نعم يا حياة، أنا أعلم، لقد بحثت عنه بنفسي بمعظم المستشفيات، لن تجديه، ماذا؟ هل أنت حزينة لأنه ليس هناك، حرام عليك يا شيخه، إن شاء الله سوف يعود ونجده لا تقلقي، لا.. الشرطة لا يا حياة، هل سنذهب كل بضعة أيام لهم بمصيبة جديدة! لا ليس هذا وقت الشرطة إطلاقًا، أنا تحدثت مع بعض أصدقائنا من الضباط، لكي يبحثوا عنه في الأقسام بشكل ودي هكذا بدون وجود أي شبهة أو مشاكل».

فجأة سمع إيهاب صوت طرق ضخم على باب منزله، فشعر بالقلق الشديد وهو ينظر إلى الباب مرتبًا، ما زال الطرق الشديد مستمر على الباب، فتحدث إلى حياة مرتبًا:

«سوف أتحدث إليك مرة أخرى يا حياة، لأن هناك من يطرق الباب بقوة ويبدو أنه سيحطمه، لا تخافي، هل نسيتي بأني كنت ممارس قديم للفنون القتالية، سوف أتحدث إليك فيما بعد».

أغلق الهاتف بسرعة وهو ما زال يسمع صوت الطرق الذي كان يتصاعد بشكل مخيف، فانزوى على الفور داخل إحدى الغرف وعاد سريعًا وهو يحمل عصا غليظة، اقترب ببطء جهة الباب وهو متحفز والطرق ما زال شديدًا، فتح الباب بسرعة ورفع عصاه جهة الطارق وكاد يهوي بها عليه ولكنه توقف بآخر لحظة.

عندما شاهد إيهاب صديقه حازم يقف أمامه فنظر إليه نظرة سريعة من أسفل قدمه لأعلى رأسه وشاهد خلالها أن حذائه ممزق وملابسه ممزقة ومتسخة وجسده يميل إلى اللون الأحمر ونطق بكلمات خافته ثم انهار أرضًا:

«إيهاب، النجدة!».

أمسكه إيهاب سريعًا قبل أن يسقط أرضًا وهو يصرخ قلقًا:

«حازم، مابك؟ ماذا حدث لك؟».

بتلك الأثناء في مقر جماعة إخوان الصفاء، كان يهبط الجاحظ إلى داخل المقر مهرولاً وخلفه رجاله وعلى وجهه صدمة شديدة، شد انتباهه على الفور جرير وهو يصرخ باكياً

مهتاجًا وقدمه موضوعة بدخل جبس أبيض ويحاول خمسة رجال أن يمنعوه من الحركة فلم يستطيعوا، وظل يحاول التحرر بقوة منهم وهو مهتاجًا يصرخ عليهم:

«اتركوني، يجب أن أنتقم له، لا بد من قتله هو وجميع من يعرفه، اتركوني آخذ بثأري، اتركوني أنتقم لحامد، دعوني، سأقتلك يا حازم، سأقتلك».

نظر الجاحظ على يمينه فشاهد جسد الأخطل ممددًا أمامه ومغطى بقماش أبيض، فركض جهته جزعًا غير مصدق:

«هل مات الأخطل؟».

أجابه أحد رجاله بأسى:

«كان ميتًا يا سيدي قبل أن نصل له، لم نستطع فعل شيء له».

تلمس الجاحظ وجه الأخطل بأنامله بأسى شديد:

«رحمك الله يا بني، كنت من أشد المخلصين الداعمين لجماعتنا، إلى جنة الخلد ونعيم لا يبلى، أيها الأخ الكريم».

جرير ما زال يصرخ وهو يبكي بحرقة شديدة وهو يشاهد الأخطل ممددًا أمامه:

«اتركوني أيها الأوغاد، سأقتلكم كلكم، سأقتلكم جميعًا».

على الفور اتجه إليه الجاحظ وسط رجال وأمسكه من رأسه ووضعه على كتفه ثم ضربه بيده اليسرى على ظهره

فغاب جرير عن الوعي سريعًا، ترك الجاحظ جسد جرير إلى رجاله فحملوه، ثم سأل أحد رجاله بغضب:

«ماذا حدث؟ كيف مات الأخطل؟ وأين حازم الذي كان بصحبته؟».

أجابه أحد رجاله بخوف ويدعى سيراف:

«نحن، نحن لا نعلم التفاصيل يا سيدي، لكن ما فهمناه من جرير، أن حازم ابتلع بيضة العنقاء وتغلب على جرير والأخطل وانقلبت السيارة التي كانت تقلهم، والأخطل مات وجرير مصاب بشده وحازم قد هرب».

شعر بالصدمة الشديدة من حديث مساعده:

«بيضة العنقاء! وكيف تحصل حازم على بيضة العنقاء، كيف وممن؟».

«لا نعلم يا سيدي؟ لكن من الممكن أن يكون قد أخذها من جرير أو الأخطل».

«وكيف علم حازم عن بيضة العنقاء ومفعولها؟ كيف؟».

«لا أعلم يا سيدي، عندما يفيق جرير ويهدأ قليلًا سوف نفهم منه تفاصيل أكثر عما حدث».

نظر الجاحظ إلى رجاله حوله سريعًا:

«أين الفرزدق؟ أنا لا أراه».

«لقد اختفى ولا نعلم مكانه منذ الصباح يا سيدي، اختفى

فجأة بعد أن خرجت أنت على الفور».

صمت الجاحظ قليلاً وهو يفكر بعمق، فسأله سيراف
بفضول:

«ماذا نفعل الآن مع حازم يا سيدي؟ هل تحب أن نأتي به
مرة أخرى، أو نتخلص منه ثأراً للأخطل».

أشار الجاحظ بعصاه جهة سيراف:

«لا، لا يقترب أحدكم من حازم مرة أخرى، سوف نتبع
معه أسلوباً مختلفاً نهائياً، سوف نتبع أسلوب الضباع عندما
تحصل على فريستها، هو سيجتهد ويتعب في البحث عن
الكتاب ونحن سوف نتحصل عليه منه بالنهاية».

امتلل سيراف على الفور للجاحظ وهو يحييه بوضع يده
على رأسه وينحني:

«أمرك مطاع يا سيدي».

ثم نظر إلى جرير النائم خلفه:

«لكن لا أعتقد بان جرير سوف يترك حازم ويستمع إلى
أمرك، بالتأكيد سوف يريد الانتقام منه، لأنه كان يعتبر
الأخطل أخاه وليس صديقه فقط».

فكر الجاحظ قليلاً وهو يداعب ذقنه:

«إذن فلتضعوا عيونكم على جرير، لا يتحرك في أي مكان
إلا بإذن مني، وممنوع أن يتحصل على أي بيضة عنقاء مرة

أخرى بتلك الفترة، يجب ألا يطول حازم أي أذى، هو الخيط الوحيد الذي أمامنا للوصول لكتاب الكنوز، مسئولية إيجاد الكتاب أهم من حياة أي أحد منا حاليًا، حتى لو كانت حياتي أنا، الكتاب لو وقع بيد أحد غيرنا، من الممكن أن يكون سبب هلاك الكثير من البشر».

أوما سيراف له بالإيجاب:
«أمرك مطاع يا سيدي».

نظر الجاحظ إلى جسد الأخطل أمامه وتلمس وجهه بيده من جديد:

«أريدكم أن تهيئوا أخاكم الأخطل لنزفه إلى الدار الآخرة، هذا أهم أمر الآن، واستدعوا الأصمعي من ماليزيا».

تحرك سيراف ومعه عدة رجال سريعًا للخارج:
«أمرك يا سيدي، سنستدعي الأصمعي بالحال».

ربت الجاحظ على رأس الأخطل بحنان:
«إلى جنة الخلد يا بني، إلى جنة الخلد وملك لا يبلى».

بعد عدة أيام..

جلس حازم على سريره بأحد المستشفيات الخاصة وبجواره على مقعد آخر جلست حياة تقوم بتقشير بعض الفاكهة له، طرق الباب سريعًا ومن ثم دخل الغرفة كل

من طارق الغنام وأحمد هارون وبصحبتهما إيهاب وظلوا يتحدثون إلى حازم وهم يحملون بعض الهدايا له، فوضعها طارق بجواره وهو يحيه:

«يا هلا.. يا هلا، الحمد لله على سلامتك يا أستاذ حازم».

اعتدل حازم بجلسته وقام بمصافحتهم

«كيف حالك يا شيخ طارق، كيف حالك يا أحمد، لماذا أتعبتم أنفسكم بالحضور يا جماعة الخير؟».

طارق أشار إلى إيهاب بجواره:

«هذا أقل واجب يا أستاذ حازم، عندما هاتفني الأستاذ إيهاب وأخبرني عما حدث لك، حمدت ربي أنك استطعت أن تهرب من أيدي هؤلاء الأشخاص، يبدو عليهم أنهم كانوا ينوون أذيتك».

تنهد حازم بارتياح شديد:

«لا تذكرني هؤلاء الأشخاص مجانين، الحمد لله أنني استطعت الخلاص منهم، أنا بالفعل كنت سأموت بسبب بيضة العنقاء اللعينة تلك، ولكنها كانت تعطيني قوة و طاقة كبيرة أشعرتني بأني شمشوم الجبار، أنا كنت أشعر أن بداخلي طاقة وقوة إذا لم أخرجها قلبي سينفجر، أنا ظللت يومًا بأكمله أركض في الشارع حتى وصلت إلى منزل إيهاب، وهو من أرسلني إلى المستشفى بعد ذلك».

طارق بفضول:

«وأنت خلال الوقت الذي قضيته معهم يا أستاذ حازم لم تعرف من هؤلاء؟».

أجابه حازم محتارًا:

«هم أناس غريبة وعاداتهم غريبة وأسماءهم غريبة، تشعر بأنهم مبعوثون من العصر العباسي مثلًا، الذي فهمته أنهم يبحثون عن كتاب الكنوز ويقولون أن هارون يحيى هو الذي أخذه منهم، كانوا يريدون تجنيدي لصالحهم من أجل أن أبحث عن الكتاب، لكن حمدًا لله استطعت الهرب منهم، واحد رجالهم ساعدني».

فرقع أصابعه وهو يشير إلى إيهاب:

«تخيل من هذا الشخص يا إيهاب، إنه الذي هاجمنا في المكتب وألقيته أنت من النافذة واعتقدنا أنه مات، وجدته ما زال حيًا يرزق وبقوة الثور بسبب بيضة العنقاء، الذي يتناولها تعطي له قوة كبيرة وتعالج جروحه أسرع، وهو الذي أعطاني بيضة العنقاء هذه، وضعها بفمي دون أن يشعر زملاؤه، ولولاها لم أكن أستطيع الهروب أبدًا، ولكن لا أعلم لماذا فعل هذا؟».

استمع الجميع له باندعاش وكان أكثرهم حيرة هو إيهاب الذي سأله بسرعة:

«إن الأمر لغريب للغاية، كيف كان يريد أن يقتلك من قبل؟ وكيف قام بإنقاذك من جماعته؟ إنه للغز كبير».

«لا أعلم هدف هؤلاء الناس، لكن الذي متأكد منه أنهم إذا كانوا يريدون قتلي فكانوا قتلوني عندما كنت تحت أيديهم، يبدو عليهم أنهم مستميتون في البحث عن هذا الكتاب، ومن الممكن أنهم يعتقدون أنني من الممكن أكون الشخص الذي يوصلهم إليه، من أجل هذا تركوني حتى الآن».

طارق حدثه مطمئناً:

«لا تقلق يا أستاذ حازم، أنا قمت بالتعاقد مع شركة حراسة على أعلى مستوى ممكن أن تتخيله، لن يستطيع أحد أن يقترب منا بعد ذلك بسهولة إن شاء الله».

حياة تحدثهم بقلق:

«أنا أتأسف يا جماعة على ما سأقوله الآن ، لكن يجب أن يقال، يجب يا مستر حازم أن تنسحب من هذه القضية، أنا لم أفهم كافة التفاصيل بعد، لكن يبدو أن الأمر خطير وسنكون متورطين في مع أناس خطيرة جداً، نحن نعمل منذ سنوات كثيرة بهذا المجال، لم نتعرض أبداً لأي خطر مثل الذي حدث بتلك الأيام، أولاً إيهاب، ومن ثم حازم، هل سنظل ننتظر هكذا حتى نموت جميعنا؟».

هب أحمد هارون واقفاً وهو غاضب:

«ما هذا الذي تتحدثين به؟ لقد قمنا بإمضاء العقود وأعطيناه نقوداً أيضاً، كيف سترك هذه القضية، هذا لن يحدث بالطبع».

طارق تحدث إلى حازم غاضبًا:

«ما معني هذا الكلام يا أستاذ حازم، هل اتفاقنا كان اتفاق أطفال، أنا أخبرتكم بالآ تخافوا من شيء أنا سأقوم بتأمين أي مكان سوف نتحرك إليه، بمجموعة ضخمة من الحرس المحترفين وعلى أعلى مستوى في العالم، فلا يوجد داع للقلق أو الخوف، أخبرني برأيك يا أستاذ حازم لا تتركنا هكذا».

إيهاب قاطع حديثهم فجأة:

«من رأيي أن يكمل حازم في القضية كما هو، حتى يعثر على هذا الكتاب ونقوم بتسليمه للشرطة حينها، لأن هؤلاء الأشخاص لن يتركوا حازم في حال سبيله حتى لو تخلص عن البحث عنه وترك القضية وابتعد عنها تمامًا، وهم تركوا حازم بأمان حتى الآن لهذا السبب، لو تخلص حازم عن البحث عن الكتاب، لن يوجد مانع لكي لا يأذوه حينها».

نظرت إليه حياة مستنكرة:

«أنت من تقول ذلك، لست خائفًا على صاحبك، أنت نفسك قد تأذيت بسببهم».

حازم قاطعها سريعًا:

«إيهاب محق يا حياة، إذا لم أواصل البحث عن هذا الكتاب ستكون حياتي في خطر بالفعل، حتى لو لم يكن من هذا الذي يسمى الجاحظ وجماعته، فستكون من أخطار أخرى، يجب

أن أجد هذا الكتاب وفي أقل من شهر أيضًا، يجب أن نبحث عنه بسرعة، والخيط الوحيد الذي أمامنا الآن هو هارون يحيى، أنا أريدك أن تثقي بي يا حياة، أنا أعلم أننا نغامر بحياتك وندخلك في خطر ليس لك به أي دخل، لكن أنت الوحيدة التي أأتمنها على حياتي، لن يستطيع أن يساعدني في الوصول لهارون يحيى والكتاب غيرك».

علامات التردد ظهرت على وجه حياة، فنظرت له قليلًا ومن ثم أشاحت بنظرها من عليه:

«على الرغم من عدم موافقتي على هذا الأمر، ولكن سوف أفعل ما تريدونه».

رفعت حاسبًا لوحيًا صغيرًا «تابلت» بيدها أمامهم:

«لقد قمت بعمل أبحاث عن مستر هارون يحيى مثل ما طلبت».

على الفور اعتدل حازم بجلسته سريعًا، وتلفتت كل الأعين جهتها بفضول، وكان أكثرهم حازم الذي سألها بلهفة:

«رائع للغاية، أخبريني ماذا وجدتِ بالتفاصيل».

حياة تحرك شاشة التابلت بيدها وهي تحدثهم:

«مستر هارون يحيى كان يمارس السفر لفترات طويلة جدًا، لكن آخر ثلاث سنوات فقط سافر 68 مرة، وفي آخر سنة سافر 24 مرة في مختلف أنحاء العالم، وآخر مكان سافر له وسط صحراء الخليج في رحلة للكشف عن مدينة مفقودة

وهذا آخر مكان تم رؤيته به».

طارق مصدومًا:

«يا الله، هذا رقم ضخم للغاية، يا ترى لماذا كان هارون يسافر إلى كل هذه الدول؟».

أحمد بضيق:

«لايهم يا أنكل طارق، يجب أن نساfer في كل مكان ذهب إليه أبي، فمن الممكن أن نصل لأي معلومة تقربنا إليه».

حازم بثقة شديدة:

«لن تحتاج إلى السفر لكل تلك الأماكن بالطبع، سوف نقوم بتقليل تلك الأماكن لأقصى حد ممكن».

تحدث إلى حياة فجأة:

«أريدك أن تخبريني كم سفيرة مكث بها وقت طويل وكم سفيرة مكث بها أقل وقت مكن».

سأله إيهاب بفضول:

«ولماذا أكثر الأماكن التي مكث بها أطول وقت والتي مكث بها أقل وقت يا حازم؟».

بثقة شديدة:

«سأخبرك يا صديقي، تلك السفريات التي مكث بها أطول مدة، بالتأكيد كانت سفريات يقوم بها لأنه كان ينتظر أن يقابل شخصًا معينًا أو ينتظر حدوث حدث معين، ونفس

الأمر للمدة القصيرة التي يمكنها في بلد معين، كان يذهب ليستلم أو يسلم شيئًا ويسافر على الفور، ونحن عندما نقلل عدد الأماكن التي نبحث بها سنوفر على أنفسنا وقتًا وجهدًا ومصاريف نحن في غنى عنها تمامًا.

ابتسم إيهاب مذهولًا:

«أووّه يا لك من ذكي، لم تأتي برأسي تلك الفكرة أبدًا».

طارق وأحمد ظلا ينظران إلى حازم باندھاش، فغمز حازم بعينه إلى أحمد الذي ابتسم على الفور، وأخذت حياة تضغط على شاشة التابلت أمامها وعادت تتحدث إليهم من جديد:

«بتقليص الداتا التي طلبتها توصلنا، أنه قام بثلاث سفريات، جلس بهم أكثر من 20 يومًا وهناك سفريتان جلس في واحدة منهما 48 ساعة والثانية 8 ساعات فقط».

حازم سريّعا:

«ما البلدة التي سافر إليها لمدة 8 ساعات؟».

«سافر لإسبانيا وبالتحديد لمدينة غرناطة».

قفز حازم من سريره على الفور وتعلو وجهه ابتسامة الظفر:

«إذا إسبانيا هي أول الخيط الذي سيوصلنا لهارون يحيى».

وسط سكون الليل البارد، كانت تجلس حياة بغرفة معيشتها بمنزلها وحيدة، ترتشف من كوب الشكولاته الساخنة باستمتاع، وتنظر بشاشة حاسوبها المحمول بتركيز شديد، وخلفها يعرض التلفاز مسلسلاً أجنبيًا مليئًا بالحركة والصخب ولكنها لا تعيره أي اهتمام يذكر، ظلت تقلب في بعض الملفات أمامها وهي تسرق رشقات سريعة من المشروب الذي بيدها، لاحظت بعض المعلومات المفيدة فالتمعت عيناها على الفور ببريق الشغف، وقامت بوضع نظارة القراءة على وجهها، وأخذت تلتهم الصفحات تلو الصفحات كجائع بداخل مطعم خمس نجوم يقدم طعامًا مجانيًا، فوضعت كوب الشكولاته من يدها بسرعة وأخذت تمسك بقلم إلكتروني بيدها اليمنى ودونت بعض المعلومات المستخلصة من ساعات بحثها فوق شاشة الجهاز اللوحي الخاص بها، واستمرت على ذلك لعدة ساعات دون أن تكل أو تمل، ولم يوقفها عن انغماسها الإدماغي في البحث عن المعلومات سوى الخدر الذي استولى على نصفها السفلي والألم الذي بدأ يزداد بالحاح على كتفها وأسفل رقبتها، فجعلها تهب واقفة من مكانها وهي تتمتع بيدها وأخذت تحرك جسدها ببعض الحركات الهوائية لتدفق الدماء إلى أوردتها من جديد، بعد أن انتهت تنهدت سريعًا وأخذت تفرك أسفل رقبتها براحة يديها، وهي تتمتع برضا:

«لقد جمعت بعض المعلومات المفيدة اليوم، أريد أن أرى وجه حازم عندما أحل قضية تلك الفتاة المفقودة هنية

بمفردي، سيجن حينها وسوف أقوم بمضايقته والسخرية منه
لعدة أشهر، أنا!! أخبره أن يأخذ تلك القضية من أجل خاطري
ويرفض، انتظر يا حازم سوف أجعلك تدفع ثمن هذا غاليًا.

وضعت إصبعها بفمها بحيرة:

«لكن لماذا رفض حازم تلك القضية، وأخذ بدلًا منها قضية
هارون يحيى الخطيرة تلك، بالتأكيد هناك شيء يخفيه عني
حازم، سوف أعلم بالنهاية، فأنا لا أترك شيئًا يثير اهتمامي
دون أن أحيط بجميع المعلومات عنه».

أمسكت بيدها الحاسوب اللوحي ونظرت بشاشته وهي
تحرك بإصبعها المعلومات التي دونتها من قبل.

«أما بخصوصك يا هنية أيتها الفتاة المسكينة فأنا لن أترك
أبدًا حتى أعيدك إلى فاروق مخطوبك كي تتزوجا وتكونا
أسرة سويًا، لكن لا يجب أن أتكاسل الأمر يبدو عليه خطيرًا،
حالات الاختفاء بالقرب من هذه المنطقة للفتيات مستمرة
منذ ما يقارب الأربعين عامًا، والبلاغات عن الفتيات المفقودة
وصلت لمئات البلاغات طوال تلك الفترة، ولا يوجد أي رابط
بينهن نهائيًا، سوى أن متوسط عمر معظمهن بالعقد الثاني
والأمر الآخر أنهن يسكن بعيدًا عن منطقة المعز وضواحيها،
غير هذا لم أجد أي معلومات قد تفيدني بالتحقيقات عنهن».

تركت الجهاز اللوحي بجوار الحاسوب المحمول على سطح
مكتبها، وأمسكت رأسها تفكر بقلق.

«ماذا أفعل الآن، الوقت يمر سريعًا، والوقت هو العدو

المرعب بقضايا الاختفاء والاختطاف، كلما مر الوقت زاد الخطر على الضحية وعدم رجوعها مرة أخرى، هل يجب أن أسأل حازم عن الخطوات التالية، لا.. سيخبرني بأن أكف في البحث عن تلك الفتاة، وسيطلب مني الاهتمام بقضية هارون يحيى فقط، لن أخبره، لن أعتمد على حازم أو غيره من الرجال، نحن النساء نستطيع أن نفعل كل شيء بمفردنا، لن أذهب معهم إلى إسبانيا، وسأمكث بمصر وأكثف بحثي بمكان اختفاء هنية، بالتأكيد سوف أجد معلومة أو أي بيانات غفلت عنها الشرطة وخطيبها، هذا يحدث بكل مرة نحقق بها، ورأيت حازم يستغل تلك المعلومات بعينيهِ الخبيرتين ويتتبع الدليل إلى أدلة أخرى ويحل القضية بأكملها، لقد رأيتَه يفعل هذا آلاف المرات، واكتسبت خبرة كبيرة أستطيع استغلالها ببحثي، من يعلم فقد أستطيع أن أكون باحثة أفضل من حازم ويسطع نجمي، وأصبح نجمة مجتمعية كبيرة وأصبح أشهر منه، وحينها سيطلب مني أن يعمل معي وسوف أرفض وأرد له إهائته برفضه قبول القضية من أجل خاطري، انتظر يا حازم سوف أجعلك تعض على أصابعك من الندم».

جلست على الأريكة سريعًا وعلى وجهها ابتسامة الأحلام، وهي تتخيل نفسها تلتمع تحت أضواء الصحفيين والإعلاميين يقدقونها بكلمات المديح والإطراء، وبجوارها يسقط حازم مصدومًا مغتاظًا من نجاحها ويضرب الأرض غضبًا وحنقًا، وظلت تغوص حياة بعالم أحلامها الوردية التي أخذت به تذييق حازم جرعات الغيرة وتجعله يسكب عبرات

الندم، ولم تكن تدرك حينها بأن يحيطها الخطر المخيف الذي تمثل بوجود الفرزدق، الذي كان يتواجد بمنزلها يشاهدها تفعل كل ذلك منذ عدة ساعات من أحد أركان المنزل دون أن تشعر بوجوده نهائيًا، بينما هو يتابعها ويرمقها بتمعن ويدون كل ما تتفوه به على هاتفه كل بضع دقائق وبالنهاية، قام بتصويرها بهاتفه وهي غارقة بعالم أحلامها فوق الأريكة وهي تشاهد التلفاز، ومن ثم أرسل الصورة إلى شخص مجهول وأتبعها برسالة مقتضبة مبهمة مضمونها كالآتي:

«تم الأمر»

في صباح اليوم التالي كان حازم بداخل منزله يقوم بترتيب ملابسه وحاجياته استعدادًا لسفره إلى إسبانيا ملاحقًا لخطوات هارون يحيى، كان يملؤه الأمل بالخلاص من هذا الكابوس المزعج الذي اقتحم حياته فجأة، وكانت تلك الكارثة ممثلة بخاتم الجاثم الذي كان يقبض على إصبعه كما يقبض فك المعبان فوق رقبة فريسته، تنهد بأسف وهو يضع حذاء رياضيًا بداخل حقيبة سفره الصغيرة، فهو يعلم بأن طبيعة سفره ستكون سريعة ولن تحتاج حقائب كبيرة، هو بالفعل كان لا يعلم ماذا سيفعل هناك، فليس لديه دليل أو خيط يتبعه ليصل لمبتغاه، ولكن هذا ليس بجديد عليه فهو لديه قدرة أو مهارة إدراكية واعية أو غير واعية هو لا يعلم، لكن تتكشف الحقائق أمامه هكذا كما تتكشف أغصان الأشجار من أوراق الشجر خلال رياح خريف عاصف، خطوة

يخطوها، لمحة يلمحها، قرار يتخذه، سيؤدي لعتوره على ضالته، هكذا كان حاله في جميع حالات بحثه السابقة، ولكن تلك المرة الأخطار تلاحقه من كل اتجاه، الجميع يتربص به، جماعات سرية، شخصيات غامضة، مواد خطيرة، كتب محرمة، تلك القضية التي يحقق بها ليست مثل باقي القضايا التي مرت عليه من قبل، ولهذا كان يخشى أن تكون تلك القضية الاستثنائية يجب أن يتخذ من أجلها أفكارًا وخطوات استثنائية، وليس الاعتماد على حدسه مثل كل مرة، فالأمر هنا مختلف عن كل المرات، فتلک المرة حياته هو على المحك.

انتهى سريعًا من إعداد حقيبته فقام بسحبها ووضعها بغرفة المعيشة، وألقى بنفسه على الأريكة منهكًا، يحاول أن يهدئ من نفسه ويطمئن أنها بأن كل شيء سيكون بخير، فهو تحت حماية عدد كبير من الحرس الخاص الذي تعاقد معهم طارق الغنام، ويقفون أسفل المنزل وبأعلى سطحه ويأمّنونه من جميع الاتجاهات، ويمنعون أحدًا من الجيران أن يتقدم إلى داخل البناية سوى بعد أن يرسلوا صورته واسمه إلى حازم فيأذن لهم بالصعود، الأمر صعب ومخيف لجيرانه بالتأكيد، ولكن لحسن الحظ وجود هؤلاء الحراس منعهم من أن يفكروا أن يقدمو شكوى إليه، وظنوا أن هناك شخصية هامة تسكن البناية الآن، ووجود شخصية مثل هذه بأي مكان تقطع الألسن وتسد الآذان وتعمي العيون، فأضاف هذا الأمر ارتياحًا كبيرًا بصدر حازم وهو يعلم أنه أصبح بمأمن من الاختطاف الآن، لمح الخاتم بيده سريعًا ورفع ذراعه

ومدها صوب الضوء وظل يتأمله للحظات، كان له مشهد جميل ورائع للغاية، الأصالة والتاريخ كانت تشع منه كشروق الشمس، وكان سيشعر بالفخر والسرور من امتلاكه هذا الخاتم لولا أنه يحمل سقا زاعفًا يقربه من موته بكل دقيقة، قطع تفكيره فجأة طرقًا على الباب، جفل للحظات بسبب هذا وهو مستغرب، هل هؤلاء الحرس الخاص، ولكن لماذا لم يقوموا بالاتصال به كالمعتاد، شعر بالاضطراب حينها ولكن قاده فضوله إلى أن يتحرك صوب الباب ويفتحه بترقب وكم كانت صدمته عندما شاهد من يقف خلفه، إنه يعلم من هذا الشخص، لقد شاهده كثيرًا ولكن لا يتذكر اسمه، ابتسم الرجل من خلف الباب وقام بدفعه بهدوء ودلف إلى داخل غرفة المعيشة وسط اندهاش حازم الذي صمت وهو يحاول أن يتذكر اسم هذا الشخص، ابتسم الرجل وهو يصفحه بود:

«كيف حالك يا حازم، ماهي أخبار صحتك الآن، ماذا؟ ألم تعرف من أنا بعد؟».

هنا أمسك خلف رأسه فرحًا وهو يضحك:

«أنت، أنت الطبيب الذي قام بعملية تغيير الدماء لي، كيف حالك يا دكتور».

ابتسم الطبيب بهدوء:

«نعم، يبدو أنك تذكرتني، جيد، لكن يبدو أنك لم تعرف من أنا بعد».

شعر حازم في الحال بانقباضة بقلبه وهو يستمع إلى

حديث الطبيب، لقد علم أن هناك شيئًا خاطئًا لكنه لا يعلم ما هو فعبر عن ذلك بسؤاله بالحال:

«ماذا تعني بهذا؟ كيف تخبرني بأني تذكرتك ولكن لم أعرفك بعد! أنا لا أفهم!».

تنهد الطبيب وأخذ يتحرك بمكانه ذهابًا وإيابًا:

«اممم، ماذا حدث لك يا حازم؟ أنا أعلم أنك أذكى من هذا، حسنًا سوف أعطيك تلميحة بسيطة».

نظر إلي يده وأشار إلى الخاتم بإصبع الخنصر:

«هذا الخاتم يبدو رائعًا بيدك، يدعي الجاثم أليس كذلك، هو سبب زيارتك لي لكي تغير دمك».

أمسك حازم بيده بدون وعي وهو يفرك الخاتم بيده اليسرى:

«أنت تعلم عن الخاتم، كيف هذا؟ أنت؟».

شعر بالصدمة الشديدة ووقف ساهقًا وهو يشير بسبباته جهته:

«اللعنة، لا تقل لي أنك، أنك، القائم مقام».

رفع القائم مقام يديه الاثنين وهو يصفق له:

«أرايت، ألم أقل لك أنك ذكي».

شعر حازم بالغضب الشديد وقفز جهته وأمسكه من ملابسه بعنف:

«أنت، أنت أيها الوغد، أنت القائم مقام، أنت الذي تسببت لي بكل تلك المصائب واللعنات، منذ أن أرسلت لي هذا الخاتم اللعين، سوف أقتلك هناك الآن بسبب ما فعلته بي».

وهنا لم يكثرث إطلاقًا القائم مقام بما يفعله حازم ولم يبد أي ردة فعل عن إحكام قبضته على رقبتة من قبله، وبدلاً من ذلك اعتلت وجهه نظرة مخيفة للغاية، نظرة واحدة جعلت حازم فرائصه ترتعد، أتبعها بنبرة هادئة لكنها تحمل الكثير من التهديد والوعيد:

«حازم، يجب أن تتذكر دائماً أن لصبري حدوداً، لن أسمح لك بالانفجار الطفولي مثل هذا مرة أخرى، هل فهمت».

أطبق الخوف على حازم، حدسه المعتاد أخبره أنه إذا استمر بفعل هذا سوف يكون بخطر كبير، لقد شعر بخوف رهيب لم يشعر به وهو مختطف أمام الجاحظ ووسط رجاله حتى، ولكم كان شعوره حينها مخيفاً، إذا هو بالفعل بخطر شديد الآن، فتراجع خطوة للخلف وهو يحاول أن يملك نفسه ويتحكم بخوفه ويبتلع ريقه، استغل القائم مقام تلك اللحظة وقام بإصلاح هندامه الذي تبعثر بسبب حازم، الذي وقف يشاهده بعيونه ويراقبه ويرسم صورته بعقله بتلك اللحظة، كان القائم مقام شخصاً قصيراً بطول 169 سم تقريباً، بشعر أملس أسود ممتزجاً ببيضاء شيبة، وجهه دائري لونه خمري، بأنف مدببة، يكتسي وجهه بنصف ذقن بيضاء، كانت ملامحه حادة ولكن تميل إلى الجمال، جسده قوي

ويده خشنة ضخمة، يرتدي حلة رمادية بلون واحد تبدو للوهلة الأولى أقرب إلى الملابس الفخمة التي يرتديها الخيالة بمسابقات الفروسية، كان مظهره أنيقًا وبارزًا يذكرك بأحد البشوات الذين نراهم بالأفلام العربية القديمة، كان شكله مغايرًا تمامًا للمرات السابقة التي شاهده حازم بها من قبل، لم يكن يتوقع أو يأتي بباله قط أن هذا الطبيب الذي قام بعملية تغيير دماؤه هو القائم مقام بذات نفسه الذي سقم دمه بخاتم الجاثم، إذا هل كان قل ما يقوله هراء، هل يستطيع أن يغير دماؤه أو أنه لا يوجد سم من الأساس بجسده، أسئلة كثيرة دارت برأسه كانت تشكك بأنه قد يكون بعيدًا عن دائرة الخطر ومن الممكن له النجاة وأن ينأى بنفسه عن كل تلك المهاترات التي مر خلالها، ولكن كل ذلك تحطم على ضحكة ساخرة من القائم مقام وهو يتحدث إليه بثقة:

«أعلم ما يدور بذهنك الآن يا حازم، ولكي أبدد كل هواجسك الفرحة تلك، لا أنت ما زلت تحت رحمتي، وسم خاتم الجاثم ما زال سيققتلك، وسواء أنا الذي قمت لك بعملية الدماء أو ألف شخص غيري، سوف تكون النتيجة كما هي، واذهب والقي بحديثي هذا عرض الحائط وقم بالكشف بنفسك مرة أخرى بأي مشفى أو لدى أي طبيب وستجد أن النتيجة واحدة، ولكن كل ما ستجنيه هو تأخير في جدول أعمالك الذي تقدم بالفعل وأصبحنا على أول خطوات البحث عن الكتاب، فكما تعلم، غرناطة مدينة جميلة وستروق لنا شوارعها مساءً».

ظهرت الصدمة على وجه حازم الذي صرخ عليه مشدوهاً:

«كيف عرفت؟ كيف عرفت أننا سنذهب إلى إسبانيا؟!».

داعب القائم مقام ذقنه بيديه:

«لم أتوقع أنك سوف تسأل تلك الأسئلة البديهية يا حازم، أنا أعلم كل ما تفعله وستفعله أولاً بأول».

انتابت حازم نوبة غضب شديدة وبدون تفكير قام بلكم القائم مقام بكل قوته، دون أن يفكر بعواقب فعله، ويبدو أنه لم يكن يكثر حينها سوى بأن يمحو تلك الضحكة الساخرة الواثقة من وجه القائم مقام، ولكن رضاه اللحظي عن لكمه حتى لم ينله، حينما وجد شخصاً يمسك قبضته بقوة ويمنعها من أن تصل إلى القائم مقام، وهنا شعر بالخوف والصدمة معاً، بوجود شخص بجوارهما لم يشاهده أو يشعر به، وحينما التقت ليرى من الذي منعه من لكم القائم مقام، كاد يجن عقله من صدمته التي منعتها حتى من النطق أو الحركة، فلم يكن الذي منعه من لكم القائم مقام سوى الفرزدق.

تراجع حازم خطوتين للخلف وهو غير مصدق ولم يستطع سوى أن يعبر عما بداخله سوى بكلمات مقتضبة:

«ال... الفرزدق!! كيف؟».

وقف الفرزدق بجوار القائم مقام الذي ضحك من رد فعل حازم بشدة، ومن ثم ربت على كتف الفرزدق الذي كان أطوله منه:

«كما ترى يا حازم، أنقذتك من الجاحظ ورجاله كما وعدتك، بل وسوف أنقذك من أي خطر آخر يظهر أمامنا خلال رحلتنا».

مستنكرًا:

«رحلتنا؟».

«نعم، فمن الآن وصاعدًا، سوف أكون مصاحبًا لك بكل خطواتك، لن تخطو خطوة دون أن أكون ملازمك خلالها، وبهذا سوف أحملك بنفسى، وسوف أسخر لك جميع الموارد التي تريدها، وسوف يحيط بك الرجال الأشداء الذين سوف يقدونك بحياتهم وليس مثل هؤلاء الضعفاء الذين كانوا يقفون أمام بنايتك».

صرخ عليهم مصدومًا:

«هل قتلتمهم؟ هل قتلتمهم؟!».

فرقع القائم مقام بإصبعه وهو يتحرك جهة باب الشقة ويفلقه:

«لا تقلق يا حازم، نحن لم نقتل أحدًا ولن نقتل أحدًا، إذا لم نضطر لهذا».

اتجه إلى جهة الفرزدق الذي كان يستمع إليه واجفًا:

«كما أخبرتك أنت بمأن ولست أنت فقط، بل أنت وأصدقاؤك ومرافقوك».

أشار إلى الفرزدق بسرعة:

«هيا لنطمئن على أصدقائه».

وعلى الفور أخرج الفرزدق هاتفه وأمسكه بيده التي كانت مربوطة بشاش أبيض وأظهر عدة صور سريعة أمام حازم. فقام الفرزدق بشرح الصور له على شاشة الفرزدق:

«كما ترى نحن نطمئن على أصدقائك أولاً بأول، فهنا تشاهد حياة مساعدتك الجميلة وهي بداخل غرفة معيشتها تعمل بكد وفلاح وبنشاط تحسد عليه».

ظهرت صدمة شديدة على وجه حازم حينما رأى صور لحياة من داخل منزلها بدون أن تشعر، بينما ارتسمت ابتسامة ساخرة على وجه القائم مقام الذي ظل يعلق على باقي الصور التي على الهاتف:

«يبدو على وجهك ملامح الاطمئنان بسبب رعايتنا لحياة بشكل شخصي، وستطمئن أكثر الآن، فمثل ما ترى نحن نرعى أيضًا صديقك إيهاب وزوجته المسكينة المريضة دليلاً، وليس هؤلاء فقط، فحن برعايتنا كذلك الشاب الصغير أحمد بن هارون يحيى وصديقه الرائع طارق الغنام، وليس هؤلاء فقط، نحن نرعى كل شخص على علاقة بك سواء من قريب أو من بعيد، سيكونون تحت ملاحظتي الشخصية أربعة وعشرين ساعة يوميًا، ولن يقترب أحد منهم أو يؤذيهم، وهذا بالطبع سيتسمر طوال عمك بكد في سبيل البحث عن الكتاب، ولكن إذا لا سمح الله فعلت شيئًا يغضبني أو يثير حنقي، بالطبع لن أضمن سلامة الجميع، أنت ترى بأننا نعيش

بحياة صعبة وكلها مخاطر والحوادث الفردية والجماعية
أيضًا تحدث كل يوم، أظن أن حديثي واضح وصريح».

وهنا لم يحتج حازم إلى أي تأويل آخر فحديث القائم مقام
بالفعل واضح وصريح، وفعل ما لم يفعله الجاحظ ورجاله
عندما اختطفوه فإنهم لم يشيروا إلى أصدقائه من قريب
أو من بعيد، وبالتأكيد هم يعلمون عنه كل المعلومات وعلى
الرغم من هذا لم يدخل أي شخص بريء ليس له أي علاقة
بالأمر بقصتهم، على عكس القائم مقام الذي هدده بأصدقائه
بل بكل شخص يعرفه، كان حازم يقيم سريعًا ما سيكون
رده خطواته القادمة، هل سيتسمر بالتعامل مع القائم مقام
هذا الشخص الخطير، أم يختار الهرب منه والانضمام إلى
جهة الجاحظ وجماعته، وعلى رغم أنه لا يريد أن يتورط
بهذا الأمر بالأساس ولكن سبق السيف العذل، فالسم ما زال
محاظًا بإصبعه وتتناقص حياته بالفعل بكل ثانية تمر، وهو
يجب أن ينضم لجماعة لكي تحميه من الجماعة الأخرى، هذا
أمر مفروغ منه، ولكن سينضم لمن، هل للجاحظ وجماعته
أم للقائم مقام الغامض هذا ورجاله، ولكن الموقف لم يحتاج
لتفكير كثير، فوجود أحد رجال الجاحظ بالفعل وهو الفرزدق
بجوار القائم مقام يوضح بأن القائم مقام هو الذي لديه اليد
العليا بهذا الصراع، ولهذا كان سؤال حازم القادم منطقي
للاغاية.

«كيف سأقدمك للجميع، وبماذا سأخبرهم بحضور شخص
مثلك لا يعلمون عنه شيئًا».

ضحك القائم مقام على الفور وهو يخبطه على كتفه مهنئًا:
«أعجب بك للغاية عندما تترك الدراما خاصتك وتسمح
للشخص العملي بداخلك أن يقودك». نظر إلى الفرزدق وهو
يضحك:

«يبدو أنك لن تحتاج لبذل مجهود لإقناع حازم كما كنت
تعتقد، فهو رجل ذكي ويعلم مصلحته جيدًا، وهذا ما جعلني
أختاره بالمقام الأول».

عاد بحديثه إلى حازم من جديد:

«لا تشغل رأسك بشيء، أنا سأتكفل بهذا الأمر، جهز أمرك
الآن سوف يمر عليك الفرزدق صباح الغد، لكي نسافر إلى
مديرد على متن طائرتي الخاصة».

وعلى الفور تحرك جهة باب المنزل وفتحه وخلفه الفرزدق
ولكنه أطل برأسه إلى حازم من جديد:

«آه شيء أخير، سوف تجد بحسابك مبلغًا من المال احتفظ
به كمقدم لأتعابك، واعط منه بعض النقود للحرس الخاص
واصرفهم فإنهم ليس لهم قيمة الآن ولن يغنوا أو يسمنوا من
جوع أمام الجاحظ ورجاله، وحاول أن تجزل لهم العطاء فإن
الفرزدق كان قاسيًا عليهم كثيرًا وتركهم بإصابات شديدة،
ألقاك بالغد».

وأغلق الباب بسرعة وترك حازم وحيدًا، فألقى بنفسه منهارًا
على أقرب مقعد يحاول أن يلم شتات عقله الذي كاد يجن،

من كثيرة الأحداث والمصائب التي تسقط على رأسه بدون أن يكون له دخل بها أو على استعداد لتحملها.

في مطعم فاخر يطل على نهر النيل، كان حازم وإيهاب يتحدثان بانهماك شديد وأمامهما بعض العصائر، كانت محادثتهما على أشدها، حيث كان حازم يحاول إفراغ ما بجعبته من مخاوف وقلق، بينما تلقى إيهاب كل تلك الأمور العجيبة مرة واحدة، فشعر بالصدمة وحاول أن يبتلع كل تلك المعلومات على دفعات صغيرة حتى لا يختنق بشربة أفكاره، وبعد أن أنهى حازم كل ما كان بداخله أطلق تنهيدة كبيرة تعبر عن ارتياحه من التخلص من تلك الأسرار التي كان يقحمها داخل جوفه، وهي كالعصفور الصغير تحاول تحطيم بيضة جوفه لتخرج للحياة، فالأسرار كائن حي يحتاج للتداول بين البشر كي يعيش وينمو ويتضخم، ولهذا تجعل الإنسان لا يطيق صدرًا لكي يخرجها حتى لو تبع هذا الكثير من المصائب والفضائح، فالسر أداة شيطانية بكلمات صغيرة معدودة محدودة ولكن لها أثرًا يكاد يدمر بلادًا وحضارات، وعلى الفور ظهر وقع تلك الأسرار الدفينة كالقنبلة فوق رأس إيهاب الذي ضرب كفوفه مندهشًا غير مصدق مستنكرًا بذات الوقت:

«ما هذا يا حازم؟ أنا لا أصدق ما أسمعه، هل حدث لك كل تلك الأمور ولم تخبرني».

«أنا أعلم المحنة اللي أنت بها الآن يا إيهاب من أجل دليلة، وأعلم أنها تشغلك حتى عن عملك، لم أرد أن أحملك همي فوق ما تحمل من هموم».

نظر إيهاب إلى الخاتم بيد حازم بضيق:

«إذا أنت لو لم تجد كتاب الكنوز خلال شهر، هذا الخاتم الذي بيدك سوف يقتلك».

داعب الخاتم بيده بحنق:

«أنا أعلم أن قصتي هذه لا تصدق، أنا ذاتي لم أكن أقتنع بها إلا بعد أن حدثت معي، لقد كنت أفكر بطريقة كي أتخلص بها منه، لدرجة فكرت أن أقطع يدي كلها، لكن بصراحة كنت أجب من أن أفعل هذا».

صرخ عليه بحدة معترضًا:

«تقطع يدك؟ هل أنت مجنون؟ هل تظن أن جسدك مجرد سيارة تستطيع أن تلقي منها التالف وتقوم بشراء قطع غيار جديدة».

«المشكلة أن من الممكن بعد هذا كله يظل السم في جسدي مرة أخرى، ولن أستطيع أن أغير الدم في جسدي مرة ثانية لأنني غيرته من فترة قريبة، لقد أقيت بحديث القائم مقام عرض الحائط بعد أن زارني، وذهبت لأطباء آخرين وجميعهم أجمعوا على أن تنفيذ عملية تغيير دماء أخرى بهذا الوقت بها خطر على قلبي».

متنهدًا:

«يااااه، كنت تكتُم كل تلك الأمور بداخلك ولم تخبرني يا حازم، يا أخي عيب عليك، أن تخبئ هذا علي أنا صديقك المقرب».

«وماذا بيدك لتفعله يا إيهاب، أنت بالطبع لن تترك دليلة وما بها وتفرغ نفسك لحل مشاكلي».

أمسك إيهاب رأسه حائرًا:

«دليلة، أنا لا أعلم ماذا أفعل معها يا حازم، فعلت كل ما أستطيع وصرفت كل مدخراتي من أجل علاجها، لكن للأسف دخلت بغيوبة كاملة وحالتها تسوء كل يوم أكثر فأكثر، على أقل تقدير لو كنت انشغلت بمصائبك هذه قليلًا، كنت وجدت شيئًا يبعد تفكيري عن مرض دليلة ولو لوهلة».

اقترب حازم قليلًا جهة إيهاب:

«إيهاب، أريد أن أخبرك بأمر ما بخصوص دليلة، كنت أنوي أن أبلغك به قبل أن يختطفني الجاحظ ورجاله».

اقترب إيهاب منه باهتمام شديد:

«أمر يخص دليلة، ما هذا الأمر يا حازم أخبرني سريعًا».

«أنا أحذرك يا صديقي، لا أريد أن ترفع سقف آمالك، لأنني لست متأكدًا من مدى صحة هذا الأمر حتى الآن».

صرخ بغضب:

«أخبرني يا حازم، لا تتلاعب بأعصابي يا أخي».

«حسنًا، حسنًا، اهدأ سأخبرك حالًا، ونحن نبحت أنا وحياء على لاب توب هارون يحيى، وجدنا بعض الصفحات القديمة، يبدو عليهم بأنهم تقريبًا من كتاب الكنوز، كانت مصورة بكاميرا احترافية ومخزنة لديه على جهازه، وهذه الصفحات تتحدث بتكلم عن علاج إعجازي على هيئة عقار يدعى «لمسة الملائكة» هذا العقار يقال أنه يعالج أي مرض مهما كان نوعه، ويشفي العليل بإذن الله مهما كانت حالته المرضية».

هت إيهاب واقفًا ويكاد يطير فرحًا:

«هل كلامك هذا صحيح يا حازم، هل يتواجد شيء مثل هذا بالفعل».

وقف حازم على الفور وأمسكه بيده وأجلسه مكانه:

«أنا لست متأكدًا من مدى صحته حتى الآن تالله يا إيهاب، أنا أخبرك بما وجدته فقط، من الجائز أن يكون هذا غير صحيح بالنهاية، فلا ترفع سقف آمالك».

سعيدًا فرحًا:

«ومن الجائز أن يكون هذا الأمر صحيحًا، أخبرني سريعًا، أين مكان لمسة الملائكة هذا؟».

«الصفحات لم تظهر أين مكان لمسة الملائكة هذا، ولكن من الممكن أن نجد في تفاصيل أكثر عنه وعن مكان وجوده لو وجدنا كتاب الكنوز».

وقف إيهاب من مكانه مرة أخرى سريعًا:

«إِذَا ماذا ننتظر، هيا بنا نبحث عنه على الفور، أنا سأظل معك ولن أفارقك حتى نجده».

«سوف تظل معي، كيف؟ ماذا عن دليّة؟».

«دليّة في غيبوبة الآن وليست واعية بالدنيا برمتها، أنا أفضل أن أتركها وأبحث عن أي أمل لعلاجها حتى ولو كان أملًا بسيطًا أفضل بمليون مرة من أن أجلس هكذا بجوارها وأنا قليل الحيلة».

«لكن سيواجهنا خطرًا كبيرًا، القائم مقام هذا الذي لا نعلم من هو، ومن الجاحظ ورجاله».

«قائم مقام، الجاحظ، سفاحين، عفاريت زرقاء، أنا لن أتركك حتى نجد كتاب الكنوز سويًا، أنت تنقذ حياتك وتتخلص من خاتم الجائم هذا، وأنا أنقذ دليّة زوجتي من مرضها».

وقف حازم فرحًا سعيدًا بمشاركة صديقه بقرار البحث عن الكتاب ومد يده يصافحه:

«أنا وأنت نحمي ظهور بعض لن يقف شيء بوجهنا كالأيام الخوالي، أهلاً بك يا صديقي في رحلة البحث عن كتاب الكنوز».

بادله إيهاب المصافحة وهما باحتضان بعضهم البعض.

في صباح اليوم التالي كانت السماء غائمة ويحدها السحاب من كل مكان، والهواء البارد القادم من وسط الصحراء كان يلفح جميع الحضور بذات الوقت، فهذا المكان بالنهاية هو حظائر طائرات خاصة، من السهل هنا أن تجد الطائرات الصغيرة المتناثرة بأنحاء المكان المغطى بتأمين شبه خارق، فهذا المكان هو لصفوة الصفوة الذين يأتون ليأخذوا طائراتهم ليستقلوها لوجهتهم التي يريدونها، الأمر برمته بالنسبة لهم كطلب سيارة أجرة لدى الناس الطبيعية.

بالطبع هذا الأمر جديد بالفعل على حازم وإيهاب وهما يترجلان من سيارة فاخرة كانت تصحبهما، وظلا ينظران إلى المطار بانبهار شديد، أو هذا ما كان يتوقعاه ولكن بالنهاية لم يجدوا شيئًا سوى مكان بوسط الصحراء يكاد يكون فارغًا وبه بعض الطائرات الصغيرة التي لاتصل إلى عشرين طائرة، كانت أحلامهم وردية اعتقدوا أن يجدوا فرقة موسيقية باستقبالهم أو بساطًا من الذهب يمتد على طريقهم حتى صعود الطائرة أو الكثير من الخدم والحشم والجواري أو شيء من هذا القبيل ولكن ما وجدوه هو مطار كأي مطار آخر بالعالم ولكنه أقل صخبًا وأكثر خصوصية، فبالنهاية أنت لن تسكن بالمكان الذي تركب به سيارة الأجرة الخاصة بك أو ستدفع الغالي والنفيس على جراج سيارتك، بعد أن اكتست خيبة الأمل وجوهيهما هبط الاثنان من السيارة بالقرب من طائرة متوسطة الحجم، وكان في انتظارهما أمام الطائرة القائم مقام بصحبة رجلين يبدو أنهما من حرسه

الخاصين مفتولي العضلات ومدججين بالسلاح، وقف حازم أمامه وبجواره إيهاب الذي أخذ يتطلع إليه قليلاً ويتفحصه ويتعجب من صغر حجمه بالنسبة له، فنظر له القائم مقام وهو يبتسم.

«ماذا، هل تقابلنا من قبل أيها السيد، هههه، أنا أمزح بالطبع يا سيد إيهاب، فأنت أول مرة تراني بها، ولكن أعلم من أنت بكل تأكيد».

وقام على الفور بمد يده ليصافح حازم ويصافح إيهاب الذي صافحه بضيق وهو يضغط على يده بقوة:

«بالطبع أنا أعلم من أنت، فلقد أخبرني حازم بكل شيء، أنت القائم مقام».

لم يبد القائم أي ردة فعل على ضغط إيهاب القوي على يده فيبدو عليه أنه لم يتأثر بل اكتفى بالضحك ساخرًا وسحب يده بقوة من إيهاب:

«يبدو أنك نلت ثقة السيد حازم بالفعل لكي يخبرك عني، فهذا طبيعي للغاية، فبالنهاية أنت صديقه المقرب».

وضحك ضحكة صفراء ساخرة، أشعلت نيران الغضب بصدر إيهاب الذي بدا ما يضره على وجهه فقام على الفور حازم بتهديته بيده، فتمالك نفسه على الفور، وهنا اخترقت سيارة أخرى المكان بالقرب منهم وهبط منها الفرزدق وهبط خلفه أحمد هارون يحيى ومعه طارق الغنام الذي بدا عليهما الرعب الشديد من وقوف الفرزدق بجوارهما حيًا ومعافى بعد أن

شاهده منذ عدة أيام يسقط من الطابق الثالث على سيارة أمامهما، تحرك الفرزدق جهة القائم مقام، وهنا ركض أحمد وطارق مرتاعين جهة حازم الذي كان يضحك ليطمئنهما.

وهنا تلاقت عيون الفرزدق بإيهاب، ف شعر إيهاب الاضطراب من رؤية الفرزدق من جديد وهو يكاد يجزم أنه سيريد الانتقام منه بسبب إلقاءه من نافذة المكتب بالسابق، هو يعلم أنهم يحتاجون حازم فقط لإيجاد الكتاب ولهذا وجوده سيكون ثانويًا لديهم وتلك الفرصة المثالية للفرزدق لكي يتخلص منه، ولكن حدث ما لم يكن بالحسبان فقد أشاح الفرزدق بعيونه عنه ولم يبد أي ردة فعل على وجوده، وهنا شعر إيهاب بوجود أمر غريب، فيبدو على وجه الفرزدق بالفعل أنه لا يهتم بوجود إيهاب أو يعيره أي اهتمام، فلم تخرج منه أي نظرات حقد أو رغبة بالانتقام بالعكس ولكن ما واجهه هو الفتور الكامل وعدم المبالاة، حاول إيهاب على الفور أن يطرد تلك الأمور من رأسه وأن يركز بما سيحدث الآن، ولكن ستكون عيونه بالفعل على الفرزدق وسيراقب ما سيفعله معه من الآن فصاعدًا فبالنهاية هو وسط العدو ويجب ألا يسقط حذره، صافح طارق وأحمد إيهاب وحازم وسأله طارق مندهشًا:

«ماذا يحدث يا سيد حازم، لقد اختفى جميع الحرس الذين كانوا يحرسوننا ووجدنا هذا الرجل يقف بسيارة ليقبضنا وأخبرنا أنك أنت من أرسلته، ولقد ذهبنا معه خوفًا منه، ولم نكن نعتقد أنك أرسلته بالفعل».

سأله أحمد مضطربًا وهو يشير إلى الفرزدق بجوار القائم
مقام:

«أليس هذا هو الشخص الذي سقط من النافذة من قبل؟».

أجابه حازم وهو يضحك ليحاول تخفيف توتر الموقف:

«نعم، نعم، سوف أخبركم بكل شيء فيما بعد».

تحرك القائم مقام على الفور وهو يبتسم وتقدم جهة طارق
وأحمد وأخذ يصافحهما:

«السيد طارق الغنام، والشاب أحمد هارون، أهلاً بكما، أنا
القائم مقام».

بدا الاندهاش والاستغراب عليهما وسأله طارق مستغربًا من
اسمه:

«من؟».

ابتسم القائم وأخذ يمسك يده ويصافحها بشدة:

«يبدو أنكم لم تكتسبوا ثقة حازم بعد فلم يبلغكم عني،
اختصارًا للوقت والمجهود، سأخبركم، أنا القائم مقام، أرسلت
خاتمًا به سم زعاف لحازم ليقتله إذا لم يجد كتاب الكنوز
لي، وأرسلت لكما صورته وعنوانه لكي تجدا حازم وتطلبا
منه أن يبحث عن هارون يحيى لأنه آخر من كان الكتاب
لديه، وسوف أصحبكم من الآن وصاعدًا برحلة البحث عن
الكتاب، وإذا حاولتم الهرب أو العبث معي أو مخالفة أوامري
ستقتلون، آه.. وأيضًا إذا لم ينجح حازم بإيجاد الكتاب فأنتم

جميعكم ستقتلون، ولهذا لا تضيعوا وقتي ووقتكم، ولتحثوا حازم على البحث عن هارون والكتاب بأسرع وقت ممكن، وبالنهاية تشرفت بلقائكم».

تركهم القائم مقام مصدومين مشدوهين، وتوجه جهة الطائرة وصعد إليها وهو يشير إليهم بأن يصعدوا خلفه، نظر طارق الغنام وأحمد إلى حازم مستفسرين عما حدث وما سمعوه منذ قليل، فابتسم حازم مضطربًا وأخذ يشير إليهم: «إنه القائم مقام، رجل لم تنجبه النساء أو حتى الرجال، أو الكلاب».

وسعل محرّجًا وتقدم جهة الطائرة ليركبها وخلفه إيهاب الذي رفع يديه مستسلفًا، بينما ظل طارق ينظر إلى أحمد وهم يحاولون فهم ما يحدث دون أي جدوى».

في هذه الأثناء كان يقام اجتماع آخر بمقر الحافظ ورجاله وهم يحركون بعض القطع الخشبية على هيئة الشطرنج فوق خريطة العالم، وهي تمثل حركات وتوجهات حازم وجماعته، يحرك سيراف قطعة خشبية على هيئة طائرة فوق الخريطة. «حازم وجماعته بداخل طائرة خاصة بطريقهم لإسبانيا يا سيدي، وانضم لهم صاحبه إيهاب، وشخصان آخران».

داعب الجاحظ ذقنه:

«شخصان آخران، لقد ذهبوا بطائرة خاصة عكس ما كان

ينوي حازم أن يذهب برحلة عادية، إذا هناك تدخل من شخص ما، وبالتأكيد هذا الشخص سيكون القائم مقام الذي أعطى له الجائم، ولكن لا يهم هذا الآن، المهم أن نعتز على مكان الكتاب».

وعلى الفور ابتسم الجاحظ ساخرًا:

«هيا يا حازم، كلنا نشجعك فلتحضر الكتاب سريعًا».

سأل سيراف مستفسرًا:

«أخبرني أين الأصمعي الآن؟».

حرك سيراف قطعة تمثل الأصمعي على الخريطة:

«لقد ترك الأصمعي مطار كولا لمبور الآن متجهًا لبرشلونة حاليًا يا سيدي».

«عظيم، عظيم، أين جرير والفرزدق الآن».

«جرير محبوس بالمقعرة يا سيدي مثل ما أمرت، والفرزدق انقطعت أخباره من أكثر من 3 أيام، وتم مشاهدته اليوم مع الشخص الذي نعتقد أنه القائم مقام».

الجاحظ تنهد بضيق:

«خسارة، خسارة هذا الشاب، كنت أتوقع له مستقبلًا ممتازًا، سيراف».

هب معتدلًا أمامه:

«أمرك يا سيدي».

«فلتخرج جرير من المقعرة، أعتقد أن تلك الأيام التي مكثها بمفرده هناك أرجعته لعقله، أما الفرزدق».

وقف الرجال جميعًا مطأطي رؤوسهم انتظارًا لأمره، بينما وقف الجاحظ بينهم بشموخ وهو يستند على عصاه الفضية وصاح عليهم بلهجة صارمة:

«الفرزدق ابتداءً من اليوم، أصبح مارقًا».

وهنا على الفور وقف الرجال جميعهم أمامه وأمسكوا قبضاتهم بقوة، ثم وضعوا قبضاتهم على سواعدهم وهم يحنون رؤوسهم له، ومن ثم تحرك الجميع سريعًا منتشرين بكل مكان، وأمسك سيراف بصورة للفرزدق ووضعها على الحائط ثم اخترقها بخنجر وتركها معلقة.

استقر الجميع بأحد البيوت الآمنة التي يستخدمها القائم مقام بمدينة غرناطة بإسبانيا، كان البيت كبيرًا مكونًا من أربعة طوابق وكل طابق به 3 غرف ومطبخ وحمام خاص به وغرفة معيشة، جميعهم مجهزون بالأثاث الذي يحمل الطابع التاريخي القديم للمدينة.

استقر حازم مع إيهاب بالطابق الثالث وأسفل منهما كان يسكن طارق الغنام ومعه أحمد هارون، أما الطابق الثالث فكان مكان مقر القائم مقام والفرزدق، كانت الطوابق تستخدم للنوم فقط ولكن بالفعل غرفة المعيشة بالطابق

الثالث هو المكان الذي كان يعملون به ويتجمعون من خلاله حول حازم، لم يحدث شيء بنهاية اليوم الأول وبالكاد تحدث الجميع مع بعضهم البعض ولكن اختلف الأمر في صباح اليوم الثاني حيث تجمعت المجموعة بأكملها ما عدا القائم مقام الذي لم يكن متواجدًا ولم يفصح إلى أين اختفى، فقام الفرزدق بتحضير طعام الإفطار لهم، بينما قام طارق الغنام بإمامتهم في صلاة الصبح، ووقف خلفه أحمد وحازم وإيهاب يصلون بخشوع، وبعد دقائق انتهى الجميع من الصلاة وقاموا بالتسليم على بعضهم البعض، وحينما نظروا خلفهم وجدوا الفرزدق يضع أطباق الطعام ذات الرائحة الشهية على منضدة خلفهم، تجمع الجميع حول المائدة وهم مترددون قلقون من أن يتناولوا الطعام من يد الفرزدق الذي لاحظ ما بدا بصدورهم فقام بالتقاط لقيمات صغيرة من بعض الأطباق وابتلعها بسرعة وهو يتحدث إليهم بثقة:

«تأكدتم الآن أنه غير سام».

رائحة الطعام الشهية ومنظره الأخاذ كان فاتحًا للشهية لهم فأخذ الجوع يشد على بطونهم، فجلسوا على استحياء وبدأوا في التقام بعض اللقيمات الصغيرة ولكم كانت صدمتهم شديدة، عندما تلامست حلقات التذوق بلسانهم هذا الطعام الشهى، فهم لم يتذوقوا طعامًا مثله من قبل، فزادت اللقيمات وازداد سيل لعابهم على مذاق هذا الطعام الطيب فأتوا على جميع الأطباق في أقل من دقائق معدودة، كان السرور باديًا على وجوههم بوضوح، فلا يستطع جائع أن

يخفي لذته وسرور معدته بعد أن قتل جوعه، فقرأ الفرزدق هذا عليهم وابتسم للمرة الأولى منذ أن شاهدوه، ولكم كانت صدمتهم شديدة عندما شاهدوا ذلك، فكان يبدو لهم للوهلة الأولى أن الفرزدق شخص بارد القلب قاتل لا يرحم يتناول الأطفال الصغيرة على الإفطار ويشرب دماء العذارى ويستحم بدموع الكالى، ولهذا مشاهدته يفعل ما يخالف اعتقادهم أصابهم بالقشعريرة، ولمح الفرزدق هذا أيضًا على وجوههم فارتسمت علامات خيبة الأمل على ملامحه وقام بتجاهلهم واتجه إلى المائدة وقام بحمل الأطباق وذهب بها إلى المطبخ، بينما قام الجميع بالتهامس فيما بينهم وهم مصدومون مما فعله ومن مدى جودة طعامه ومن حتى رؤيته يبتسم، شعر بالضجر الفرزدق كلما عاد إلى الغرفة وشاهدهم يثرثرون حوله ومن ثم يصمتون عندما يشاهدوه فتنهد بضيق وأخذ يتحدث إليهم:

«لماذا أشعر بأنكم وضعتوني بدور الرجل الشرير بهذه القصة».

أجابه حازم بحيرة:

«أو لست الرجل الشرير هنا؟».

«ولماذا تعتقد هذا؟».

أجابه إيهاب بضيق:

«يا له من سؤال ساذج، ألم تحاول أيها الوغد قتلنا من قبل، ماذا تتوقع أن نتعامل معك، هل تريد أن نكون أصدقاء؟».

ضحك الفرزدق ساخراً:

«انظروا من يتحدث، الشخص الذي ألقاني من النافذة
بنفسه، وبالكاد تشبثت بحياتي».

إيهاب بغضب:

«هل نسيت أنك من أردت قتلي أولاً أيها اللعين، ما زال
كتفي مصاباً حتى الآن».

«كتفك مصاب! لقد حطمت معظم عظامي ولم أستطع
الاستيقاظ من غيبوبة كاملة لعدة أيام».

«انظر إلى نفسك بعد كل هذا، ها أنت تقف أمامنا كالغوريلا
بكامل صحتك، أنا لا أعلم هل أنت ميت.. حي.. زومبي، أم
ماذا؟».

تحدث حازم إلى إيهاب ملاحظاً:

«على الرغم من أنه زومبي، لكنه رجل لم تنجبه النساء أو
حتى الرجال صدقني، لا يجب أن تنسى هذا».

تحرك الفرزدق جهة نافذة الغرفة المفتوحة وجلس يستند
عليها بوضع خطير للغاية وهو يتحدث إليهم:

«حسناً يا أوغاد، لقد كنت أرغب بقتلكم وأنتم فعلتم كذلك
أيضاً، أنا بالفعل قد تناسيت هذا وتغاضيت عن الأمر برمته
وتركته خلف ظهري وأنتم أيضاً يجب أن تتغاضوا عما حدث
حتى نستطيع أن نضع ثقتنا ببعضنا البعض من الآن فصاعداً،

فرحلة البحث عن كتاب الكنوز هذا محفوفة بالمخاطر، وسيواجهنا الموت بكل خطوة نخطها، ناهيك عن وجود الجاحظ وجماعته خلفنا، إنهم هم الخطر الأكبر بطريقنا حتى الآن».

صرخ عليه إيهاب غاضبًا:

«أجنت أيها الأحمق! هل تريد أن نثق بك بعد كل ما حدث؟».

تنهد الفرزدق بضيق:

«لا يجب أن تصل علاقتنا إلى وضع الثقة، ولكن على الأقل يجب أن نصل إلى حدود الشراكة، نحن يجمعنا هدف مشترك، وطريق واحد، يجب أن نتأكد ألا نقف بوجه بعضنا البعض ونساعد كل فرد منا حتى نستطيع أن ننجو من تلك الرحلة».

صرخ عليه إيهاب غاضبًا:

«بالتأكيد بعقلك لوثة إذا اعتقدت لوثة أننا سنفعل ذلك».

وهنا قاطعه على الفور طارق الغنام وهو يشير إليه بيده:

«انتظر يا سيد إيهاب، بالفعل أنا أجد حديث الفرزدق منطقيًا، يجب أن يكون لدينا حد أدنى من الثقة بين مجموعتنا لكي نواجه الأخطار التي ستحيط بنا حتى نجد هارون يحيى ونعيده إلى ابنه».

ووضع يده على كتف أحمد الذي نظر إلى الأرض صامتًا،

ومن ثم عاود الحديث إلى الفرزدق مرة أخرى:

«لكن حديث السيد إيهاب به شيء من المنطق أيضًا، كيف تريدنا أن نثق بك ونحن لا نعلم أي شيء عنك بالمرّة، أنت وهذا القائم مقام تعلمون كل شيء عنا ونحن لا نعلم حتى أسماءكم ولا نملك أي معلومات عنكم، لكي يكون هناك حد أدنى من الثقة لدينا يجب أن يكون لدينا حد أدنى من المعلومات، أظن هذا شيئًا بديهيًا للغاية وليس طلبًا صعبًا أو مستحيلًا».

نظر له الفرزدق قليلاً وهو يفكر بعمق، ومن ثم وضع قدمه اليمنى على النافذة وهو يحتضنها بين جسده بوضع مخيف ومثير للاضطراب وتحدث إليهم بنبرة هادئة:

«حسنًا، سوف أجيبكم عن أي أسئلة لديكم بالحدود المسموحة لي فقط».

شعر إيهاب بالارتياح من جلوس الفرزدق الغريب على النافذة، فتحدث إلى حازم قلقًا هامسًا:

«أخشى أن يسقط هذا الوغد من النافذة مرة أخرى ويحضر لنا مصيبة جديدة».

همس له حازم بأذنه:

«لا تخف، أعتقد أنه زومبي بالفعل، ويبدو أنه لديه حبًا للسقوط من النوافذ، ليس من المستبعد أنه يلقي بنفسه من النافذة كل يوم عندما لا نكون بجواره».

نظر إليه الفرزدق بغیظ:

«على ماذا تتهامسون؟».

سعل حازم سريعًا متداركًا للموقف:

«احم، لا شيء، كنا نسألك عن معلومات عن نفسك فلبنداً
بالبداية، ما اسمك؟».

تنهد بضيق:

«أدعى الفرزدق».

صرخ عليه إيهاب بضيق:

«نسألك عن اسمك الحقيقي».

أجابه بسرعة:

«حازم».

فشعر الجميع بالدهشة وتدارك الفرزدق هذا وأكمل حديثه
إليهم:

«لا بل إيهاب، لا، لا إنه طارق، أنا آسف، لقد تذكرت إنه
أحمد».

شعر الجميع بالغضب مما يفعله ولكنه لم يكثر وظل يوجه
حديثه إليهم:

«أي اسم سوف أختاره لن يفيدكم بشيء لأنكم بالنهاية لا
تمتلكون آلية التحقق من صحته، ولهذا الفرزدق هو اسمي».

سأله حازم بحدة وهو يمسك خاتم الجائم بأصبعيه دون أن يدرك:

«إذا من هو القائم مقام، وما هو مأربه بالضبط؟».

أوما الفرزدق برأسه:

«أعلم أنكم لن تصدقوني، ولكن بالفعل أنا لا أعلم من هو أو إلى ما يصبوا».

حازم بغضب:

«أتريد أن تقنعني أنك تتعاون معه دون أن تعلم من هو؟».

ضحك الفرزدق ساخراً:

«أنت من تقول هذا يا حازم».

بغضب شديد:

«أنا أعمل معه مضطراً لأنه يبتزني وحياتي على المحك».

«إذا أنت تعلم أنه من الممكن أن يكون من يعمل معه مضطراً إلى هذا».

«أنا لا أرى خاتم الجائم بيدك الآن».

«المياه لها أشكال مختلفة يا حازم من الممكن أن تكون سائلة أو متجمدة أو على هيئة بخار، وهكذا كل أمر بالحياة، أليس من الطبيعي أن يكون شكل محنتك مختلفاً عن محنتي ولكن بالنهاية النتيجة واحدة والطريق واحد».

صرخ عليه إيهاب غاضبًا وهو يتحدث إلى باقي المجموعة:
«لن نصل مع هذا الوغد إلى نتيجة أن حديثه كله مجرد
سفسطة فارغة لن تفيدنا بشيء».

أوقفهم طارق الغنام بهدوء بعد أن شعر أحمد بالخوف مما
يحدث وحاول أن يسيطر على الوضع:

«انتظروا قليلًا يا جماعة، صلوا وسلموا على رسول الله».

فقام الجميع بالصلاة والسلام على الرسول ومن ثم تحدث
طارق مرة أخرى بنبرة هادئة:

«صراخنا على بعضنا البعض لن يوصلنا إلى نتيجة، أتمنى
أن نكمل حديثنا بهدوء وهوينة».

توجه طارق بحديثه إلى الفرزدق الذي كان هادئًا للغاية
بطريقة يحسد عليها وسأله من جديد:

«سوف نصدقك أنك لا تعلم من هو القائم مقام أو ما هو
مأربه، لكن على أقل تقدير يجب أن تذكر لنا من هذا الذي
يدعى الجاحظ وما هي جماعته».

تابع حازم الحديث من حيث توقف طارق:

«وأيضًا ولماذا أسماؤكم أيضًا هكذا؟ لماذا تبدو كأنها من
كتاب بالعصر العباسي؟».

تردد الفرزدق قليلًا ومن ثم غير من جلسته على النافذة
وقفز بحركة بهلوانية ليقف أمامها وهو يتنهد:

«حسنًا هذا أمر مستطاع، أنا والجاحظ وباقي جماعتنا، أعضاء لجماعة سرية تمتد لأكثر من ألف عام، وعلى الرغم من أنها جماعة سرية ولكن عندما أعلمكم باسمها سوف تعلمونها بكل تأكيد».

حازم بفضول شديد:

«ما هو اسم الجماعة؟».

اعتدل الفرزدق بوقفته وطأطأ رأسه احترامًا:

«إخوان الصفاء وخلان الوفاء».

بدا الاستغراب على الجميع إلا طارق الذي صرخ غير مصدق:

«مستحيل، جماعة إخوان الصفاء وخلان الوفاء».

سأله أحمد مستغربًا:

«هل تعرفهم يا أنكل طارق؟».

بحماسة شديدة:

«بالطبع أعلمهم وأي شخص يهتم بالتاريخ بشكل عام وبالتاريخ الإسلامي بشكل خاص يعلم من هم جماعة إخوان الصفاء وخلان الوفاء، إنها جماعة سرية أنشئت بالقرن الرابع الهجري، كانوا جماعة من المفكرين والفلاسفة في عصرهم قدموا إسهامات كبيرة للفلسفة الإسلامية والفكر العربي بشكل عام، وهذه الجماعة كانت تعمل بشكل سري طيلة

وجودها، ولم تتبوأ مقاعد السلطة السياسية أو الأدبية حتى.

كان ظهورهم بالعصر العباسي وهذا كان عصر فرقة وتحزب وتشيع ولهذا قاموا بمهاجمة جميع الفرق بذلك الوقت وكان شعارهم «حكم العقل فوق النقل»، وبهذا نفوا عن أنفسهم أنهم ينتمون إلى جماعة معينة بذاك العصر وتحمل أفكارها وحواكمها، ولهذا فضلوا ان يكونوا جماعة سرية، ولم نعلم عنهم الكثير سوى رسائلهم التي تركوها وهي رسائل تُعَدُّ موسوعةً هائلة تضمّنث أهمّ فنون الثقافة التي وُجدت في عصرهم، ويبلغ عدّها اثنتين وخمسين رسالة، هدفها المُعلَن «التظافر للسعي إلى سعادة النفس عن طريق العلوم التي تُطهّر النفس.» وقد اهتمّ «إخوان الصفا» بالفلسفات اليونانية وفلسفة فارس والهند القديمة، وكانوا يدمجوها مع الفلسفة الإسلامية في شزجهم لنظرية الخلق. وكانوا يهدفون إلى التقريب بين الأديان والفلسفة، ومخو فكرة ازدراء الفلسفة لدى المُتديّنين، وبيان أنّ الإسلام والفلسفة لا يتعارضان؛ كما اهتمّ «إخوان الصفا» بجميع الأديان السماوية، وعلوم الفلك، والرياضيات والموسيقى والمعادن والنبات والحيوان، فتحوّلت رسائلهم تلك إلى موسوعة إسلامية لم يكن لها نظير بذاك العصر، وعلى الرغم من مدى أهمية تلك الرسائل والكتابات، وأثرها العظيم على الحضارة الإسلامية ولكن لم يكتب أعضاء جماعة إخوان الصفاء وخلان الوفاء أسماءهم على تلك الرسائل أبدًا، وظلت مذيّلة بمجهولين حتى يومنا هذا، وفعلهم ذلك كان شيئًا غريبًا بعصرهم، لأنّ المطلع على

العصر العباسي وثقافته بتلك الفترة، يجد أنه كان عصر الكتابات الكبرى والعلماء العظام الذين حرصوا كل الحرص على تذييل أسمائهم على تلك الأعمال، بعكس إخوان الصفاء، على الرغم من أن هذا العصر كان سمة الانفتاح على الأفكار والعلوم الفلسفية على أشده، وكانت هناك جماعات قامت بتصدير أفكار أخطر وإجراء من أقوال إخوان الصفاء بكثير، وعلى الرغم من هذا لم يمسهم أحد بسوء ووصلت إلينا كتاباتهم وأفكارهم موجودة حتى الآن، أي لم يكن هناك داعٍ لجماعة إخوان الصفاء وخلان الوفا أن تكون سرية، فبالفعل لم يكن هناك سبب لذلك، ولكن أنا أعتقد بأنهم اتخذوا طريق السرية ذاك حتى يجعلوا من يرغب من استسقاء علومهم و لديه قناعات مختلفة عنهم.

لا يصطدم فكريًا بسبب وجود تلك القناعات المسبقة لديه بسبب انتمائهم لجماعة مخالفة لفكرة، وبنفس الوقت يكون أجبر هؤلاء الأشخاص الجدد دون أن يعوا على نبذ الفرقة والتعصب، أي أن سرية جماعتهم كانت لعوامل نفسية وعقلية وليس بدوافع سياسية أو عقائدية، وتميزت قوة رسائل إخوان الصفاء بفلسفة كتابتهم، حيث نجد أن مدى تأثير أي مقولات أو كتابات تستمد قوتها من قائلها، مثلما نقتبس مقولات أفلاطون الفلسفية أو ننسب علوم الجبر للخوارزمي أو الكيمياء لابن حيان، ولكن الأمر هنا مختلف فرسائل الإخوان رسائل جامعة شاملة ولكنها من كتابات وتأليف أشخاص لا نعلم عنهم شيئًا وبهذا تصبح قوة نصهم وأفكارهم

هي التي تؤثر على القارئ وليس العكس».

تابع الفرزدق الحديث وهو ممتلئ بالحماس:

«يجب أن أوضح هنا أن تلك الرسائل لم تكن موجهة للعامة بشكل عام، فهي كانت موضوعه بالأساس للمنضمين للجماعة من الشباب، فجماعة إخوان الصفاء تؤمن بالشباب وتؤمن أنهم عضد أي مجتمع، وأنهم هم ركاب التقدم للحضارة البشرية بشكل عام والإسلامية بشكل خاص».

ابتسم طارق فرحاً كمن وجد ناقته الضالة التي تحمل ركابه
بوسط الصحراء:

«لهذا كانوا يبدؤون رسائلهم بجملة أعلم أيها الأخ البار
الرحيم أيدك الله وإيانا بروح منه، إذا كانوا يشيرون إلى
أعضاء الجماعة الجديدة من الشباب، هكذا إذا.. لقد فهمت».

حاول إيهاب وحازم استيعاب كل تلك المعلومات التي
تلقوها وسمعوها للمرة الأولى، عكس أحمد الذي لم يكتثر بما
يقال نهائياً، فكل هذه المعلومات ليس لها صلة من قريب أو
من بعيد بما حدث لوالده وسبب اختفائه.

كان الوجوم هو الصفة المشتركة بين جميع الحضور ما
عادا الفرزدق وطارق الغنام الذي كان كالطفل الصغير برحلة
مدرسية للمرة الأولى ويسأل عن كل شيء يراه أو يسقط
على أذنه، وقام على الفور بتكملة أسئلة عن جماعة إخوان
الصفاء الأسطورية التي كان يسمع عنها منذ زمن بعيد ولكن
لم يجد أي معلومات حقيقية ملموسة عن ما يقال عنهم، فكل

ما يملأ الكتب عنهم هي مجرد افتراضات وتكهنات حولهم، و لا يوجد دليل مادي واحد على مدى صدق تلك الأقوال، فما بالك الآن بظهور شخص أمامه يدعي أنه عضو من أعضاء تلك الجماعة السرية التي أخفت حضورها لأكثر من ألف عام كاملة، فكان عدم التصديق هي المشاعر المسيطرة عليه بتلك اللحظة، لكن لذة السبق أن يكون أول من يعلم معلومات عن تلك الجماعة الأسطورية القديمة قد زادت من فضوله وأطلق العنان للسان العالم المتشكك بداخله والذي بنفس الوقت يتمنى أن يكون حقيقة وهو على الأغلب ينوي أن يصدق هذا الأمر حتى ولو كان كذبًا، ولكن لكي يخمد نيران العالم المتشكك بداخله أراد أن تكون الكذبة محبوكة وعلى الفور تحدث للفرزدق:

«أحاول أن أصدق ما تقوله ولكن هناك يمنع ما عقلي من هذا، أنت تقول أنك والجاحظ وباقي جماعتك جزء من جماعة إخوان الصفاء وخلان الوفاء القديمة، ولكن جماعة إخوان الصفاء كانت جماعة فلسفية مسالمة ولم يذكر من قبل أنهم حملوا السلاح أو استخدموا العنف، على عكس ما تنتهجونه الآن، هذا إذا كان حديثك صادقًا؟».

أجابه الفرزدق مدافعًا:

«نعم نحن جماعة مسالمة لا تؤمن بالعنف، وظل الأمر كذلك حتى يوم 9 صفر 656 هـ الموافق 10 فبراير 1258م وهنا تبدل كل شيء حيث كانت ستباد جماعة إخوان الصفاء بالكامل، ولولا حسن عقل وسرعة بديهة قطب الجماعة بتلك

الفترة لاختفى ذكرنا من فوق البسيطة وسرقت كتب الكنوز، وأسيء استخدام علومها واندثرت حضارات عظيمة وصعدت إمبراطوريات مخيفة، ولتبدل العالم الذي نعيش به كليًا، فأنت بالفعل لا تعلم ما مدى الدمار الذي يستطيع أن يجلبه كتاب الكنوز للبشرية إذا سقط بالأيدي الخاطئة».

تدخل حازم بالحوار على الفور:

«إذا كان هذا الكتاب وعلومه خطيرة هكذا، أليس من الأفضل أن يتلف ويدمر اتقاءً لشربه؟».

«لا، إن الكتاب كما يستطيع أن يستخدم كسلاح دمار شامل فإنه أيضًا سلاح رادع لإنقاذ البشرية، هل تعلم يا حازم، أن هناك ثمرة إذا استطعنا زراعتها بظروف بيئية معينة وشروط خاصة، نستطيع أن ننتج منها ثمارًا تكفي سكان العالم أجمع وبهذا نستطيع بسر واحد من أسرار الكتاب أن ننقذ البشرية بأكملها من خطر المجاعة والفناء، وهلم جز، هناك الكثير من الأسرار على هذه الشاكلة، ولكن لا يجب الكشف عنها الآن، إلا عندما تكون البشرية بحاجة إليها بالفعل، ولأننا نمتلك قوة عظيمة كهذا تقع علينا مسؤولية أعظم وأخطار لا قبل لنا بها، ولهذا نحتاج للقوة الرادعة لمواجهة تلك الأخطار ولندافع عن أنفسنا، جماعتنا لم تكن يومًا دعاة عنف، ولكن لا مانع لدينا لمواجهة العنف بالعنف، والقوة بالقوة، ولهذا يسمح لبعض أعضاء الجماعة باستخدام بعض أسرار الكتاب، وتسمى تلك الأسرار «بالعطية».

وتلك العطية يتم وهبها لعدة أفراد تعد على الأصابع وبعد أن يخضعوا لعدة اختبارات نفسية وجسدية وعقلية لا تخطر لكم على بال، حتى يتأكدوا أن هذا الشخص مؤهل لحمل تلك العطية ولا يخضع لإغراء الوقوع تحت سطوة تلك القوة التي يملكها».

سأله إيهاب بلهفة شديدة:

«إذا أخبرنا عن كتاب الكنوز هذا، ما هو؟ وهل جميع ما ذكر به حقيقي؟! هل يوجد بالكتاب ما يسمى بالفعل بلمسة الملائكة يشفي أي مرض مهما كان؟».

جلس الفرزدق مرة أخرى على النافذة ولكنه سند أقدامه على الأرض عكس السابق:

«أنتم تعلمون بالفعل أن جماعة إخوان الصفاء كانت جماعة فلسفية علمية بالقرن الرابع الهجري، كان هم أعضاء الجماعة بتلك الفترة جميع كل علوم الأرض والاختراعات المفيدة للبشرية وتقديمها بشكل مبسط وسهل لأعضاء الجماعة من الشباب الجديد ومن ثم نشرها بين العامة فيما بعد لكي تتقدم الحضارة الإسلامية بشكل خاص والحضارة البشرية بشكل عام، مع تراكم كل تلك المعلومات والبيانات التي تبلورت على مر السنوات تم ضم جميع كل تلك الأفكار والأسرار ووضعها بكتاب سري خطير يدعى كتاب الكنوز ولأن كتاب الكنوز به أسرار خطيرة لا يعلم أحد كيفية فك تشفيرها وقراءتها إلا الأعضاء المختارون من جماعة إخوان

الصفاء ولهذا يوجد 3 نسخ منهم فقط، إذا فقدت تلك النسخ فسوف تفقد الإنسانية علوم منسية وخطيرة بذات الوقت ولكنها مفيدة في حالة اقتراب فناء البشرية أو حلول كارثة عظيمة، هذا هو كتاب الكنوز ووظيفته بشكل مبسط، ولكن مع مرور الوقت طمست الجماعة أي ذكر لهذا الكتاب، وأصبح ما يعرف عن جماعتنا هو رسائلها التي انتشرت لفترة من الزمان ولكن تلك الرسائل، ليس لها من قريب أو من بعيد بأسرار وكنوز كتاب الكنوز».

قاطعه حازم على الفور بسؤال جديد:

«لقد قلت أن هناك بعض الأعضاء من الجماعة يحملون بعض أسرار الكتاب».

«أتقصد العطية؟».

«نعم، العطية من هم الأعضاء الذين يحملون تلك العطايا».

«سأخبركم عن العطايا وحاملها فقط من أجل أن تعلموا ما مدى خطورة ما نواجه وأنه يجب أن نتضافر سويًا لكي ننجو من هذا الأمر معًا، من يحملون العطايا هم ثلاثة أشخاص فقط الذي أعلمهم، لأن الجماعة كبيرة للغاية ولها أفرع بكل أنحاء العالم، ومن أعلمهم هم من يتواجدون بمصر والمنطقة العربية فقط، وهم الأصمعي وهو شخص مخلص للجاحظ ويأتمر بأمره، والخوارزمي ولحسن حظنا هو لا يهتم بما يحدث معنا بالجماعة الآن فهو مشغول بأمر آخر، والثالث هو سيراف وهو اليد اليمنى للجاحظ ولا يكاد يفارقه، أي بمعنى

أوضح هو حارسه الخاص، ولهذا لا يتبقى سوى الأصمعي وهو الذي يستطيع أن يرسله الجاحظ لأي مكان يشعر بوجود خطر منه، وأريد أن أحذركم أي شخص من هؤلاء الثلاثة لن أكون نذا له لأنني لا أحمل عطية مثلهم وعلى الرغم من قوتي ومهارتي الكبيرة فسوف أكون ضعيفًا أمامهم عند مواجهتهم، وأكثرهم خطورة بالنسبة لنا جميعًا هو الأصمعي، هذا الشخص يستطيع تدمير جيوش بمفرده، ولا أنت ولا أنا ولا القائم مقام بنفسه نستطيع أن نواجهه، ولحسن الحظ هو بمهمة صعبة للغاية بماليزيا، ولن يرسله الجاحظ بأثرنا ولهذا يجب أن ننهي البحث عن هارون يحيى بأسرع وقت ممكن».

طارق مستغربًا:

«إذا كان أعضاء الجماعة أقوياء هكذا كما تدعي، فكيف فقدوا كتاب الكنوز، ولماذا قمت بالانفصال عنهم وانضمت للقائم مقام؟».

«أنا لا أعلم التفاصيل جيدًا، ولكن يبدو أن الكتاب فقد بسبب هارون يحيى على الرغم من أنه كان يعتبره الجاحظ من الناس القلائل الذين يثق بهم ولهذا نعتة بالخيانة ويريد القضاء عليه بأقرب وقت وإرجاع كتاب الكنوز، أما لماذا انضمت للقائم مقام فهذا لأسباب خاصة لا داعي لذكرها، ولكن اختصارًا للأمور أنا أحتاج لشيء ما لن يعطوه لي أعضاء إخوان الصفاء ولكن أستطيع أن أتحصل عليه عن طريق القائم مقام».

بدت الصدمة على وجوه الجميع مما سمعوه بينما أحمد
صرخ بغضب:

«والدي لم يكن ليخون أحدًا أبدًا، أنت تكذب، أنت كاذب».

نظر له الفرزدق بلا مبالاة ولم يعره اهتمامًا يذكر، فقام
طارق بمحاولة تهدئة أحمد وأخذ يربت على كتفه لهوان ومن
ثم سأل الفرزدق بحيرة:

«أنت تخبرني أن هارون يحيى كان أحد أعضاء جماعة
إخوان الصفاء، ولكن كيف ذلك، أنا صديقه المقرب ولم يأت
على ذكر هذا أبدًا».

«يبدو أنكم تفهمون كلمة جماعة سرية بشكل خاطئ،
أعضاء جماعتنا أشخاص كتومة بطبعها، وتتدرب على
الاندماج بأي مجتمع وأي دائرة دون أن تكشف، ولهذا تجد
أعضاء جماعتنا بكل مكان بالشرطة والقضاء والجيش،
أطباء ومهندسون وعمال وموظفون، جميع أطراف المجتمع
بأشكالها وأنوعها المختلفة، وهذا الحال مع جميع أعضاء
الجماعات السرية، لن تجد أحد جيرانك قد استيقظ صباحًا،
وطرق بابك ليقول لك صباح الخير. أنا عضو بجماعة سرية،
هذا لا يحدث، أي عضو بجماعة سرية يكون له دائرة أصدقاء
ومعارف وعائلة وجميعهم لا يعلمون عن نشاطه شيئًا، فلا
تعتقد أن هارون يحيى لم يخبرك أنت وابنه لأنه لا يأتينكما
ولكنه كان يحميكما من أسرار لا قبل لكما بها، وانظرا عندما
تدخلتما فيما لا يعنيكما ماذا حدث لكما».

سأله طارق بخوف:

«إِذَا أَنْتِ تَخْبِرُنَا أَنَّ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنَّ الْجَاحِظَ يَنْتَقِمُ مِنَّا بِسَبِّ خِيَانَةِ هَارُونَ يَحْيَى لَهُ كَمَا يَعْتَقِدُ، هَلْ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ تَفْعَلَ جَمَاعَةُ إِخْوَانِ الصَّفَاءِ هَذَا؟».

«لَا بِالطَّبِيعِ، نَحْنُ نَطْبِقُ قَوْلَ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى، مَا ذَنْبُ الْإِبْنِ بِمَا اقْتَرَفَتْ يَدُ أَبِيهِ وَمَا ذَنْبُ الصَّدِيقِ بِفَعْلِ صَدِيقِهِ، وَلِهَذَا لَمْ يَحَاوِلِ الْجَاحِظُ وَرَجَالَهُ أَنْ يَتَعَرَّضُوا إِلَيْكُمَا أَبَدًا مِنْ قَبْلِ أَوْ أَنْ يَدْخُلُوكُمَا بِصِرَاعِهِمْ مَعَ هَارُونَ، الْخَوْفُ لَيْسَ مِنْ جَمَاعَةِ إِخْوَانِ الصَّفَاءِ، وَلَكِنَّ الْخَوْفَ الْآنَ مِنْ خَطَرٍ آخِرٍ».

أَمْسَكَ حَازِمُ رَأْسِهِ مَرْتَابًا:

«مَاذَا؟ هَلْ هُنَاكَ أَخْطَارٌ أُخْرَى غَيْرَ جَمَاعَةِ إِخْوَانِ الصَّفَاءِ وَالْقَائِمِ مَقَامِ؟!».

أَوْ مَا بِرَأْسِهِ سَرِيعًا:

«نَعَمْ، عِنْدَمَا كُنْتُ عَضْوًا مِنْ أَعْضَاءِ إِخْوَانِ الصَّفَاءِ كُنْتُ بِمَأْمَنِ مِنْ هَذَا الْخَطَرِ، فَالْهَجُومُ عَلَى فَرْدٍ مِنْ جَمَاعَتِنَا كِإِعْلَانِ حَرْبٍ عَلَى الْجَمَاعَةِ كُلِّهَا وَلِهَذَا كَانُوا لَا يَقْتَرِبُونَ مِنَّا، وَلَكِنَّ الْآنَ بَعْدَ أَنْ تَرَكْتَ الْجَمَاعَةَ سَوْفَ أَكُونُ بِالتَّأَكِيدِ عَرْضَةً لِهَجْمَاتِهِمُ الْمَمِيتَةِ، وَلَسْتُ أَنَا فَقَطْ، وَلَكِنْ أَنْتُمْ أَيْضًا، لِأَنَّهُمْ يَبْحَثُونَ عَنْ كِتَابِ الْكِنُوزِ هُمْ أَيْضًا وَيُرِيدُونَ أَنْ يَقَعَ بِأَيْدِيهِمْ بِأَيِّ طَرِيقَةٍ كَانَتْ، وَبَعْدَ وَجُودِ إِخْوَانِ الصَّفَاءِ كَدَّرَعٍ لَنَا، فَلَيْسَ لَنَا سِوَى الْقَائِمِ مَقَامِ الَّذِي مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ يَكُونَ نَدَا لَهُمْ عَلَى حَسَبِ مَا

يدعي، ولكني أشك بذلك».

سأله إيهاب بارتياب:

«من هؤلاء الأشخاص الذي تتحدث عنهم، أخبرنا بسرعة».

«هل تتذكرون عندما أخبرتكم بأننا كنا جماعة مسالمة لا تؤمن بالعنف، وظل الأمر كذلك حتى يوم 9 صفر 656 هـ الموافق 10 فبراير 1258م، حيث كانت ستباد جماعة إخوان الصفاء بالكامل».

أجابه طارق بسرعة:

«نعم، هذا التاريخ أعلمه جيدًا، إنه بداية تاريخ سقوط عاصمة الخلافة بغداد بيد المغول، هل تقصد أن المغول هم من كان سيبيدون جماعة إخوان الصفاء؟!».

«لا، ليس المغول، لقد عانى المغول أنفسهم من سطوتهم بعز قوتهم التي استطاعوا إبادة إمبراطوريات بالشرق والغرب، ولكنهم كانوا يخشون تلك الجماعة التي كادت أن تبيدنا عن بكرة أبينا».

حازم وطارق وإيهاب سألوه بنفس الوقت:

«من هم؟ من هؤلاء؟! أخبرنا بسرعة أيها الوغد».

ابتلع الفرزدق ريقه بتوتر:

«إنهم جماعة الحشاشون».

إيهاب نظر إليه مستنكرًا:

«الحشاشون، هل تسخر منا، هل الحشاشون وشاربي
المخدرات والمسكرات هم من كانوا سيقضون عليكم أنتم
والمغول، هل تظننا حمقى».

أشار إليهم إيهاب بيده غاضبًا:

«ألم أخبركم من قبل أنه وغد لعين، يتلاعب بنا ولا يجب أن
نثق به».

ضحك الفرزدق ساخرًا من ردة فعلهم:

«أنتم حمقى كما اعتقدت».

شعر إيهاب بالإهانة وهم بالانقراض عليه فأوقفه حازم
وطارق وأحمد سريعًا، بينما ظل الفرزدق يضحك على ردة
فعلهم، فأوقفه طارق بيده وهو يصرخ عليه:

«اهدأ يرجل، اهدأ، أنت لم تفهم ماذا يقصد».

نظر له إيهاب مستنكرًا:

«هل تخبرني بأنك تصدق الهراء الذي يخبرنا به يا شيخ
طارق. حشاشون وسكارى ومتعاطون للبرشام أيضًا».

«أنت لا تفهم ما يقصد، إنه يقصد جماعة سرية قديمة كانت
تدعى «الحشاشون» تمهل قليلًا، لدي فيلم أعدته من قبل
لطلابي عن تلك الجماعة، انتظر ثانية».

وتحرك على الفور طارق جهة غرفته ومن ثم عاد سريعًا
وهو يحمل حاسوبه المحمول وفتحته على منضدة أمامهم،

ومن ثم قام بتشغيل فيديو لهم وقام بلف شاشته جهتهم وقام الجميع بالالتفاف حول الفيديو، ماعدا الفرزدق الذي ظل يراقبهم من بعيد.

ظهرت على شاشة الحاسوب بداية موسيقية ملحمية ومن ثم ظهرت لقطة كارتونية بها جنود وأحصنة يتحركون صوب قصر ضخم .

صاحب تلك المشاهد الكارتونية صوت طارق مسجلًا عليه يشرح ما يروونه أمامهم بشكل مفصل:

«الحشاشون هم جماعة سرية ظهرت خلال الحقبة الفاطمية في مصر، وهذه الحقبة كانت مليئة بالاضطرابات والمؤامرات والأحداث الغريبة».

التمعت عيون الجميع وهم يراقبون الفيلم الوثائقي أمامهم بتمعن، فظهر المشهد الثاني من الفيلم مجموعة رجال ملثمين يحملون الخناجر بأيديهم.

علق صوت طارق الغنام من جديد:

«استغلت جماعة الحشاشين تلك الاضطرابات وجمعت أفرادها بحرص شديد جدًا وبمستوى عالٍ من التكتّم والحيلة والحذر، كانت أهدافهم غير معروفة ومعلنة للعامة، لكنها كانت تتلخص وبكل وضوح بأن يغيروا الأنظمة السياسية والدينية للمنطقة في ذلك الوقت، وظلوا على حالهم من التكتّم والحكم من خلف الستار، حتى اختلف معهم عضو بارز من أعضائهم اسمه حسن الصباح».

ظهرت على الشاشة صورة تخيلية لحسن الصباح وهو يطرق منضدة حولها بعض الرجال الملتئمين بغضب وعلى وجهه معالم القوة والجمود.

«كان حسن الصباح يرى أنهم يمتلكون ما يكفي من السطوة والقوة لكي يغيروا أي شيء يريدونه بوضوح ورغب بشدة بأن يعلن عن وجود الجماعة وسط الناس، ولأن بالطبع هذا كان أمرًا ضد المبادئ الأساسية التي قامت عليها جماعة الحشاشين، فتعالت الخلافات القوية بين حسن الصباح وباقي أعضاء الجماعة».

ظهرت على الشاشة صورة يد تسقط على الأرض وتسقط عمامة ضخمة بجوارها.

«وهنا حدث ما لم يكن بالحسبان، حيث مات الخليفة الفاطمي المستنصر الذي كان يدين له حسن الصباح بالولاء، وحدث خلاف بينه وما بين وزيره القوي بدر الدين الجمال، وهنا خرج حسن الصباح من مصر وذهب لبلاد فارس أو ما تسمى إيران حاليًا من أجل أن يحقق حلمه الذي كان يتمنى رؤيته طويلًا، وهو صنع جماعة سياسية دينية قوية يستطيع من خلالها تنفيذ كل مخططاته وآرائه التي كان يرى أنها صحيحة».

ظهر على الشاشة حسن الصباح وهو يركب حصانه ويخرج جهة إيران.

«وبالفعل بدأ أولى خطوات بناء جماعة الحشاشين

باستيلائه على قلعة منيعة على ارتفاع 3 آلاف متر فوق الجبل وتحصن بها ونجح بوقت سريع جدًا اجتذاب عدد كبير جدًا من الأتباع المخلصين المتأثرين بفكره وبدأ بتنفيذ خطته عن طريق الاغتيالات، كان ما يميز الحشاشين هو ولاؤهم العظيم لزعيم الجماعة. وكان كل فرد من أفراد تلك الجماعة مدربًا على استخدام جميع الأسلحة، ويتحدث بمعظم اللغات المشهورة بذاك الوقت، ولديهم قدرة رهيبة على الاختباء والتنكر وجمع المعلومات».

مشهد يظهر حسن الصباح يقف فوق أسوار قلعة ويحدث رجالًا يرفعون أيديهم بالسيوف بحماسة أسفل، وعدد الأيدي الممسكة بالسيوف تزداد ببطء وبوضوح.

«وصلت الأساطير عن قوتهم وولائهم للجماعة أن شيخ الحشاشين وزعيمهم كان يتباهى أمام الآخرين بأنه لديه القدرة على جعل أعضاء جماعته يقفزون بإرادتهم الحرة من فوق أسوار القلعة حتى يمبتوا ولاءهم للشيخ، وبسبب قدرات الحشاشين وانتشار أخبار اغتيلاتهم التي كانت تطال قادة وزعماء من بلاد العالم كله؛ عربًا و صليبيين وأسيويين، انتشرت أسطورة جماعة الحشاشين وأصبح اسم حسن الصباح وجماعته يدب الرعب في العالم كله بتلك الفترة».

ظهر على الشاشة رجل أجنبي مصدومًا وبجواره شيخ يبتسم، وأسفل منهما جثة شاب ملقاة من فوق أسوار القلعة.

ظهر صوت طارق الغنام يعلق على الفيلم وهو يطرح سؤال

ويجاوبه:

«لماذا سميت تلك الجماعة باسم الحشاشين».

«هناك الكثير من الإشاعات والأخبار الغير المؤكدة التي أدت إلى تسميتهم بهذا الاسم، ومنها أن تلك الجماعة كانت بأنظار المسلمين العاديين خارجة عن الفطرة السليمة للإسلام أو منحلين، وكان يطلق على المنحليين بتلك الفترة بشكل عام لقب حشاش أو حشاشين».

يظهر على الشاشة بعض الرجال يشربون الخمر وهم يضحكون.

«وهناك أقوال أخرى تقول أن سبب تسميتهم بذلك، أن حسن الصباح والزعماء من بعده كانوا يخلطون الحشيش بشكل دائم في أسلوب حياة أتباعهم ومن أجل هذا أصبحوا ينفذون أوامرهم بشكل مطلق تمامًا وبدون أي تردد، لكن بالطبع هذا سبب غير منطقي لأن هناك أناسًا كثيرة تتعاطى الحشيش والمخدرات لكن لا يضحون بأنفسهم مثل أفراد تلك الجماعة، وأيًا ما كان سبب تسميتهم بهذا الاسم، فالنتيجة أن اسم جماعة القتلة الحشاشين أصبح رمزًا للخوف من القتلة المحترفين لدرجة أن تم تحويل اسم الحشاشين إلى لقب assassins بالإنجليزية وأصبح يطلق على القاتل المحترف».

تظهر كلمة assassins بصورة كبيرة وتتحرك بكل الاتجاهات على الشاشة.

«ولكن انتهت أسطورة الحشاشين أخيرًا عام 1259 على أيدي المغول الذين نجحوا في تدمير طائفة الحشاشين مع قلعة الموت وأنها أسطورة دامت أكثر من قرنين من الزمان».

تظهر أمامهم قلعة مدمرة ومشتعلة بها النيران وسكانها يركضون مذعورين، وهنا أغلق طارق الحاسوب بيده وتحدث إلى الجميع خلفه:

«وهذه قصة الحشاشين بشكل مختصر كما شهدتم».

سأل أحمد الفرزدق مستغربًا:

«إذا تم القضاء عليهم مثل ما يقال، فكيف أصبحوا متواجدين الآن كما تدعي؟».

الفرزدق أجابه بعقّة:

«انتهى عصر الحشاشين الأوائل لأنهم كانوا ظاهرين ككيان ظاهر وعلمي وله زعيم وأتباع ولهم مكان معروف مثل قلعة الموت، حتى لو كانت قلعة محصنة فوق الجبال، إذا كانت معروفة وثابتة بمكانهم، فسوف يتم تدميرها بالنهاية، ومن هنا تعلم الجيل الجديد من الحشاشين هذا الدرس القاسي، وبهذا تخلصوا من جذورهم تمامًا وأصبحوا غير مرئيين، على عكس التنظيم الأصلي والأكبر الذي كان موجودًا في مصر وانشق عنه حسن الصباح، ظل هذا التنظيم الجديد منكمشًا ومتربصًا خلف الظلال، وبهذا لم يستطع أحد أن يدمرهم وهذا كان وما زال أكبر خطرهم، كيف ستأخذ حذرَكَ

من شيء أنت لا تراه ولا تشعر به على الإطلاق، وبهذا ظل امتداد جماعة الحشاشين المتخفي من العيون قرون طويلة، بعد تدمير جماعة حسن الصباح، لكن خلال هذه القرون الطويلة، تغيرت عقيدة الحشاشين أكثر من مرة وأصبح لكل حقبة جديدة توجه جديد من الزعماء، لكن لم تتغير عداوتهم لإخوان الصفاء أبدًا، فبالنسبة لهم نحن الأعداء الأزليون الذين لا يستطيعون القضاء عليهم، ولم يستطيعوا الحصول على أكبر قوة بالعالم الآن وهو كتاب الكنوز، ولهذا كان هدفهم الأول هو القضاء على جماعتنا ولكن كانوا يفشلون بكل مرة، لقوة من يحملون العطايا ولقوة زعيم تنظيمنا من يتخذ لقب القطب، ولكن كل هذا تغير الآن، فلأول مرة منذ 1000 عام يُفقد كتاب من نسخ كتاب الكنوز ويخرج من الجماعة وهذا حدث الآن تحت قيادة القطب الجاحظ، الذي لن يتوانى أبدًا في أن يسترجع كتاب الكنوز ويمحي العار الذي لطح اسمه، وسيفعل من أجل هذا أي شيء، والحشاشون أيضًا لن يتنازلوا عن تلك الفرصة التي لم تسنح لهم خلال كل تلك السنوات، ويحاولون من خلف الستار مختبئين خلف الظلام أن يجدوا كتاب الكنوز المفقود، ولهذا أخبركم بأنه يجب أن تتضافر جهودنا معًا، فنحن نسعى للكتاب، وخلفنا إخوان الصفاء وخلان الوفاء والحشاشون، والقائم مقام الذي لا نعلم ما هي أهدافه ومن خلفه يعطيه كل تلك الأموال والرجال والنفوذ الذي يمتلكهم حاليًا».

وهنا ظهر أمامهم فجأة القائم مقام وهو يرتدي حلة بيضاء

رائعة ويحمل هاتفًا كان بيده اليمنى، وتحدث إليهم بصوت عالٍ:

«ألا تعلم يا فرزدق المثل القائل بأن الفضول قد قتل القط».

هب الجميع واقفًا وقد فزعوا من دخول القائم مقام المفاجئ، الذي استمر بمحادثتهم بحدة:

«هيا دعوكم من هراء إخوان الصفاء والجاحظ، والحشاشين وغيرهم، ولا تخشوا شيئًا، أنتم بصحبة القائم مقام، هيا تجهزوا الآن، لقد جهزت سيارات ستأخذنا إلى وجهتنا الجديدة».

قال القائم مقام كلماته تلك فتحرك الجميع بالحال إلى داخل غرفهم قلقين، ومنهم الفرزدق الذي اعتدل بجلسته من على النافذة وهو يتحرك إلى غرفته وظل يرمقه القائم مقام بنظرات نارية، وخلي المكان من الجميع وأصبح القائم مقام بمفرده، فقام بفتح هاتفه ونظر بشاشاته ليظهر له عدة مربعات صغيرة يظهر بها الجميع، فضغط على صورة حازم الذي كان بصحبة إيهاب يتحدثون بغرفتهم وفوقها كاميرا تصور كل شيء يحدث الآن وكان القائم مقام يرى كل ما يفعلونه من خلالها، فأغلق الشاشة وهو يبتسم وتحرك إلى خارج الغرفة.

«غرناطة»

تلك المدينة الساحلية الإسبانية الجميلة التي كان لها تاريخ عظيم وحافل بالعصر الأندلسي، ويعود معنى غرناطة إلى الحسن والجمال وهي تحريف عربي لكلمة رمان بالإسبانية. اشتهرت غرناطة بأبنيتها ومن أشهر الأبنية قصر الحمراء والبيمارستانات.

تقع غرناطة في جنوب إسبانيا جنوب العاصمة الحالية مدريد، وتطل غرناطة على البحر الأبيض المتوسط من الجنوب وعلى نهر الشنيل، كما يبلغ ارتفاعها قرابة 670 مترًا عن سطح البحر مما أعطاها جمالًا وأعطاهها سر التميز عن باقي المدن الساحلية.

يعود تاريخ غرناطة لعصر المسلمين الأندلسيين الذين فتحوا الأراضي الإسبانية، وقد تم بناء غرناطة مكان مدينة رومانية قديمة كانت تُسمى ألبيري في عهد بني الأحمر أقوى السلالات الحاكمة للأندلس، وقد كانت غرناطة في تاريخها الطويل مركزًا للعلم والثقافة ومقصداً لكل مثقف من كل البلدان الإسلامية وغير الإسلامية فهي تعتبر حاضرة الأندلس مع إشبيلية، ومجريط، وطليلة، ومن أشهر مدارسها المدرسة اليوسفية، والمدرسة النصيرية، والمدرسة الرياضية التي أسسها العالم الرياضي أبي القاسم المجريطي عام 1008 ميلادي.

وأهم معالم وآثار غرناطة هو قصر الحمراء: وهو أهم معلم من معالم المدينة تم بناؤه في عام 1238 ميلادي ووضع حجر أساسه السلطان محمد الأول بن الأحمر، وقد واصل

الملوك، والأمراء، والسلاطين بناء هذا القصر وتطويره عبر الأجيال.

وقصر الحمراء هذا كان وجهة حازم منصور وصحبته، التي وصلت سياراتهم بسرعة إلى مدينة غرناطة وأخذوا يتمتعون برؤيتها ومشاهدة شوارعها حتى وصلوا إلى قصر الحمراء، وهبط الجميع من السيارات وأخذ حازم يشير إلى القصر، وهو يتحدث إليهم:

«على حسب تتبع حياة لتليفون السيد هارون يحيى، في زيارته الأخيرة لإسبانيا، وجدنا أن آخر مكان ذهب إليه كان هذا المكان، إنه قصر الحمراء التاريخي».

وقف الجميع أمام قصر الحمراء العتيق منبهرين، كان قصر الحمراء بناءً ضخماً كبيراً، تستطيع أن تشتم عبق الزمن ورحيق الحضارة بمجرد رؤيته، كان مليئاً بالحدائق الخضراء الغناء التي ما أن تراها تشعر أنك لاقيت جزءاً من الجنة، ما تلاحظه بسهولة عندما تصبح داخل هذا القصر أن نوافير المياه بكل مكان تتوسط حدائق القصر، فتضفي على تلك الحدائق الكثير من الجمال وتثير اندهاشك من بدائع وصناعة مهندسيها، الأعمدة والحوائط الرخامية حولك بكل مكان تزينها عبارات إسلامية مزخرفة وتزيده رونق وأصالة، ولهذا يقال إذا لم تذهب إلى قصر الحمراء من قبل فقد فاتك نصف جمال عمارة الأرض كلها، ولهذا اكتنف الجميع راحة نفسية شديدة عندما حطوا رحالهم أمام بوابة القصر وبدأوا بمطالعة أركانه، وكان أكثرهم حماسة طارق الغنام الذي نسي كل

ما يمر به وسبقهم راكضًا ووقف أمام بوابة القصر الخشبي للقصر وهو ينظر إليه منبهزًا وتحدث إلى نفسه بسعادة:

«بواسطة الشريعة، شيء رائع جدًا، شيء مذهل، منذ عدة سنوات لم أقم بزيارة قصر الحمراء، هذا الصرح الحضاري الإسلامي العظيم الذي ما زال يتحدى الزمن ويقف بشموخ شديد كمعلم قوي يدل على مدى تطور الحضارة والعمارة التي وصل إليها المسلمون في الأندلس».

تحرك طارق سريعًا إلى داخل البوابة وأصبح داخل القصر وبصحبه عصيته يتبعونه بذهول، وعلى الفور اتخذ طارق دور المرشد السياحي لهم وقام بشرح كل شيء:

«لقد أتيت إلى هذا القصر كثيرًا، ومن أجل هذا أحفظ كل شبر هنا تقريبًا».

أحمد يتحدث إليه متسائلًا:

«قصر الحمراء، لماذا اسمه حمراء، لماذا يدعى هكذا؟».

طارق متحمسًا:

«هناك عدة أقوال والله أعلم يا أحمد عن هذا الموضوع، ولا يعلم أحد القصة الأصح أو الأصلية منهم، عمومًا هذا القصر تم بناؤه عام 749 هـ الموافق 1348 م. على يد قائد عظيم لقبه أبو عبد الله محمد الأول واسمه الحقيقي محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن نصر بن الأحمر، ومن هنا جاءت بعض الأقوال أنه سمي القصر باسم الأحمر على اسم عائلة

«بنو الأحمر» الذي كان يقال أن اسمهم هذا يرجع بسبب حمرة كانت غالبية على بشرتهم، وهناك أقوال أخرى أنه سمي هكذا لأن الحجارة والأرض المبني منها القصر هذا كانت تصطبغ باللون الأحمر تحت أشعة الشمس، وأقوال أخرى كثيرة لا نعلم مدى صحتها حتى الآن، واستمر بناء هذا القصر لمدة 150 عامًا تقريبًا. كل حاكم جديد كان يزيد وينقص في بنائه».

أخذ الجميع يتحرك متحمسًا، فدف الف الجميع إلى فناء كبير يدعى «الريحان»، وأخذوا يتطلعوا إلى بركة المياه الرائعة أمامهم والخضرة الكبيرة التي تحيط بها. وكان ساحة فناء الريحان عبارة عن فناء كبير مستطيل الشكل، يتوسطه بركة مياه وتظللها أشجار الريحان، ونقشت في زوايا فناء الريحان عبارة (النصر والتمكين والفتح المبين لمولانا أبي عبد الله أمير المؤمنين) والآية الكريمة (وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم)، وفي النهاية الجنوبية لهذا الفناء باب عربي ضخم، هدمت المباني التي كانت وراءه، ولم يبق منها سوى أطلال. وتوجد في هذه الأطلال بعض النقوش مثل «لا غالب إلا الله - عز لمولانا السلطان أبي عبد الله الغني بالله»، ويؤدي باب فناء الريحان الشمالي إلى بهو صغير اسمه «بهو البركة».

تابع طارق شرحه:

«هذا المكان يدعى فناء الريحان وطبقًا من اسمه يظهر أنه دُعي بذلك لأن رائحة الفناء كلها مغلفة برائحة الريحان وهذا شيء ولا أروع، يكفي أن تقف وتستمع بمشاهد المياه وتشتتم

تلك الرائحة الزكية».

دلفوا إلى بهو السفراء الذي كان مكسواً برخام وأعمدة ضخمة وبزخارف إسلامية رائعة مكتوب عليها «لا غالب إلا الله».

ظل طارق يتحدث إليهم شارحاً:

«أما هذا المكان فيدعى باسم بهو السفراء، وهو أفخم مكان داخل القصر؛ لأنه كان به مكان العرش وكانت تتم بها الاستقبالات الرسمية، للوفود والسفراء من كل بلاد العالم».

ظل الجميع يرمق المكان بانبهار شديد ومن ثم تحركوا إلى مكان آخر يدعى «بهو السباع»، وكان هذا البهو عبارة عن منطقة واسعة وليس بها سقف يغطيها، وممتلئة بالنباتات وحوائطها مزخرفة، وبوسط ساحتها الواسعة نافورة مياه، يحمل حوضها المرمري المستدير الضخم، اثني عشر أسداً، اصطفت بشكل دائري تقذف بالماء من أفواهها وتنساب في قنوات حولها، وهنا تابع طارق دور المرشد من جديد ووقف أمام النافورة وأشار جهتها وهو يتحدث إليهم:

«أريد أن أسألكم يا أذكىء، من منكم يعلم ماهية هذا الذي نقف أمامه؟».

أجابه أحمد سريعاً:

«هذا لا يحتاج لسؤال، إنها نافورة بالطبع».

طارق مبتسماً أشار إلى حازم:

«نافورة، وأنت يا أستاذ حازم؟».

حازم ساخرًا:

«يا شيخ طارق، هذا سؤال الطفل الصغير علم إجابته».

أحمد نظر إلى حازم بغضب شديد، فشعر حازم بالإحراج وحاول تدارك خطأه:

«أقصد هذا الشاب المحترم علم الإجابة، نافورة طبقًا».

طارق أشار إلى إيهاب:

«وأنت يا أستاذ إيهاب، هل تراها نافورة مثلهما».

حازم أومأ برأسه موافقًا:

«نعم، نافورة».

اتجه طارق إلى جهة القائم مقام والفرزدق وتلاقت أعينهم فابتلع سؤاله لهم وعاد يحدث حازم وأحمد من جديد، فتوجه إليهم بحديثه مبتسقا:

«للأسف كل إجاباتكم خاطئة، هذه ليست نافورة».

أحمد مستنكرًا:

«ليست نافورة! كيف؟ ماهي إذا؟».

طارق أشار بإصبعه اتجاه معصم يده:

«هذا البناء العبقري الذي ترونه أمامكم هو بالأصل ساعة مائية لمعرفة الوقت».

الجميع بصوت واحد مندهشين:

«ساعة!!!».

اقترب طارق من الأسود وهو يحدثهم مبتسماً:

«نعم، ساعة، كل أسد ترونه الآن أمامكم هو عبارة عن ساعة من ساعات اليوم، كل ساعة تمر يخرج أسد من تلك الأسود الماء من فمه وبالساعة التالية كان الأسد الذي يليه يخرج المياه من فمه وهكذا دواليك حتى نهاية اليوم، وهذا كان إعجاز علمي وهندسي ليس له مثيل بتلك الفترة من التاريخ، ومن كثرة حيرة العلماء في فهم تلك الآلية الإعجازية بتلك الفترة حاول المهندسون الإسبان بعد ذلك أن يكتشفوا شفرة الساعة الدقيقة تلك وفشلوا وبالنهاية وأصبحت نافورة عادية بعد ما تلفت وأصبحت تخرج المياه من جميع أفواه الأسود بوقت واحد».

اكتست وجوههم بلامح الذهول والصدمة، حتى القائم مقام والفرزدق بدى عليهم الذهول وهم يشاهدون ويتلمسون تماثيل السباع بين أناملهم وهم مفتونون مما سمعوه، بينما أخذ الباقي يتمعن بالأشكال البديعة لنافورة السباع والمياه التي تتساقط منها.

تحرك الجميع إلى قاعة الأختين، وتقع تلك القاعة في شرق بهو البركة، وعرفت هذه القاعة بهذا الاسم لأن أرضها تحتوي على قطعتين من الرخام متساويتين وضخمتين، فوقف الجميع بوسط قاعة الأختين محتارين، فتحدث إيهاب إلى

حازم سريعًا:

«المكان جميل جدًا بالفعل وكان سيصبح أجمل لو أننا كنا برحلة استجمام، ولا نبحث عن أحد ولكن بالفعل أنا تعبت للغاية، نحن نلف وندور حول أنفسنا، ولا نعلم عماذا نبحث بالضبط».

حازم حدثه بحيرة:

«أردت أن أشاهد الأماكن التي زارها السيد هارون يحيى بنفسه، لأنني متأكد أن زيارته هنا كانت من أجل أن يقابل أحد ليأخذ شيئًا أو يعطيه شيئًا ما، لكن بعد ما شاهدت المكان هنا بنفسه فهو مكان مزدحم ومفتوح معظم الوقت ومغطى بالكاميرات بكل مكان، وكل تلك المواصفات مناسبة لكي يقابل من خلالها أحدًا مقابلة سرية».

أحمد بضيق:

«إذا هل سنعلم معلومات من هنا عن مكان والدي، أم أتينا إلى إسبانيا بدون جدوى».

حازم فكر قليلًا وهو يداعب ذقنه:

«لا، لم نأت هنا بدون جدوى بالطبع، نحن فقط تنقصنا المعلومات، عندما نتحصل عليها سوف نعلم كل شيء».

طارق بقلق:

«وكيف سنتحصل على تلك المعلومات ومتى وأين؟».

حازم مبتسقا:

«سوف نعلمها من هارون يحيى نفسه».

أحمد وطارق مندهشين:

«ستعرفها كيف من أبي وهو غير متواجد معنا؟».

راقب القائم مقام والفرزدق حديث حازم دون أن يبدي أية ردة فعل، فنظر إليهم حازم وهو يغمز لهم بعينه:

«سوف ترون الآن».

قام بوضع سماعة البلوتوث على أذنه بالحال، وتابعه الجميع باهتمام، وقام بالتحدث بالسماعة سريعا:

«ألو، نعم يا حياة، ما آخر ما توصلت إليه، رائع، أرسله لهاتفني بالحال».

رفع حازم هاتفه أمامه وتجمع الجميع خلفه ليشاهدوا ما يفعل، ومعهم القائم مقام وباقي رجاله يرمقونهم وهم يراقبون محيطهم باهتمام حرصا من أي هجوم محتمل، وتابع حازم حديثه إليهم:

«بالوقت الذي سافرنا به من مصر إلى هنا حتى الوقت الذي استكشفنا به قصر الحمراء هنا في إسبانيا، جعلت حياة تتحصل على المعلومات والبيانات الضخمة الخاصة بتسجيلات الكاميرات للمكان هنا وكانت تفرز الداتا ببرنامج مستكشف الوجوه، واستطعنا الوصول للوقت الذي زار فيه السيد هارون هذا المكان وسوف ترسل لي الفيديو الخاص به

بالحال».

إيهاب ابتسم لحازم:

«يا بن العبقريّة يا حازم».

حازم رفع حاجبه مفتخرًا:

«عيب عليك يا بوب، نحن لا نلعب يا صديقي، ولكن هذا الأمر صعب للغاية فلقد استعدنا كل الداتا الضخمة المحذوفة من على هاردات ومحركات الأقراص الخاصة بكاميرات المراقبة لنصل إلى فيديوهات هارون يحيى وهذا كلفنا وقتًا وأموالًا ضخمة جدًّا».

قطع حديثهم على الفور القائم مقام وأشار إليه بيده:

«لا تقلق من أي تكاليف، أخبرني بما تحتاجه من أموال وسوف أعطيها لك، المهم أرسل لي الفيديو الخاص بهارون يحيى فورًا يا حازم».

ابتلع حازم ريقه على الفور وأوماً له برأسه موافقًا، ولم تمر سوى ثوانٍ، وأتت رسالة إلى حازم فأعاد إرسالها إلى القائم مقام على هاتفه الذي فتحها بالحال ليظهر من خلاله هارون يحيى وهو يقف على البوابة ولا يدخل قصر الحمراء وينظر إليها لعدة دقائق ثم يخرج هاتفه ويتحرك جهة أحد الحوائط القريبة من المدخل ويدون بعض الأشياء على هاتفه ثم يقف أمام البوابة لعدة ثوانٍ، فيقوم بالاصطدام بأحد الأشخاص فيتأسف له ومن ثم يتحرك منصرفًا، وهنا شعر الجميع

بالإرباك مما شهدوه، فلم يدخل هارون يحيى القصر من البداية مثل ما كانوا يعتقدون، لقد توقف أمام البوابة ليدون شيئًا على هاتفه ومن ثم تحرك مبتعدًا ولم يأخذ كل هذا الأمر سوى 23 ثانية ومن ثم انصرف مغادرًا، وتتبعوه بالكاميرات التي سجلته بعد ذلك وتتبعوا وقت مغادرته إلى المطار فوجدوا أنه لم يتوقف أبدًا من رحلته من بوابة القصر إلى أن وصل إلى المطار وسافر من جديد ومن بعد ذلك انقطعت كل أخباره عن العالم، فعبر القائم مقام عن امتعاضه وخشي أن يكون كل مجهودهم هذا كان بدون جدوى ولم يخف امتعاضه هذا عن حازم وهو يسأله على الفور:

«ما الذي حدث؟ هل هذا الذي أتينا إلى إسبانيا من أجله، ألم تخبرنا جميعًا أنك وجدت طرف الخيط الذي سيوصلنا إليه؟».

لم يجفل حازم نهائيًا حتى بعد أن تلاقت عيون القائم مقام والفرزدق به وتحدث إليهم مطمئنًا:

«لا تقلقوا بالتأكيد سوف نجد الإجابة عن تساؤلنا بعد أن نقف مكان هارون ونشاهد ما شاهده وندونه بأعيننا، هيا بنا نذهب إلي تلك البوابة».

وعلى الفور تحرك الجميع جهة بوابة القصر الذي كان يسمى باب العدالة أو الشريعة، وكان الباب ضخمًا للغاية، ظل حازم ورفاقه ينظرون إلى الهاتف أمامهم ومن ثم ينظرون إلى البوابة أمامهم بتمعن، ولكن لم يظهر لهم ما كانوا يتوقعون،

فتحدث إليهم أحمد بضيق:

«أنا لا أرى أي أمر يثير الاندهاش بتلك البوابة لتجعل أبي يسافر خصيصًا إلى إسبانيا لرؤيتها فقط».

إيهاب يتحدث ساخرًا:

«إنها ليست كأي بوابة، فهي تحتاج إلى دبابة ضخمة لكي تعبر من خلالها وليس بشرًا عاديين».

حازم أشار إليها بحماسة:

«يجب أن تكون ضخمة بالطبع، هذه بوابة مصنوعة من أجل أن تحول القصر إلى حصن بأي لحظة، ألا ترى أنه مبني فوق منطقة مرتفعة عن باقي الأماكن المحيطة بها، و لكن أنا فعليًا لا أرى بالفعل ما يثير الاهتمام هنا، هل يمكن حضور هارون يحيى إلى هنا هو لغز خاص بتلك البوابة ومن الممكن أن يكون ليس في شكل البوابة ولكن في تاريخها، أتمنى لو كان لديك أي معلومات عن تلك البوابة تشاركنا بها يا شيخ طارق».

أجابه طارق على الفور:

«هذه البوابة لها اسمان مشهوران، الأول بوابة الشريعة والثاني بوابة العدل، وكان يطلق عليها هكذا مجازًا لأنها كانت تصل ذوي المظالم وأرباب الحاجات عن طريقها إلى مجلس القضاء، الذي كان يعقد في الغالب في الساحة التي تليه أو في المسجد المؤدي إليه، جريًا على عادة القضاء بالأندلس،

حيث يخصص يوم معين لفحص الشكاوى ونظر الخصومات على يدي السلطان أحيانًا، أو نائبه أو قاضي القضاة في أغلب الأحيان».

قاطعة حازم على الفور:

«هل كان هناك قصة مشهورة عن هذا الباب مثلًا أو حكاية قديمة عنه؟».

«بالطبع، هناك أساطير كثيرة عن باب العدالة هذا وعن قصر الحمراء ككل، أشهر تلك الأساطير أن هناك يدًا ومفتاحًا محفورين على هذا الباب، أتراهم؟ هم هناك بالأعلى».

ثم أشار طارق إلى جهة بالأعلى فوق البوابة الضخمة، فنظر الجميع جهة ما يشير بفضول، فظهرت أمامهم يد بيضاء محفورة على باب العدالة، ثم ظهر مفتاح على مسافة منه مربوط بحبل وملتصق بسقف رخامي، فأخذ يتابع طارق الحديث إليهم وهو يشرح لهم ما يروه:

«وأحد تلك الأساطير المشهورة تقول إنه عندما تصل اليد إلى المفتاح سينهار قصر الحمراء وتكون نهاية العالم، وتروي أسطورة أخرى أن الفارس الذي يستطيع أن يصل بحربته للمفتاح سينال قصر الحمراء كمكافأة له ويكون له الملك وعلقًا وفيّزًا».

نظر الجميع إلى اليد المحفورة والمفتاح وهم متعجبون، وتحرك إيهاب ليقف أسفل المفتاح وهو ينظر إليه من متمعنًا:

«إذا لو قمت بالوصول بحربتي تلك إلى هذا المفتاح سأنال قصر الحمراء وأصبح من الأغنياء، ولكن من أين سأحضر حربة بهذا الوقت؟».

ضحك أحمد ساخراً من إيهاب:

«ههههه، هل صدقت ذلك الهراء؟ هل تريد إقناعي أن كل تلك السنوات لم يحاول أحد أن يحضر سلقاً أو ما شابه ويلمس ذلك المفتاح، إنها مجرد أساطير وكلام لا يصدق».

إيهاب ضحك ساخراً من نفسه:

«بالفعل أنت محق، أنا غبي بالفعل، لكن ما شاء الله لا قوة إلا بالله، يبدو أنك ستصبح ذكياً وعالماً مثل أبيك».

ابتسم أحمد بخجل واحمرت وجنتاه، بينما انهمك حازم بمشاهدة الفيديو وهو يمسك شعره بعنف فسأله طارق بفضول:

«أخبرني ما يشغل بالك لعلني أستطيع مساعدتك».

نظر إليه محتاراً:

«أحاول أن أربط بين رد فعل هارون يحيى على رؤيته للبوابة، والأساطير التي أخبرتني عنها، ولكن حتى الآن لم أجد أي رابط منطقي بينهما».

وقف الفرزدق والقائم مقام يرقبان حازم وجماعته باهتمام شديد، بينما شاهد حازم الفيديو مرة أخرى، فظهر بالكاميرا هارون وهو يتجه جهة حائط بالقرب منهم ويستخدم هاتفه،

من ثم تعثر بشخص ما واعتذر له ومن ثم غادر، نظر القائم
مقام إليهم بتمعن شديد ومن ثم حدثهم متحمسًا:

«لقد وجدتها!».

الفرزدق متحفزًا:

«وجدت ماذا؟».

أجابه القائم مقام بعد أن التف الجميع حوله:

«لماذا هارون يحيى قد قدم حتى باب قصر الحمراء ولم
يدخله، ولم يقابل أحدًا أو يرى أحدًا، كل ما فعله أنه نظر إلى
بوابة العدالة، ومن ثم سجل شيئًا على هاتفه وبعد ذلك التف
عائدًا وانصرف وماذا يعني هذا؟».

سأله طارق بفضول:

«ماذا يعني؟».

أجابه بثقة:

«قد فعل هارون يحيى ما يريد بالفعل ووقوفه أمام البوابة
مجرد تمويه ليخدع أي شخص يراقبه».

ضرب حازم رأسه بسرعة:

«بالفعل، كم أنا غبي! كيف لم أفكر بهذا؟».

نظر إليه صحبتته وهم غير مستوعبين لما يرمي إليه، فسأله
أحمد باستماتة:

«أرجوكم أن تخبروني ما حدث أنا لا أفهم شيئًا».

أجابه حازم على الفور:

«إذا كنت لا تريد من أحد أن يعلم عن لقاء سري بينك وبين أي شخص، ماذا ستفعل؟»

ستقوم باللقاء السري هذا أمام الجميع، بمكان مفتوح يستطيع به أي شخص أن يختلط بالحشود بسهولة، ويجب أن تتقابلا بنقطة معينة تتفقان عليها لا تثير الانتباه أو الشكوك».

فرق إيهاب أصبعيه بسرعة:

«إذا المكان المفتوح هو قصر الحمراء، والنقطة التي لا تثير الانتباه أو الشكوك هي بوابة القصر، بوابة العدالة».

وضع طارق سبابته على رأسه:

«وهناك تستطيع أن تأخذ أي شيء أو تعطي أي شيء لشخص ما فقط بالمرور بجواره، إذا الشخص الذي ارتطم بهارون يحيى كان يقصد هذا وكان يسلم أو يستلم شيئًا ما منه».

ارتسمت ابتسامة كبيرة على وجه حازم:

«إذا هذا الشخص الذي ارتطم بهارون يحيى هو الخطوة الثانية التي يجب البحث عنها الآن».

وعلى الفور وضع حازم إصبعه على أذنه بسماعة البلوتوث:

«حياة، أريدك أن تحاولي أن تتعرفي على الشخص الذي ارتطم بهارون يحيى أمام بوابة العدالة بقصر الحمراء، حاولي أن تعرفي من هو وتتبعي حركته عن طريق الكاميرات خلال هذا اليوم، أنا أعلم أن الأمر مرهق لك، لكن أوعدك سأعوضك عن وقتك الثمين هذا، حسنًا إلى اللقاء».

تحدث إليهم حازم فرحًا:

«حياة سوف تحاول التعرف على وجهه من خلال برنامج الذكاء الاصطناعي وسوف نتتبع حركته عن طريق الكاميرات وسوف نعلم عليه قريبًا إن شاء الله».

شعر الجميع بالفرح وكان أكثرهم فرحًا، أحمد الذي قفز بسعادة شديدة، ولكن مزقت تلك السعادة بعنف بكلمات الفرزدق التي أطلقها على آذانهم واثقًا وهو ينظر بالفيديو بهاتفه:

«لا، لن تجدوه بسهولة أبدًا كما تعتقدون».

سأله القائم على الفور بغضب:

«ولماذا تعتقد هذا يا فرزدق؟».

أوقف الفرزدق الفيديو على الفور وتوجه بشاشة هاتفه ناحيتهم وهو يشير إلى الشخص الذي يرتطم بهارون بسبابته:

«لأنني أعلم من هذا بالفعل، أنه أحد رجال جماعتنا إخوان الصفاء ويدعى «حيجون» وهو فرد من الجماعة هرب مع

هارون يحيى، صورته ليست واضحة لأنه كان يحرص على إخفاء ملامحه ولكن أنا لا أنسى أي شخص شاهدته من قبل».

سأله إيهاب بفضول وقلق:

«وأنت، احم، كيف حكمت على أننا لن نجد حيحون هذا؟».

«لأن حيحون ثعلب عجوز، إذا أراد أن يختفي عن أي شخص فلن يجده أحد، وأنا أثق أنك لن تجد له أي دليل على الكاميرات، فهو سيغير من حركته ومشيته وملابسه وطريقة كلامه، ويستطيع أن يذوب وسط الحشود كقطعة الثلج إذا سقطت بالماء سرعان ما لن تراها مرة أخرى».

سيطرة حالة من فقدان الأمل لدى الجميع مرة أخرى
وصرخ أحمد الصغير بغضب:

«إذا لقد عدنا إلى نقطة الصفر من جديد».

ولكن تفاجأ الجميع بحازم الذي ظل ينظر إلى الأرض وهو يقوم بلف يديه اليمنى بسرعة وهو يفكر:

«بالعكس، أعتقد أن الأمور ستصير بصالحنا من الآن فصاعدًا».

نظر إليه الجميع بفضول بينما علت ملامح الغضب على وجه الفرزدق الذي تحدث إليه حائقًا:

«يبدو أنك لم تتعلم أبدًا، أن أعضاء جماعة إخوان الصفاء أخطر وأذكى بكثير مما كنت تتخيل».

ظلت حالة التفكير العالق بها حازم ولم تتبدل واستمر يدير يده اليمنى بشكل مستمر:

«أعلم بأن ما تقوله صحيحًا، وأن هذا الرجل ثعلب عجوز ويتملك حرص الذئاب، ولهذا سيكون الوصول إليه أسهل، أنت أخبرتني أنه هرب مع هارون يحيى من الجماعة، إذا أنه يخشى من وصول جماعة إخوان الصفاء إليه أكثر من أي شيء آخر، ولهذا ستكون خطواته محدودة للغاية وروتينية لأنه سيتتبع ويتعامل مع من يثق بهم فقط وعن طريق الاقتراب من روتينه اليومي هذا ودائرة معارفه المغلقة، سنصل إليه، إنه شخص عجوز أليس كذلك؟».

«نعم، إنه فوق منتصف الستين أو أكثر».

«إذا بالتأكيد هو كأي عجوز يحمل بعض الأمراض حتى ولو كان من جماعة سرية قديمة، ولديها الكثير من العلوم والأسرار الطبية العتيقة وبيض العنقاء، فسيظل يحمل مرضًا أو اثنين بداخله».

«بالفعل قلبه لن يتحمل تأثير بيضة العنقاء فهي مستبعدة من حساباته، وهو مريض بالفعل لأنه كان يتناول الكثير من الأدوية التي كان يعطيها له الجاحظ قبل أن يهرب».

«إذا بعد أن هرب ونفذ ما تبقى من مخزونه الطبي الذي كان يأخذه من الجاحظ كالمعتاد، فسيضطر بالنهاية أن يتناول الأدوية التقليدية، ولأنه سيكون خائفًا ومرتابًا، سيتردد على مكان أو اثنين بالكثير للحصول على أدويته تلك، ولهذا يجب

علينا أن نقلل مدى بحثنا إلى أقصى حد ممكن، وسيكون هدفنا الأول هو إيجاد المكان الذي يسكن به، ما المدة الزمنية التي احتاجها هارون يحيى أن يأتي من المطار إلى قصر الحمراء؟».

وهنا قام الجميع بالبحث على هاتفه بسرعة عن مدى الفترة الزمنية والمسافة ما عدا أحمد الذي ظل يشاهدهم يعبثون بهواتفهم وهو شارد العقل يتابع ما يحدث بفضول، فقام على الفور بإيهاب بإجابته:

«المسافة بين غرناطة ومديرند نحو 420 كيلو مترًا حسب خرائط جوجل على الطريق البري الأقصر الواصل بينهما، ويمكن قطع تلك المسافة في 4 ساعات تقريبًا بالسيارة، بينما يمكن قطعها في ساعة و5 دقائق بالطائرة يا حازم».

«إذا يجب أن يسكن هذا الشخص |||||».

أجابه الفرزدق سريعًا:

«حيجون».

«نعم حيجون، يجب أن يسكن بمسافة قريبة تجعله يستطيع الوصول إلى قصر الحمراء بزمان يقدر بتلك الفترة الزمنية وهذا يقلص نطاق بحثنا إلى بلاد».

القائم مقام أجابه بسرعة:

«برشلونة وقرطبة وملقا».

حرك حازم يديه مرة أخرى:

«ومن تلك الثلاث مناطق ما هي المدينة الأكبر التي يستطيع بها ذئب عجوز أن يختبئ دون أن يطرح عليه أي شخص أسئلة كثيرة، وبها الكثير من المواصلات لعامة والمستشفيات والأجانب».

يجيبه طارق على الفور:

«برشلونة».

فرقع حازم أصبعيه بحماسة:

«إذا مدينة برشلونة هي المكان التي يختبئ به، حح».

الفرزدق ملاحظًا:

«حيجون».

«نعم حيجون هذا، الهدف الثاني هو معرفة ما هي أمراضه، هل تتذكر يا فرزدق أي أمراض يمتلكها حيجكون هذا».

«لا، لا أتذكر جيدًا، فلما سأهتتم بعجوز مثله! وبأمراضه».

«هل تتذكر شيئًا معينًا كان يفعله، ينام بطريقة معينة أو يجلس بطريقة معينة أو يتناول طعامًا معينًا».

«نعم، الطعام، أتذكر أنه كان لا يحب أن يتناول الخبز واللحوم والموز والألبان، وكنت أتعجب من هذا فسألته ذات مرة عن سبب هذا وأخبرني بأنه لا يأكلهم بسبب مرضه».

على الفور فرقع حازم أصابعه مرة أخرى:

«الخبز واللحوم والموز والألبان، جيد رائع، هذه الأكلات من قائمة الممنوعات لمرضى الفشل الكلوي، أنا أحفظ قوائم الأطعمة الممنوعة لأكثر من سبعين مرضًا من الأمراض الشائعة، ومرض الفشل الكلوي شائع لمن هم بهذا السن، وبهكذا علمنا ما هو مرضه إذا خطوتنا التالية هي تقليل نطاق الأماكن التي يستطيع الحصول على الأدوية التي تعالج هذا المرض ونقلقل نطاق البحث بين الأجانب وسوف نجده بفترة قصيرة للغاية، وعندما نجده سوف نجد دليلًا حقيقيًا عن مكان هارون يحيى أو على الأقل نستطيع الوصول لما حدث له».

وهنا ارتسمت ملامح الفرح على الجميع واحتضن إيهاب حازم وهو يصفه بالعبقريّة وأخذ طارق وأحمد يشاهدوهما وهما غارقان بالأمل من جديد بينما الفرزدق وقف مشدوّهًا من استنتاجات حازم الذكيّة، التي لم يكن يتخيل أن يصل إليها أبدًا ولو بعد مائة عام، أما القائم مقام كان أكثرهم سرورًا وسعادة وهو يشاهد حازم وإيهاب يتعانقان وهو يحدث نفسه بثقة:

«لقد كان محقًا عندما اختارك يا حازم».

بتلك الأثناء كان هناك ضيف غير متوقع قد حضر إلى مطار مدريد بالفعل، وكان يقف وسط طابور قصير أمام نافذة إنهاء إجراءات الدخول، ظلت حركة الطابور بطيئة

للفتاة، فالضابطة الثلاثينية التي تنهي إجراءات الدخول تحقق وتدقق بكل شخص قادم يقف أمامها وقامت برفض دخول ثلاثة أشخاص بالفعل من هذا الطابور القصير الذي لا يتعدى اثني عشر شخصًا، وكان الجميع يشعر بالقلق والتوتر وهو يخشى أن ينال نفس مصير هؤلاء المساكين الثلاثة ولا يسمح لهم بدخول إسبانيا ويعودون إلى بلادهم يحملون خفي حنين، وبدى هذا التوتر على أفعال الحضور جميعهم عدى هذا الضيف الذي لم يرمش له جفن أبدًا وكان يتعامل بأنه سوف يدخل البلدة لامحالة ولا مجال يذكر لتهديد تلك الضابطة أمامه، ولم يمكث كثيرًا حتى وصل دوره ليقف أمام الضابطة الجامدة التي كانت ترتدي قناعًا يحمل سخط العالم وتشككه ولا تتوانى أن تتباهى به أمام الجميع، كانت تضع مساحيق التجميل بطريقة شبه باهتة أو آلية، تربط شعرها الأسود المختلط بصفرة مصطنعة أسفل رأسها على هيئة كعكة قديمة سقطت أسفل أريكة وسط حفل صاخب، أمسكت بأوراق الضيف بين يديها بأنامل حديدية وظلت تحقق وتدقق بها كمن يلعب لعبة الاختلافات العشرة بين الصور، نظرت إلى صورته بجواز سفره ومن ثم رفعت عينيها المرتابة إلى وجهه وأخذت تتطلع بملامحه، التي كانت تدل أنه شخص قوقازي أبيض اللون، طوله يتعدى المائة وخمس وثمانين سم، وجسده متوسط الحجم، ذو عضلات متوسطة ويبدو أنه يمارس الرياضة الحركية كثيرًا، رأسه بيضاوية، أنفه طويل ودقيق، عيونه واسعة بياضها ظاهر بوضوح نظرًا لوضعه كحلًا بعينه، ذقنه كثيفة تغطي أسفل وجهه وناعمة

ولكنها ليست طويلة، شفاهه تلمع بحمرة شديدة كمن يضع
أحمر شفاه ويبدو أنه يهتم بفمه وأسنانه التي كانت كاللؤلؤ
ناصعة رخامية، توقفت الضابطة عن النظر إلى ملامحه
وترقبت رد فعله المرتسم على وجهه عندما سألته:
«ما اسمك؟».

ابتسم الضيف وأجابها على الفور بالإسبانية بصوت رخيم
قوي:

«أدعى الأصمعي، اوبس، لقد نسيت، أدعى فرناندو كما
مكتوب بجواز السفر».

شعرت الضابطة بالارتباك من إجابته وتسرب القلق إليها
فسألته على الفور بتشكك:
«ما هدفك من الزيارة؟».

ابتسم الأصمعي على الفور وبدأت نواجذه وهو يقترب من
النافذة ويهمس لها بالإسبانية:

«لقد أتيت إلى هنا لمشاهدة جمالك، ألا تعتقدي بأنك أجمل
سيدة هنا؟».

وهنا ارتسمت على وجه الضابطة ابتسامة فرحة، وداعبت
جبهتها بسعادة:

«هل تعتقد ذلك؟ هل أنا جميلة؟».

أجابها الأصمعي وهو يهمس:

«ألا تعتقدين أنك أجمل واحدة بهذا المكان الآن».

تحمست الضابطة وأخذت تتلمس أناملها خلف أذنها ورقبتها وهي تبسم بحياء:

«نعم، أنا أجمل سيدة هنا».

ثم تسالت يدها جهة شعرها المعقود وفكته سريعًا وأخذت تفرده بدلال بين يديها، نظر جميع من بالطابور إلى الضابطة وهم مندهشون من تغير رد فعلها المغاير لطباعها الأولى هكذا وظلوا يتابعون ما يفعله الأصمعي مندهشين، وأخذت الضابطة تنظر إلى الأصمعي وهي تضحك بفرح طفلة صغيرة ترتدي فستانًا جديدًا وهي تتلمس وجهها وشعرها بأناملها بفخر، فاستغل الأصمعي هذا الأمر وهمس إليها بسرعة مبتسماً:

«ألا تعتقدين أنه يجب أن تنهي أوراقك بسرعة لكي أرحل ليستطيع من خلفي أن يشاهد جمالك الأخاذ هذا».

أومأت الضابطة إليه بالموافقة:

«نعم، يجب أن ننهي أوراقك سريعًا»، وعلى الفور قامت الضابطة بختم تأشيرته وأنهت إجراءات دخوله بسرعة شديدة، وأعطتهم إلى الأصمعي الذي أمسك أوراقه وأشار إليها بيده مودعًا، وظلت تراقبه من خلف النافذة وهي تداعب شعرها حتى غاب عن عينيها، وهنا صاحت سيدة تقف أمام الضابطة»

«سيدتي، الأوراق».

عادت الضابطة إلى رشدها سريعًا وأخذت أوراق السيدة أمامها وقامت بفحصها وهنا نظرت إلى وجه السيدة التي أمامها فوجدت شعرها شديد النعومة ووجها جميل فشعرت الضابطة بالغيرة فتلمست شعرها بغضب وهي تنظر للسيدة أمامها بضيق:

«يجب أن تعلمي أن شعري ووجهي أجمل من شعرك ووجهك».

نظرت السيدة إلى الضابطة مصدومة وهي لا تعلم بماذا تجيب، بينما ظلت تنظر إليها الضابطة بغيظ وهي تحرك شعرها بين أناملها.

أثناء ذلك الوقت بداخل سجن المقعرة بمخبأ إخوان الصفاء، كان جرير يبكي حزناً على فراق صديقه الأخطل وهو يتذكر بعض المحادثات والنقاشات التي كان يغلب عليها اختلاف وجهات النظر دائماً، تدارك أنه يبكي فمسح دموعه وهو يقبض على يديه متحفزاً للخروج من هذا السجن ليحصل على انتقامه، كان يحاول أن يتمسك بالحائط وهو يتحرك ببطء، فالمقعرة هذه عبارة عن غرفة مخروطية الشكل بطول مترين وعرض ثلاثة أمتار، كانت هذه الغرفة تتخذ شكل الأواني الفخارية و تتحرك باستمرار ببطء شديد ويتحول سقفها إلى أرضها وأرضها إلى سقفها ولا يثبت بها

أي شيء، فكل شيء بداخل الغرفة يتقلب بشكل مستمرة، ويتم إنارتها ببعض الطحالب البحرية التي تعلق على حوائطها فتعطي إضاءة ضعيفة لكنها تبعد الظلام الدامس بداخل المقعرة، الغرفة يتم التحكم بها من الخارج وبسرعتها، فمن الممكن أن تتحرك بسرعة كبيرة لتصبح أشبه بالخلط أو المغسلة التي تقلب الملابس بداخلها فتقلب محتوياتها والمسجون بداخلها وبهذا لا يهنا بنوم أو جلوس أو حتى يعلم رأسه من قدمه، ويكون لديه اضطراب حركي يصيبه بالغثيان وإذا استمر لفترة طويلة قد يؤدي إلى هلاك من بداخلها، وبالسرعة المتوسطة يتم تعذيب ساكنها بالأهنا براحة أو جلوس أو سكون ولكن يستطيع أن يعيش بداخلها لعدة أسابيع، أما بالسرعة البطيئة للغاية التي كانت تستخدم مع جرير فهو يستطيع أن يجلس ويرتاح، وإذا كان شخص لديه تدريبات وتحكم عضلي وعقلي قوي مثل أعضاء إخوان الصفاء فإنهم يستطيعون أن يعيشوا بها كأنها غرفة عادية، ولهذا كان جرير لا يجد أي فرق بوجوده بداخل المقعرة على وجوده بأي مكان آخر، سوى أنه لا يستطيع أن يصل إلى مبتغاه والانتقام لصديقه.

فجأة تم الطرق على الباب الحديد للمقعرة بعد أن توقفت عن الحركة، وسمع جرير صوت سيراف يقف على الباب يستأذن بالدخول:

«سلام عليك يا أخي جرير، هل أستطيع أن أدخل إلى المقعرة؟».

تنهد جرير وتحدث إليه بحدة:

«ماذا تريد يا سيراف، لماذا أرسلك الجاحظ لي، هل ستقومون بإعدامي أم بطردي من الجماعة؟ بالحالتين لن تفرق كثيرًا».

دلف سيراف إلى داخل المقعرة ونظر إليها سريعًا بعينه فوجدها ممتلئة بالكتابات والرسوم البذيئة التي تسب أعضاء الجماعة والجاحظ بصفة خاصة وتستهزئ به وبذقنه، شعر سيراف بالضيق وأخذ يمسح تلك الرسومات بقماشة بيده وهو يتحدث إلى جرير خلفه:

«أنت تعلم جيدًا يا جرير بأن سيدي الجاحظ يرانا كلنا إخوانًا وعائلة واحدة نحمل نفس الأهداف ونفس الفكر والثوابت والتفكير».

ابتسم جرير ساخرًا:

«وهل تعتقد بأنني يهمني تفكيركم أو أهدافكم، أنا مختلف تمامًا عنكم أيها الحمقى الملاعين».

استاء سيراف من قول جرير ولكنه لم يبد له رد فعل وقام بمسح الرسومات البذيئة التي عن الجاحظ أولًا:

«جماعتنا أسرة واحدة يا جرير، وليس معنى أن الأسرة بها أفراد مختلفون، أننا سنتخلى عن فرد من أسرتنا، وحتى لو كان هذا الشخص مفتعلًا للمشاكل وغريب الأطوار مثلك».

شعر جرير بالغضب وهب واقفًا خلف سيراف وصرخ عليه

بضيق:

«أسرة، اللعنة على أسرتك هذه، وهل إذا كنا أسرة حقيقية، هل كنتم ستتركون حامد يموت هكذا، بدون أن تنتقم له، حامد الذي تعلمون جميعًا بأنه كان أشد أفراد جماعتكم إخلاصًا وحبًا، الشخص الوحيد الذي شعرت معه أنني إنسان أشعر وأضحك وأبكي ولست مجرد آلة للقتل والاغتيال، حامد الذي يكاد يفوقكم جميعًا إخلاصًا للجاحظ، وما الذي فعله له الجاحظ حينما مات، ألقى بجثته وحيثًا بعيدًا بداخل مكان مقفر بداخل الصحراء، لم يدعني حتى أكون متواجدًا بلحظات وداعه الأخيرة، لم أدفنه بيدي وألثم جبهته بفمي وأودعه للمرة الأخيرة، عن أي أسرة تلك تتحدث».

وانخرط جرير بالبكاء وهو يحاول أن يمسح عيونه بملابسه ولكن دون جدوى، حديته المنفعل الممتلئ بالمشاعر ومشاهدته يبكي ألقت بالحزن والرأفة بقلب سيراف، فنظر إلى الأرض مطأطئ الرأس وبدا عليه الضيق، كان يحارب مئات الجمل التي تجول بصدرة ويريد إخراجها ولكنه كان يخشى من أثر تلك الكلمات على الجميع فيما بعد، فحاول أن يتحدث ولكنه لم يتمكن ف ضرب الحائط بيده غاضبًا وهو يتحدث بحنق شديد:

«أعلم جيدًا مشاعرك يا جرير، الأخطل كان إنسانًا نادرًا ما يجود الزمان بشخص مثله، وأنا معك ولك كل الحق بالانتقام له، ولكي أصدقك القول، أرى أن الانتقام له هو هدفنا الأول والأخير الآن، ولكن سيدي الجاحظ على عكسنا تمامًا هو

حزين على الأخطل بالفعل ويريد الانتقام له، ولكن مصلحة الجماعة بل البشرية نفسها بأن نصل إلى كتاب الكنوز الذي فُقد، ومن سيصلنا إليه سيكون حازم للأسف، ولهذا يجب أن ننحي مشاعرنا الآن من أجل الغاية الأكبر».

دفعه جرير بغضب بالحائط وهو يمسك بخنقه ويضغط على ملابسه بقوة وعنف:

«اللعنة على الجماعة وعلى الكتاب وعلى البشرية بأكملها، فليحترق الناس جميعًا، كلهم لا يساوون ظفرًا لدى الأخطل، يجب أن تعلموا أنني سوف أخرج من هنا، وسوف أنال انتقامي بنفسي، ومن يقف بطريقي سوف أقتله حتى ولو كان أنت والجاحظ وجمعاتكم كلها».

تنهد سيراف وقام بإنزال يد جرير من على ملابسه بسهولة شديدة رغم مقاومة جرير غير المجدية وتحدث إليه بنبرة هادئة:

«لن أحاسبك على ما تقوله الآن، فالإنسان أثناء ثورة غضبه يتحدث بأمور لا يقصدها، وبما أنك فرد من أسرة جماعة إخوان الصفاء وخلان الوفاء فسوف نقوم بمسامحتك، حتى وإذا لم ترنا أسرتك فيكفي أن نراك نحن كذلك، لقد أصدر سيدي الجاحظ أمره لك لكي تخرج من المقعرة».

ظهر الاندهاش على وجه جرير:

«ماذا، سيتركني أخرج من المقعرة، لماذا؟ هو يعلم جيدًا أنني سوف أخرج للانتقام من حازم، أم هو يعلم أنني لن أجد

حازم لو بحثت عنه بنفسي وأنكم لن تخبروني ولهذا فهو مطمئن».

تحرك سيراف جهة باب الزنزانة لكي يخرج منها، فأمسكه جرير من يده بترج:

«انتظر يا سيراف، أنا أترجاك، أخبرني أين ذهب حازم».

أمسكه سيراف بيديه بعنف وغضب:

«هل جنت، هل تريدني أن أكسر أمر الجاحظ، أنت تعلم جيدًا أن الموت عندي أهون من أن أفعل شيئًا لا يؤمرني به الجاحظ».

أمسكه جرير من ملابسه مترجيًا:

«سيراف، سيراف أرجوك، لا تدعني هكذا، سوف أفعل ما تريد، سوف أعهد على نفسي أمامك، والله لن أدع أي مكروه يحدث للجاحظ ما حييت، ولكن أخبرني أين ذهب حازم، من أجل حامد، من أجل الأخطل صديقنا».

شعر سيراف بالاضطراب وحاول أن يخفي وجهه من أمام جرير:

«أنت تعلم جيدًا بأنني لا أستطيع أن أخبرك، لا ترغبني على أن أبطش بك يا جرير، لا تحاول أن تستعطف مشاعري أمام ولائي للجاحظ أبدًا، أنت تعلم بأن لا شيء يفلح أمام ولائي أبدًا، فلتقم بمسح تلك الرسومات البغيضة من فوق الحائط ولتخرج من المقعرة، وإذا لم تنفذ أمري فسوف أقوم

بمعاقبتك بنفسي».

تركه سيراف واتجه ناحية الباب وشعر جرير بالضييق وهو ينظر للأرض بغيظ شديد، وهنا عاد سيراف إلى داخل المقبرة من جديد وتحدث إليه بسرعة:

«لقد تذكرت، الفرزدق أصبح الآن مارقًا، لديك الأمر إذا شاهدته أن تتخلص منه على الفور».

شعر جرير بالصدمة ونظر إلى سيراف ضاحكًا:

«ماذا؟ الفرزدق أصبح مارقًا، إذا لقد أصبح كل شيء جليًا أمامي الآن، الفرزدق هو من أعطى حازم بيضة العنقاء وساعده على الهرب، إذا لقد ساعده لسبب ما برأسه، بالتأكيد سوف يكون حازم مع الفرزدق الآن، وبالتأكيد سوف يعاقبه الجاحظ، سيراف هنا لكي يحمي الجاحظ، والخوارزمي مشغول بأمره وليس موجودًا، إذا ليس هناك سوى الأصمعي».

قفز جرير وتعلق بملابس سيراف من جديد:

«لا داعي يا أخي ان تخبرني بمكان حازم، لا داعي لكي لا تكسر أمر الجاحظ أو نفعل أمرًا يخالف ولاءك له، ولكن من أجل الأخطل، من أجل أخيئنا الذي قتل غدًا، أخبرني بمكان الأصمعي، أين هو الآن».

ابتلع سيراف ريقه متوترًا مترددًا، فلم يمهل جرير فرصة للتفكير:

«أخي من أجل الأخطل، من أجل هذا الرجل الذي كان الأفضل بيننا، أنت لن تفعل شيئًا لم يخبرك به الجاحظ، فهو لم يخبرك ألا تخبرني بمكان الأصمعي قط، أرجوك يا أخي، يا أخي أرجوك، من أجل الأخطل».

تنهد سيراف مستسلفًا:

«حسنًا، لكن لا تخبر أحد بأنك علمت مني».

سحب جرير يديه على فمه كمن يسحب سحابة ملابس:

«لن أفتح فمي بأي كلمة أعدك بهذا».

تنهد سيراف مرة أخرى:

«مدريد، الأصمعي كان يتجه إلى مطار مدريد».

نظر سيراف إلى قدم جرير الموضوعة بجبيرة بلاستيكية:

«ها قد أخبرتك، وأنا أعلم أنك لن تستطيع مواجهة الفرزدق أو الأصمعي وأنت بجسد سليم، فما بالك وأنت بقدم مصابة، نصيحتي لك يا أخي أن تتريث قليلًا، وترى إلى أي مدى ستصل الأمور، وتستطيع أن تأخذ انتقامك فيما بعد».

ومن ثم تحرك سيراف إلى خارج المقعرة وتركك جرير بمفرده وهو ينظر إلى قدمه المصابة ومن ثم أخرج من يده كيسًا صغيرًا به ثلاث بيضات عنقاء وأخذ ينظر إليها فرحًا:

«لا تخف يا سيراف، لن أجد أي معضلة بالحصول على انتقامي بعد أن أخذت منك تلك الهدية الرائعة، انتظرنى يا

حازم أنا قادم إليك».

برشلونة تلك المدينة الصاخبة التي يرتبط اسمها بأحد أشهر أندية كرة القدم العالمية التي يحمل اسمها، وهي عاصمة مقاطعة برشلونة وإقليم كاتالونيا، وثاني أكبر المدن الإسبانية بعد مدريد، بها أهم موانئ البلاد وتعد عاصمة تجارية ومالية وصناعية هامة في منطقة جنوب أوروبا.

وتقع مدينة برشلونة على الساحل الشرقي لشبه الجزيرة الأيبيرية المطل على البحر الأبيض المتوسط، وفي الشمال الشرقي من شبه الجزيرة وسط الدلتا الواقعة بين نهري يوبريغات وبيسوس، وتوجد على بعد 150 كيلومترًا جنوب سلسلة جبال البرانس الفاصلة بين إسبانيا وفرنسا.

ويسكن مدينة برشلونة ما يربو على 1.5 مليون نسمة، ويرتفع هذا العدد إلى خمسة ملايين نسمة ونيف إذا ما أضيف إليه سكان الضواحي، فهي مدينة مزدحمة وممتلئة بالحركة والتنقلات البشرية والتجارية والسيارات والقطارات.

ووسط كل ذلك الزحام الممتلئة به مدينة برشلونة، كان هناك شخص عجوز يتحرك بصعوبة شديدة بشوارع تلك المدينة، بظهر مثني يتكئ على عصا قصيرة غليظة، ويرتدي جاكًا أزرق و بنطالًا قماشًا واسعًا، وشعره الأبيض الأشعث الكثيف فوق رأسه أسفل قبعه، يتحرك فوق الأرصفة ببطء ملحوظ وهو يرتدي نظارة سوداء فوق عينيه، ويتحرك المارة

بعيدًا عنه بمسافة ملحوظة نظرًا لحركته البطيئة التي سوف تؤثر على نمط حياتهم السريع الذي فرضته المدينة عليهم.

دلف إلى إحدى الصيدليات بتأنٍ شديد ووقف خلف أحد الطوابير القصيرة أمام البائع، وبعد عدة دقائق سريعة كان يقف أمامه ويعطيه وصفة دوائية أخذها منه البائع ونظر بها سريعًا ومن ثم أحضر حاجياته وأعطاهها للعجوز بعد أن أخذ منه النقود، فحمل العجوز كيسًا بلاستيكيًا صغيرًا به الدواء وتحرك إلى خارج الصيدلية، وأصبح بوسط الشارع من جديد، وعاد بطريقة إلى منزله، ولكنه لاحظ بعينه المدربتين بأن هناك خمسة أشخاص يتبعونه، كاد قلب العجوز يقفز من صدره، ولكنه حاول أن يهدئ من روعه، تدور برأسه ألف فكرة، من وكيف ولماذا؟ من هؤلاء؟ وكيف علموا بشخصيته؟ ولماذا يتبعونه الآن، كان يريد أن يتأكد أن هناك من يتبعه هو بالفعل وليس شخصًا آخر، ويتمنى أن يكون فقط مجرد عجوز مرتاب، فقام على الفور بالتحرك جهة أحد الأزقة الضيقة بحركته البطيئة حتى يقطع الشك باليقين، فوجد أن هؤلاء المتتبعين له توقفوا عن متابعته وتحركوا بطريقهم، فتنفس الصعداء وهو يلوم نفسه أنه أصبح كجرو صغير يخاف من أي شيء، وهم يسرع من حركته قليلًا حتى وصل إلى نهاية الزقاق ليعبر للشارع للجهة الأخرى، وهنا التقطت عيناه شخصين آخرين يترقبانه من على الجهة الأخرى، إذا هناك عدد كبير يراقبه بالفعل ولم يكن يتوهم، حاول أن يحرك عينيه بسرعة بجميع الاتجاهات من أسفل نظارته

السوداء ليرى من يترقبه وهو يتصنع ببطء حركته، وهنا شاهد سبعة أشخاص مدججين بالسلاح يرتدون ملابس مدنية مختلفة يتوزعون بكل أنحاء الشارع وهناك ثلاث سيارات سوداء كبيرة الحجم محركاتها تعمل وعلى أهبة الاستعداد للانقضاض عليه، هنا كاد أن يصرخ من نفسه غاضبًا بأنه قد تحرك إلى داخل هذا الزقاق ليصبح بداخل هذا الشارع الهادئ المعد لاختطافه بشكل جيد، ولا يستطيع أن يعود أدراجه مرة أخرى فهناك خمسة أشخاص بالفعل ينتظرونه بالجهة الأخرى، لقد سقط بأيديهم ونفذ كل ما يرغبون به، شعر أنه أصبح عجوزًا بالفعل، فلم يقع بهذا الخطأ أبدًا من قبل، ولكنه منذ أن هرب من جماعة إخوان الصفاء وأصبح يتحسس خطاه بكل حركته، هذا قد جعله يفقد كثيرًا من رجاحة تفكيره، علم بالفعل أن نهايته ستكون على عضو من أعضاء الجماعة الكبار الذي لن يكون له قبل بملاقاتهم واعتقد لوهلة أن نهاية هذا الزقاق هو مرقده النهائي ولكن هناك شيئًا خاطئًا، هذه ليست تقنيات أو تحركات جماعة إخوان الصفاء فهو يعلمها كلها، ولا يوجد أي شخص من هؤلاء المراقبين عضو من أعضاء الجماعة، هؤلاء أشخاص مسلحون عاديون ليسوا مدربين مثله حتى وإن كان عجوزًا فدبت الحماسة بقلبه من جديد وأيقن أنه سينجو بكل تأكيد من هذا المكن، فابتسم وهو يتخلص من تنكره الذي سوف يقلل من سرعته وقوته، وهو غير عابئ بتصوير الكاميرات له، فهو لا ينوي أن يمكث بمدريد أو إسبانيا نهائيًا بعد الآن، فقام على الفور بالانتصاب واقفًا عندما خرج من الزقاق ورفع عصاه ومن ثم ألقاها بقوة

لمنتصف الشارع، فتوقف متتبعيه ونظروا إليه مندهشين من فعله، وأخذ العجوز يقف بمنتصف الشارع ويتراقص بطريقة غريبة، لفتت الانتباه إليه وإلى متابعيه الذين كانوا متأهبين للانقضاض عليه ولكن توقفوا يشاهدون فعله الغريب، وهنا حدث صوت فرقة ضخمة، صوت كبير أصاب الجميع بخوف شديد، وهب الساكنون بالمنطقة بالاتجاه ناحية النوافذ ليروا ماذا يحدث، وألقى العجوز بنفسه أرضًا خائفًا، وهنا صعد من العصا دخان كبير وكثيف، وصرخ العجوز وهو يلقي نفسه أرضًا بالإسبانية:

«قنبلة، سوف نموت جميعًا».

فصرخت السيدات وهب الجميع مرتاعًا خائفًا يصرخ ويتحركون بكل مكان على غير هدى، ومنهم المتتبعون للعجوز الذين صدموا بما حدث ولم يعلموا كيف يتصرفون، وبغضون لحظات بسيطة كان الدخان يملأ الشارع بسرعة شديدة، قام الرجال المتتبعون بمحاولة إدراك أنفسهم، وهموا بملاحقة العجوز من جديد وتحركوا للجهة التي كان يقف بها ولكن لم يجدوا أي شخص نهائيًا وتصاعد الدخان أكثر فأكثر إلى أن بدأ يهدأ وسط تعالي صيحات السكان والمارة، وسمعت أصوات سيارات الشرطة والإسعاف التي بدأت بالاقتراب من المكان وهنا تحرك المتتبعين مبتعدين وهم يبحثون عن العجوز الذي تلاشى ولم يكن له أي أثر.

تقف حياة بمفردها بغرفة معيشتها مشعة مغبرة يملأ الحبر
يديها وأوراق مبعثرة حولها بكل مكان ممتلئة بالحبر الأزرق
الذي خلطت رائحته المكان، كان حالتها أشبه بطالبة طموحة
بليلة امتحان الكيمياء بالثانوية العامة، شعرت بشيء يتحرك
فوق أنفها ففركته بيدها لتضع بعض الحبر المطبوع بيدها
على أنفها فشتمت رائحة الحبر النفاذة وصعدت مسرعة إلى
أعلى رأسها، ولكنها لم تعباً وأخذت تنظر بفخر إلى لوحة
خشبية بيضاء أمامها تضع عليها بعض القصاصات وأجزاء من
عناوين صحف ورقية قديمة، وبعض الخيوط الملونة تتوسط
اللوحة وتصل بعض القصاصات ببعضها، تحركت مبتسمة
إلى المنضدة التي تضع عليها أجهزتها اللوحية فأمسكت
كوب عصير فاكهة الموز المختلط بالحليب المحبب إلى قلبها
وأخذت ترتشف منه باستمتاع، ظلت تنظر إلى اللوحة أمامها
بإعجاب، لاحظت تدلي قطعة خيط من الخيوط من مكانها
فقامت بسحبها بقوة ووضعتها على قصاصة الورق الخاصة
بها، وأمسكت بالكوب بكليتا يديها وتراجعت خطوتين للوراء
لترى اللوحة أبعد قليلاً، كان تتقمصها روح فنان انتهى من
رسم لوحته ويتمعن بجمال ألوانها، ولهذا لم تبخل بسكب
المديح على رأسها وهي تحدث نفسها بفخر:

«ها أنا ذا يا حازم، أكاد أصبح مثلك بعمليات بحثك ومن
المرّة الأولى، سوف أحل تلك القضية بنفسى وبدون أي
تدخل أو حتى استشارة منك».

نظرت فجأة إلى الخلف نحو هاتفها الموضوع فوق المنضدة

بجوار اللوح الإلكتروني الخاص بها وهي تحدث نفسها قلقة:
«لم يتصل بي حازم منذ ثلاثة أيام، هل يا ترى وجد
حيجون هذا الذي يبحثون عنه؟».

أمسكت بقبضة يدها وأخذتها بعنف:

«لماذا تفكرين بقضية حازم الآن يا حياة؟ فلتصبي تركيزك
أيتها الغبية بقضية تلك الفتاة المسكينة التي بيدك».

وضعت سريعًا كوب المشروب الذي بيدها على المنضدة
وأخذت تستند بذراعيها أسفل وسطها من الخلف وهي
تتحدث إلى نفسها مبتسمة:

«أريد أن أرى وجه حازم عندما يعلم أنني اكتشفت أن قضية
تلك الفتاة هنية لم تكن الأولى، فقد تم اختطاف المئات من
الفتيات بهذا المكان دون أن يعلم أحد، ولا حتى الشرطة،
إن اختفاء الفتيات يتم بشكل منتظم ولكن على فترات
متباعدة».

أخذت تتلمس القصاصات الورقية والمقتطعة من الصحف
بيديها كمن تؤكد المعلومات لنفسها». لا يوجد ما يجمع أي
تلك الفتيات مع بعضهن البعض، فلا يقاربن بالسن أو باللامح
أو المستوى الاجتماعي والثقافي، ولكن ما يجمعهن شيئان
فقط، الأول أنهن كن تترددن على منطقة المعز وما يجاورها
ولكن لسن من قاطنيها، لكن مساكنهن بأماكن بعيدة، والثاني
أنهن كن فتيات فقط ولم تتعدى إحداهن الثلاثين، المعضلة
هنا تتلخص كيف ولماذا؟! كيف يتم اختطافهن دون أن يلحظ

أحد على الرغم من الزحام الملحوظ بمنطقة المعز بشكل شبه دائم، والثاني لماذا تم اختطافهن؟ ولماذا فتيات فقط ما بين الثامنة عشرة والثلاثين، ولماذا لم تربط الشرطة بكل تلك الاختفاءات بالعقود الماضية، أو انهم ربطوا تلك الاختفاءات بالفعل ولكن لم يجدوا أي دليل يدين المختطفين».

وضعت إصبعيها بين أسنانها بحيرة:

«إذا لم تعثر الشرطة بكل أجهزتها وأفرادها المدربين على دليل يوصلهم لهؤلاء المختطفين، فهل سوف أستطيع أنا بمفردي أن أصل إليهم، هذا خطر حتى بمعايير التهور التي لدي، أو من الممكن أن يكون الأمر كله مختلقًا من رأسي، وأن بالفعل تلك الحوادث فردية، وأنا التي تضخم الأمور، لكن لا، صعب أن تكون كل تلك الفتيات اختفين هكذا بهذه المنطقة على مدار العقود السابقة من قبيل الصدفة، بالفعل هناك شيء مريب يحدث بهذا المكان، وأنا لن يهدأ لي بال إلا بعد أن أكتشف مَنْ وراءه وأحل هذا اللغز، ولكن صعب أن أظل بمفردي بهذا الأمر، يجب علي أن أنأى بنفسني عن الخطر، سوف أقوم بتتبع الدليل وإظهاره لحازم ليتأكد بأن حدسي كان صحيحًا، وأنه كان يجب عليه أن يقبل القضية مثل ما أخبرته، ولكن إذا فعلت هذا فسوف يعود الفضل بالنهاية لحازم بعد تكبدي لكل تلك المصاعب، لا..أنا لن أسمح له أن يتحصل على الفضل على عملي أبدًا بعد كل ما فعله معي، سوف أجعله يندم، سوف أرسل أي دليل أجده إلى الشرطة، وأجعلهم يحققون بالأمر برمته، وسينسبون الفضل لي

بالنهاية على اكتشافي لهذا الأمر».

فجأة صفعت وجهها بضيق:

«ما هذا الذي تقولينه أيتها الحمقاء، كيف نفكر بمن سينسب له الفضل بالنهاية، ألم ترغبى بحل تلك القضية من البداية لكي تنقذي تلك الأرواح المسكينة، ليس هذا وقت التفكير بأنفسنا الآن، هناك أرواح على المحك».

تحركت جهة اللوحة الخشبية أمامها وهي تنظر إليها بتحد:

«الآن بعد أن جمعت كل تلك المعلومات، يجب أن أتأكد من صحتها، يجب أن أترك العمل الآمن من خلف المكتب، وأخوض تجربة العمل الميداني الذي كان يقوم به حازم من قبل، من صباح الغد سوف أبحث عن دليل يصلني لتلك المؤامرة التي تحدث بهذا المكان».

قبلت أناملها واقتربت من اللوحة الخشبية ووضعتها فوق

صورة للفتاة هنية وهي تضحك وتحدثت إلى الصورة بتحد:

«انتظري قليلاً يا هنية، سوف أخرجك من محنتك قريباً إن شاء الله».

بأحد الشوارع الضيقة القديمة بضواحي برشلونة، كان

العجوز يتحرك ببطء شديد وهو يتجه إلى شقته القديمة

وعلى وجهه ابتسامة يحاول أن يخفيها كل بضع دقائق ولكنه

لم يستطع، شعوره بأنه ما زال يستطيع المراوغة والمناورة

وسط هذا العدد الكبير من متابعيه الشباب، أعاد إليه إحساس النصر القديم على أعدائه، شعور النصر والفرح لا يستطيع أحد أن يكتمه بداخل صدره كثيرًا، فهو أشبه بعميلة التعرق التي لا ترغب بإظهارها ولكنها تظهر على الرغم منك، بأشد أوقاتك إحراجًا، هكذا شعور الفرح والسعادة يدفع جسدك من الداخل ومن ثم ينبض قلبك بقوة فيتسرب مع دمائك إلى عروقك لأعضاء جسدك فيدلف لكل أنحاء جسدك ويصل لرأسك ومن ثم يهبط فوق جبينك ويتغلغل إلى وجهك فوق شفاهك فيظهر للناس جميعها مثل العرق تمامًا، فحقد به من حوله كما يحدق بك الأشخاص العاديون إذا مروا بجوارك وأنت متعرق، فهم يشمئزون منك بالضبط كما يشمئزون بالمتعرق، بكلا الحالتين يجب أن يلام هذا الشخص على شيء غير إرادي أصاب جسده، فكان يجب عليك أن تستحم وألا تمشي تحت هذه الشمس الحارقة، أو ترتاد تلك الشوارع المكتظة، أو تركب تلك المواصلات المزدحمة، وهكذا السعادة أيضًا، كيف تبتسم وتسعد وسط كل هؤلاء التعساء، لماذا تظهر تلك الابتسامة على وجهك، ألم تر هؤلاء المساكين الذين قضوا نحبهم بمكان ما على هذا الكوكب، أم لم تشعر بمعاناة العكلى والجياع والبؤساء المتواجدين حولك عند أطراف أصابعك، كيف تصل بك الوقاحة لكي تظهر للناس أنك سعيد وابتسامتك التي تظهر لمعان أسنانك تعلن عن نفسها بزهو مخزٍ ومقيت لمن حولها، وهكذا كان ينظر سكان هذا الشارع الضيق القديم إلى هذا العجوز الأجنبي الغريب الذي يطل عليه متبجحًا وهو يضحك، فتصنعوا وجوه الغضب وعلا

بصدرهم نبرات التمر وأخذوا يسبونه بالسنتهم وعيونهم، والشباب منهم متحفزون للهجوم بالأيدي والأقدام إذا تطلب الأمر هذا ونظر لهم العجوز بنظرة لم تعجبهم، وبالطبع شعر العجوز بالخطر التلقائي مما يحدث بسبب حدسه الذي كونه بمواجهة المخاطر على مر السنين، كان يستطيع أن يقضي على كل سكان هذا الشارع بمفرده وبدون أي سلاح ولكن كان هذا من الممكن منذ ربع قرن تقريبًا، أما الآن فأقصى ما يستطيع أن يفعله هو أن يخرج لibtاع طعامه ودواءه وألا يثير غضب الشباب الحائقين بدون سبب، فابتلع ابتسامته مع امتعاضة منهم وتوجه بنظره إلى الأرض وهو يشير إليهم بطريقة غير مباشرة بإذعانه لهم، فاستمع إلى سبته بالإسبانية، ولكنه لم يعبأ وظل يصعد السلم إلى شقته بتأن مثير للملل، كي يجبر أي شخص يشاهده أو يراقبه بالسأم فيبتعد عنه ليشغل وقته السريع الذي يملكه بشيء آخر أكثر إثارة ينسيه مشاكل وهم يومه الذي سيقوم بتكراره من جديد بصباح الغد.

قام بدب مفتاح منزله بالبواب وفتح بهبطء السلحفاة حتى دلف إلى الداخل وهنا انتصب واقفًا وهو يتنهد ومن ثم ابتسم فرحًا من جديد، قبل أن يبلع ابتسامته تلك بعد أن شعر بحضور شخص ما أسقط قلبه بقدمه، وليقطع الشك باليقين فتح أنوار الغرفة ليجد أمامه الفرزدق يجلس على منضدة الطعام بمنتصف الغرفة وهو يتحدث إليه بحميمية:

«لقد تأخرت كثيرًا أيها العجوز، لقد انتظرك منذ فترة

طويلة».

تعلقت عيون العجوز بالفرزدق الجالس أمامه وقلبه يكاد يقفز من صدره، ولكنه لم يستمر كثيرًا على ذلك فتنهد وهو يتحرك صوب أقرب مقعد بجواره وجلس عليه:

«اللعنة، لقد سئمت من الهروب، فليكن ما يكون».

ضحك الفرزدق ساخرًا:

«وهل كنت تعتقد أيها العجوز أنك تستطيع الهرب مني!».

بلامبالاة:

«لا يهم، فليقض الله أمرًا كان مفعولًا، ولكن أنا لم أعتقد لوهلة أن نهايتي على يدك، لهذه الدرجة الجاحظ لا يعيرني اهتمامًا، لقد كنت أعتقد أنه سيرسل خلفي الأصمعي أو سيراف على أقل تقدير».

وضع الفرزدق يده على صدره مستنكرًا:

«حيجون أيها العجوز، لقد قتلتني بكلماتك، لقد كنت أظن أننا أصدقاء وستسعد بلقائي، على الأقل تعلم أنني سأنهي حياتك بدون ألم».

نظر حيجون العجوز إلى يد الفرزدق فوجدها ملتفة بشاش طبي أبيض، فأثارت اهتمامه فسأله على الفور:

«هل أصبت؟ هل حدث شيء ما للجماعة عندما غادرت، لا أعتقد هذا، يبدو أن هناك شيئًا خاطئًا، هؤلاء الأجانب

الذين كانوا يراقبونني من جنسيات مختلفة، ويبدو أنهم غير منسجمين مع بعضهم البعض، وليسوا من جماعة إخوان الصفاء، وليسوا من الحشاشين بالتأكيد، وأنت ظهرت أمامي الآن، إذا أنت تعمل لحسابهم، لأنك لن تستعين بحمقى مثل هؤلاء لتجدني أبدًا، بالتأكيد هم من استعانوا بك».

وهنا ظهر من داخل غرفة أخرى القائم مقام وهو يتحدث إلى حيجون مقاطعًا:

«بالفعل أيها الذئب العجوز، الفرزدق لا يعمل تحت إمرة هؤلاء الأجانب، هؤلاء الأجانب الغرباء والفرزدق نفسه يعمل تحت إمرتي أنا».

شعر حيجون بالصدمة الشديدة من حديث القائم مقام وهب واقفًا مندهشًا:

«ماذا؟ الفرزدق يعمل تحت إمرتك.. كيف؟ هل ترك جماعة إخوان الصفاء مثلي، هل أصبحت مارقًا بدورك يا فرزدق؟».

وانفجر العجوز ضحكًا بشدة وهو ينظر إلى الفرزدق الذي شعر بالضيق وظل يشير إليه بسبابته وهو يضحك:

«وأنا الذي كنت أعتقد أنك أتيت إلي هنا لكي تعيدني للجماعة أو تقتلني ولكن لم أتوقع أبدًا أن تكون أنت أيضًا مارقًا».

صمت الفرزدق ولم يعلق على حديثه نهائيًا، فتوقف حيجون عن الضحك ونظر إلى القائم مقام بارتياح:

«لكن أعلم أن الفرزدق لن يترك جماعتنا ويتلقى غضب الجاحظ إلا بسبب ظهور شخص بجواره بقوة الجاحظ أو يفوقه قوة، من أنت يا سيدي؟!».

أجابه القائم مقام بفخرٍ شديد وهو يشير إلى صدره:

«أدعى القائم مقام، وبالفعل أنا أفوق الجاحظ قوة، وسطوة، ومال ورجال، ولهذا تخلى الفرزدق عن جماعته وانضم للجهة الأقوى، وأنا أتمنى أن تفعل مثل ما فعل، سوف تنعم بالأمان والأموال والحياة الراغبة ما تبقى من عمرك، ولن تظل تتلفت عند خروجك من باب منزلك مثل ما كنت تفعل بكل مرة».

اتكأ حيجون بظهره على مقعده:

«وما هو المقابل؟».

القائم مقام بعقة:

«أعتقد أنك تعلم جيدًا ما هو؟».

تحدث إليه حيجون بتحدٍ:

«تريد هارون يحيى».

فرقع القائم مقام بإصبعه وأشار إليه بسباته بسرعة:

«أريد الكتاب الذي بحوزة هارون».

حيجون باندعاش:

«كتاب الكنوز!».

«نعم كتاب الكنوز».

نظر حيجون إلى الفرزدق باستنكار ومن ثم تحدث إلى القائم مقام بتحدٍ

«أعتقد أن الفرزدق يعلم أنني هربت من جماعة إخوان الصفاء وخلان الوفاء لأسباب خاصة، وليس بسبب أنني خائن لهم وسأكشف أسرارهم».

ضحك القائم مقام على الفور ساخراً من قوله، فشعر حيجون بالغضب من ضحكه فتحدث إليه ساخطاً:

«لماذا تضحك؟ إذا كنت تعتقد أنك سوف تجبرني على إخبارك عن مكان هارون يحيى أو الكتاب بالتهديد فأنت خاطئ بلاشك، أنا مستعد للموت باللحظة التي خرجت بها بصحبة هارون يحيى من الجماعة».

أجابه القائم مقام وهو يتحرك ببطء ليقترّب منه:

«أنا أعلم مدى ولائك ووفائك يا سيد حيجون، ولهذا أنا أعلم جيداً أنك ستخبرني بكل ما تعرفه وعن طيب خاطر».

ضحك حيجون من حديثه ووقف من على مقعده ووضع قدمه على المقعد واستند عليه بجسده وهو يتحدث إلى القائم مقام بتحدٍ:

«وكيف ستفعل ذلك أيها القائم مقام؟ كيف ستجعلني أخبرك عن المعلومات التي لدي عن طيب خاطر؟».

اقترب منه القائم مقام وهو يبتسم ونظر بعينه بتحد:
«الأمر بسيط يا سيد حيجون، إذا رغبتنا مثلاً بتقسيم البشر بسهولة بهذا العالم، سنشير أن للبشر لونين، الأبيض والأسود، هنالك اللون الأبيض الذي يمتص كل شيء حوله ويختلط به، فيتحول إلى لون جديد ويتلوث ويفقد نقاءه وبريقه ليكون ألوان أخرى، وهناك اللون الأسود، اللون القاتم، سيد الألوان وزعميها الذي يستطيع أن يحول أي لون آخر إلى سواده ويطغى عليه ولا يُطغى عليه شيء فهو دائماً القائد والمسيطر، أنت من طبقة اللون الأبيض الناصع، الذي يتأثر بما حوله ويتلوث به، أما أنا.. فهو السواد القاتم الذي يطغى على الجميع».

وعلى الفور صفق القائم مقام بيديه فخرج من الغرفة كل من طارق الغنام وأحمد هارون ومعهما حازم منصور وصديقه إيهاب ليقفوا جميعاً أمام حيجون بغرفة المعيشة، الذي نزع قبعته على الفور وأمسكها بيده وهو ينظر بعيون مترققة بالدموع إلى أحمد هارون ويقترب منه، فابتعد عنه أحمد والتصق بجوار طارق أكثر، فشعر حيجون بخوفه فابتسم له وأخذ يطمئنه:

«لاتخف يا أحمد، أنا صديق والدك وأعلم عنك الكثير».

فقام طارق الغنام بدفع حيجون إلى الورااء قليلاً برفق:

«نتأسف يا سيدي، لكن نحن لا نعلم عنك شيئاً، ولهذا لا يشعر أحمد بالأمان بالقرب منك».

نظر حيجون إلى طارق للحظات ومن ثم ابتسم له أيضًا:

«أنت، أنت السيد طارق الغنام، صديق هارون يحيى المقرب، أنا أعلم الكثير عنك أنت أيضًا». ابتسم حيجون لهم وظل يربت على صدره ليطمئنهما:

«أعلم عنكما الكثير، أعلم أن هارون لم يخبركما عني شيئًا، لكن هذا لظروف خارجة عن إرادته، لكني صديق لهارون يحيى منذ أكثر من اثني عشر عامًا، وأعلم أسرارًا عنكما لا يعلمها سوى هارون يحيى نفسه».

نظر إلى أحمد الذي كان ما زال مرتابًا منه وملتصقًا بطارق، طرق بعينه سريًا جهة حازم منصور وإيهاب اللذين كانا ينظران إليه بفضول هما أيضًا، حاول أن يحصر هؤلاء الأشخاص من ذاكرته أو أن يجد وصفًا لهارون يحيى عنهم من قبل فلم يجد، ولكنه لم يعبأ بوجودهم ونظر إلى طارق الغنام وأحمد هارون من جديد وظل يتبسم لهما فتحدث إلى أحمد متوددًا:

«هل تتذكر يا أحمد عندما رغبت بصنع الفشار بمفردك لمشاهدة فيلمك المفضل ورفضت أن تجعل والدك يشاركك بصنعه ووضعت بدل الملح سكر حينها، وعلى الرغم من ذلك أكلتوه أنت ووالدك باستمتاع كبير».

شعر أحمد بالذهول من حديث حيجون واستعاد تلك الذاكرة من رأسه فابتسم على الفور، فشر حيجون بالفرح الشديد من ذلك ومن ثم تحدث إلى طارق:

«وأنت يا سيد طارق، عندما ذهبتما إلى دلهي معًا وتم سرقة محفظتك، واتجهتما لإبلاغ الشرطة عن ذلك وعدتما إلى الفندق بعد ذلك فوجدت حقيبة ملابسك قد تم سرقتها أيضًا».

ابتسم طارق وهو يتذكر تلك الذكرى:

«نعم، هذه الحادثة حدثت لنا منذ زمن بعيد، يبدو أنك تعرف هارون يحيى بالفعل».

هنا تهلت أسارير أحمد واتجه جهة حيجون وسأله بفضول:
«إذا كنت صديق والدي بالفعل، هل لك أن تخبرنا عن مكانه، نحن نبحث عنه منذ فترة طويلة، أرجوك ساعدنا».

نظر حيجون إلى عيون أحمد المتوسلة وإلى عيون طارق المترجية، ومن ثم أطل برأسه جهة القائم مقام الذي كان يبتسم له بخبث وهو يعلم أنه سينتصر بالنهاية وسيبوح حيجون عن كل ما ب صدره، خفض حيجون نظره وتوجه إلى أحمد وطارق وهو يخفي عينيه عنهما:

«أريد أن أساعدكما، هذا أصبح هدفي منذ زمن بعيد، فبرقبتي دين كبير لهارون يحيى أريد أن أسدده وأرغب أن أصلكما إليه، ولكن بالفعل أنا لا أستطيع».

ظهرت خيبة الأمل على ملامح طارق وأحمد، بينما لم يتأثر القائم مقام بحديثه فهو يعلم أنه آجلًا أم عاجلًا سوف يستخرج منه كل المعلومات حتى لو استخدم معه القوة،

ولكنه تحاشي التلويح بذلك وقام بالإيماءة برأسه جهة الفرزدق الذي قفز من مكانه بالحال وتوجه إلى حيجون وأمسكه من يده ببطء:

«لا تخش شيئًا أيها العجوز، أنت تساعد ابن هارون يحيى وصديقه كما أسلفت، وهذا لا يعد خيانة لإخوان الصفاء، لا نريدك أن تدلي بالتفاصيل أو تبوح بشيء لا تريده، فقط أخبرنا بمعلومات تساعدنا للوصول لهارون يحيى أو الكتاب». نزع حيجون ساعده من يد الفرزدق بعنف وهو يشعر بالضيق:

«أنتم لا تعلمون ماذا يحدث معنا، أنا لا أستطيع أن أخبركم بأي شيء، حتى إذا استطعتم الوصول إلى المعلومات التي لدي وهذا شيء مستحيل، فهارون يحيى بمكان لن يستطيع أحد أن يصل إليه مهما حاولتم».

تحرك بسرعة الفرزدق وأمسك بيد حازم بحماسة شديدة:

«هذا الشخص يستطيع إيجاده، لقد استطاع أن يجدك بسهولة خلال ثلاثة أيام فقط، وأنت تعلم جيدًا أنك مدرب ألا يجدك أحد، وهو استطاع أن يحقق المستحيل ووجدك».

نظر حيجون جهة حازم وأخذ يتفحصه متشككًا مرتابًا وغير مصدق، فاقترب منه وهو يمسحه بعينيه الخبيرتين ووقف أمامه يرمقه بشراسة وتحدث إليه متشككًا:

«هل أنت من وجدني، أخبرني كيف وجدتي أنا في حيرة

من أمري من هذا».

تلعم حازم وأخذ يمسح عرقه الغزير من فوق جبهته:

«أنا، لقد قمت، هناك بالصيدلية، لقد قمت».

تحدث الفرزدق بسرعة ليشرح لحيجون:

«لقد استطاع أن يعلم المرض الذي أصبت به عن طريق الطعام الذي تمتنع عن تناوله دائمًا، وقام بحساب الوقت المتوسط الذي تستغرقه طائرة هارون يحيى من مطار مدريد للقائك بقصر الحمراء بغرناطة وربطها بالمدن القريبة ولكن بنفس الوقت تكون كبيرة ليستطيع شخص أجنبي مثلك أن يختبئ بها بسهولة وبحساب الوقت وكل تلك الأمور توصل أنك مختبئ هنا ببرشلونة، هل لاحظت كم هو ذكي».

تعلقت عيون حيجون في حيرة ناحية حازم وإيهاب صديقه ولكنه ظل مرتابًا، فتبعه بسؤال من جديد:

«حسنًا، سوف أسلم بصدق حديثك، لكن كيف استطعت أن تعلم الصيدلية التي أبتاع منها أدويتي، فأنا اخترت مكانًا بعيدًا كثيرًا عن مكان سكني حتى أستطيع الهرب بأي وقت ولا يهتدي أحد إلى مسكني».

هنا تدخل إيهاب للمرة الأولى بالحديث ليكمل حل الأحجية:

«لقد قمنا بمراقبة جميع الصيدليات المتواجدة ببرشلونة، ورجال القائم مقام كانوا يتتبعون أي عجوز يشتري تلك

الأدوية من تلك الصيدليات، وبالطبع رجل مئلك لليه خبرة كبيرة بالتملص من المتتبعين ويختفي فجأة من تحت أعينهم فسوف يكون ضالتهم بالتأكد».

وهنا تدخل الفرزدق ليكمل الأحجية هو الآخر:

«وهنا أتى دوري استطعت أن أقلل الأماكن التي يمكنك الاختباء بها، بحيث تكون قديمة وبعيدة عن مرافق الشرطة وبنفس الوقت لديها منافذ سريعة للهروب وتكون قريبة من المواصلات والمرافق العامة، وقام حازم باختيار مكان بهم وقد كان هذا المكان».

نظر له حيجون مستغرباً:

«وإذا لم أكن بهذا المنزل، ماذا كنتم ستفعلون؟!».

إجابة حازم بعقة شديدة:

«كنت سوف أبحث بالأماكن التالية حتى أصل إليك بالنهاية، فالتفكير المنطقي يستطيع تحديد الأنماط التي يستخدمها أي شخص للهروب، فمهما كنت تعتقد أنك تخفي نفسك أو تضلل الآخرين عن طريق تغيير روتينك، فأنت تقع تحت تأثير روتين آخر بنفس الوقت، وإذا وجدنا الروتين فسوف نصل إليك مهما اختبأت ومهما ابتعدت».

التمعت عيون حيجون ببريق الأمل لوهلة وظهرت ابتسامة خفيفة على وجهه واتجه بسرعة جهة أحد المقاعد بجوار المنضدة واستند عليها بساعديه وأخذ يحدثهم:

«على الرغم من غرابة ما أسمع، وبغض النظر عن أي طريق
سلكتموه للوصول إلي ولكن النتيجة واضحة كظهور الشمس،
لقد استطعتم العثور علي، وبوجود شخص متمرس وذكي
في مجال البحث عن الأشخاص، وشخص قوي مثل الفرزدق،
ورجل يمتلك الموارد الضخمة والرجال كالقائم مقام ليقوم
بشبكة بحث كاملة ببرشلونة خلال بضعة أيام، أعتقد أنكم
نواة قوية لفريق بحثي قوي، وعلى الرغم من معرفتي بأنه
شيء مستحيل، ولكن قد يكون هناك أمل».

نظر حيجون إلى أحمد الصغير وطارق الغنام وعيونه
تترقق بالدموع:

«قد يكون هناك أمل لتنقذوا هارون يحيى».

شعر الجميع بالاضطراب مما سمعوه فقفز أحمد وطارق
ليحاوطا حيجون وهما قلقان:

«ماذا تعني بأن ننقذ أبي، هل أبي بورطة، هل أبي قتل
هؤلاء العلماء بالفعل؟».

أمسك حيجون بيد أحمد على الفور ليهدئه:

«لا يا أحمد، لا.. والدك لم يفعل هذا أبدًا، لا يجب أن تشك
بأبيك أبدًا، إنه رجل عظيم بالفعل، قد يكون أعظم رجل
عاشته بحياتي كلها».

سأله طارق بضيق:

«بالله عليك يا أخي فلتكف على تلك الألفاظ التي تتحدث

بها منذ الصباح، وأخبرنا بسرعة ماذا يحدث مع هارون يحيى وأين هو الآن».

نظر إليه حيجون فجأة ومن ثم نظر إلى ساعده وتحسس رقبته وابتلع ريقه بخوف وهو يتحدث إليه:

«صدقني يا أخي، أنا لا أستطيع أن أخبرك، لا أستطيع، لا أستطيع».

صرخ عليه القائم مقام بعد أن فرغ صبره:

«اللعنة عليك وعلى ألعيبك، إذا لم ترد أن نخبرنا بالحسنى سوف أجعلك تفرغ ما بجوفك على الرغم منك، وهنا توجه بسرعة شديدة جهة حيجون وهو ينوي أن يبطش به، وهنا تدخل فجأة الفرزدق وأمسك يده بعنف ليمنعه للوصول لحيجون، نظر له القائم مقام بغضب شديد، وتطاير الشذر من أعينه وكاد أن تنفجر أوداجه التي انتفخت بشكل ملحوظ فصرخ على الفرزدق بقوة شديدة:

«ماذا تعني بإيقافك لي أيها الوغد، هل تعلم ماذا سيحدث لك الآن».

نظر إليه الفرزدق بعيون باردة للغاية ولم يخفف قبضته من على ساعد القائم مقام، وهنا شعر الجميع برائحة التوتر التي انتشرت بالجو وكان لها رائحة أشبه بالكيروسين الذي يسبق لحظة الاشتعال، فكان من الواضح أنه ستحدث مواجهة بين الفرزدق والقائم مقام ولم يعلم أحد ما سيسفر عن هذه المواجهة أبدًا، ولكن بالتأكيد لن تكون نهاية سلمية نهائيًا.

ارتفعت الدماء إلى رأس القائم مقام وهم أن يفتك بذراع الفرزدق الذي شعر بمدى الخطر الذي سيحدث فرفع يديه الاثنتين مستسلفاً أمامه، فشعر الجميع بالاستغراب مما فعله ومنهم القائم مقام الذي توقف مدفع غضبه عن الإطلاق بسبب استسلام الفرزدق المفاجئ ولكنه كان بحاجة شديدة أن يخرج هذا الغضب بشيء ما، فقام على الفور بضرب المنضدة بقبضة يده وهنا تهشمت المنضدة بالحال وانقسمت إلى حطام وسقطت أرضاً، كحطام سفينة أمريكية بميناء بارل هاربر بسبب طائرة كاميكازي ياباني، ففزع الجميع من هذا وقفزوا للخلف مبتعدين عن الحطام المنثور، ومنهم حيجون الذي سقط أرضاً وزحف للخلف عدة خطوات مبتعداً عن حطام المنضدة وهو يفكر بأنه كان من الممكن أن يكون مثل تلك المنضدة منذ قليل إذا لم يوقف الفرزدق القائم مقام، وقام طارق بإخفاء أحمد هارون خلف ظهره ليحميه من غضب القائم مقام الذي اتجه إلى ناحية الحائط بعيداً وقام بضربها بعدة لكمات سريعة جميعها تركت أثراً بالحائط وهو يصرخ بغضب، فقام الفرزدق بالنظر إليه ببرود شديد وتحدث إلى حيجون بعد أن ساعده على الوقوف:

«أخبرني أيها العجون، واصلدقني القول، هل أنت لا تريد أن نخبرنا ما حدث مع هارون يحيى أم أنت لا تستطيع أن نخبرنا؟».

ابتلع العجوز ريقة بخوف ونظر إلى القائم مقام متوتراً ومن ثم نظر إلى الفرزدق:

«أنا لا أستطيع».

نظر القائم مقام بغضب خلفه جهة حيجون، وهنا أشار إليه الفرزدق بأن يتوقف ومن ثم تحدث إلى حيجون مرة أخرى:
«لماذا لا تستطيع، هل هو بسبب شيء قوي، هل هناك أحد يهددك؟».

نظر إليه حيجون خائفًا:

«لا أستطيع يا فرزدق لا أستطيع».

امتلاً الجو بالخوف والتوتر مرة أخرى ونظر الجميع بالترقب للقائم مقام يحاولون توقع ردة فعله القادمة، ولكن الوحيد الذي لم يبد هذا الخوف أو القلق كان الفرزدق الذي بدت عليه ملامح الصدمة بدلاً من ذلك وهو يسأل حيجون:

«أخبرني أيها العجوز، هل هناك أغلى من حياتك الآن لكي تخشي أن نخبرنا؟ هل مستحيل؟

هل ما يمنعك من إخبارنا، هل الياسمين؟ هل هو عهد الياسمين؟! هل لا تستطيع أن نخبرنا ما حدث مع هارون يحيى بسبب عهد الياسمين؟!».

وهنا تردد حيجون للحظات ومن ثم أوما برأسه مصدقًا على حديقه، فصاح الفرزدق بغضب وهو يمسك رأسه غير مصدقًا:

«اللعنة، هذا ما كنت أخشاه، إنه عهد الياسمين».

بدى على الجميع الاندهاش والاستغراب فسأله إيهاب
بفضول:

«ما هو عهد الياسمين هذا؟».

تنهد الفرزدق للحظات وهم ليكشف لهم عن معنى كلمة عهد
الياسمين ولكن لم يكذب ينسب ببنت حرف حتى وجد القائم
مقام يصرخ عليهم بغضب:

«لا أريد أن أعرف أي شيء سوى أمر واحد، هل سيخبرنا
هذا العجوز اللعين بما أريده أم لا؟».

ونظر إلى الفرزدق نظرة حارقة وهو يحفظ عينه مهدداً:
«وأنت، لا تحاول أن تتدخل بيني وبين فريستي أبداً مرة
أخرى».

رفع الفرزدق يده مستسلماً وتراجع للخلف بهدوء شديد،
بينما شعر الجميع بالخطورة من القائم مقام، فهو هدد أقرب
شخص إليه بالوقت الحالي وهو الفرزدق، فهم كانوا يعتقدون
أنه مساعده المقرب، ولكن بدى لهم أن القائم مقام ليس له أي
عزیز أو غال، ولكن ما يهمه هو ما مدى قدرتك على إفادته،
وإذا لم تكن مفيداً فسوف يتخلص منك بالحال وهذا ما بدى
لهم على الفور حينما أخرج القائم مقام من سترته سلاحاً
نارياً صغير الحجم وقام بتهيئته للإطلاق، ومن ثم أخرج من
جيبه الآخر كاتفا للصوت لهذا السلاح الناري فقام بوضعه
بسلاحه، وهنا علم الجميع أنه سيقتل حيجون، فنظر أحمد
وطارق الغنام وإيهاب وحازم جهة الفرزدق الذي لم

يحرك ساكنًا، وأخذ يراقب الوضع بهدوء شديد يحسد عليه،
فتحدث أحمد بخوف إلى طارق:

«أنكل.. ماذا سيفعل؟».

احتضن طارق أحمد بخوف شديد وهو يخشى أن يشاهد
هذا الصغير مقتل شخص أمامه، وليس هذا فحسب فهو لم
يشاهد شخصًا يموت أمامه من قبل فما بالك بمشاهدة عملية
قتل باردة ستحدث الآن، فاضطرب بشدة وهو يحاول أن
يتحدث إلى القائم مقام ولكنه كان خائفًا للغاية لدرجة منعه
من الحديث، فوضع يده بطريقة لا إرادية على عيني أحمد
لكي يخفي المشهد القادم عن عينيه، وبذلك الأثناء همس
إيهاب بأذن حازم بسرعة وبصوت خافت:

«سوف أقوم بمهاجمته وأنقض على سلاحه، فحاول أن
تساعدني بسرعة واجثم على جسده».

فظهرت الصدمة على وجه حازم بالحال، وعلى الفور هم
إيهاب بالتحرك، ولكنه لم يكذب يفعل ذلك حتى وجد القائم
مقام ينظر إليه وبلا تردد حرك السلاح الناري صوب إيهاب
الذي شعر بالصدمة من ردة فعل القائم مقام السريعة تلك،
فهو لم يكذب يتحرك أنملة إلا وقد شعرت حواس هذا الرجل
بذلك وتوجه بسلاحه ناحيته، وهنا أدرك إيهاب أن هذه
نهايته، فارتعشت مفاصلة وهو يفكر بشيء واحد، هل ستعلم
دليلة بموته أم لا، هل ستموت دليلة أيضًا خلفه، فبموته لن
يستطيع إيجاد لمسة الملائكة هذا العلاج المزعوم لشفاء أي

مرض، أمله الوحيد بعلاج زوجته، وأيضًا حازم هل سيهلك هو أيضًا بسبب ما فعله، هذا ما كان يدور بخلده بأقل من أجزاء من الثانية.

كان يشاهد حركة فوهة السلاح الناري الخاصة بالقائم مقام أمامه ببطء شديد، فهو يكاد يرى ما بداخل تلك فوهة وتلك التعرجات الصغيرة الملتفة بفوهة السلاح الناري لكي تجعل الطلقة تلتف أسرع ويصبح لها مدى وامتداد وزخم أكبر، وحركة يد القائم مقام تتحرك ببطء أيضًا فعضلات يده تنقبض لكي تضغط على الزناد لتقضي على حياته، كل ذلك حدث بأقل من ثانية كاملة، تلك اللحظات البسيطة من الزمن لا تكفي حتى لالتقاط شيء سقط منك وأنت غير واعٍ له، ولكن عقلك اللاواعي بلحظات الخطر يتخذ هو القيادة ويستطيع أن يرى أدق الأشياء وأصعب الأمور وأقل الألوان إيضاحًا ويسابق الزمن حتى فيصبح لديه قدرة التفكير واتخاذ القرار بأقل من ملايين الأجزاء من الثانية، ولكن هذا لم يحدث بالشكل الكافي مع إيهاب، فهو ظل يفكر بتلك اللحظات البطيئة المقتطعة من الزمان بموته وبموت زوجته وأصدقائه ولم يتخذ موقف نهائيًا.

عكس حازم الذي كان عقله يعمل بتلك اللحظات من أجزاء من الثانية ليفكر كيف يخرج من هذا الموقف العصيب، وعلى الفور تحرك جسده بسرعة شديدة جدًا وهو يحاول الصراخ ولكن الوقت الذي استغرقه لإيصال الأمر من عقله إلى جهة حنجرتة ومناطق استخراج الصوت من جسده كانت أقل

سرعة من حركة أقدامه التي تحركت تلقائيًا، وهنا لفت انتباه القائم مقام حركة حازم المفاجئة، فارتبك عقله لأجزاء من الثانية، فهو لا يعلم حركة حازم هذه هي لمهاجمته أو للدفاع عن صديقه أو لفعل شيء آخر، فحازم كان يتحرك بجسده بعيدًا عنه وعن صديقه إيهاب وكانت باتجاه حيجون، فلم يستطع القائم مقام تحليل فعله الغريب هذا، فجسده المجهز للقتال وللعنف لم يلتقط منه أي إشارة تشير إلى نية المهاجمة أو القتال، وبسبب هذا الارتباك المفاجئ الذي جعل القائم مقام يحرك سلاحه الناري بعيدًا عن إيهاب بعد أن كان متخذًا قراره للإطلاق عليه، فتوقف لما يقارب من الثانية كانت تكفي أن يخرج حازم صوته وهو يصرخ عليه برجاء:

«انتظر، انتظر».

فتوقف القائم مقام ليرقب حديثه، فتوجه حازم على الفور إلى حيجون وأمسكه بيده التي وجدها مرتجفة، فأعصاب هذا الشخص العجوز لم تكن مثل السابق وكان قد أيقن بهلاكه منذ لحظات، فتوجه إليه بالحديث وهو يربت على يديه يحاول أن يهدئه:

«سيد ححجون، آسف، لا يهم، اسمعني جيدًا يا سيدي، إذا لم تستطع أن نخبرنا بكل التفاصيل، يكفي فقط أن نخبرنا بما يسمح أن نقوله، أخبرنا على قدر استطاعتك، اشترى حياتك وحياة الجميع هنا».

وأشار إلى الجميع حوله وهو ينظر إليهم وقد انتفعت

وجوههم وعلاها صفرة واضحة، فنظر إليهم حيجون وهو
يبتلع ريقه، فتابع حازم الحديث إليه:

«هذا ابن السيد هارون يحيى كما تعلم وهذا صديقه، ونحن
هدفنا واحد فقط، أن نجده ووظيفتي أنا وأصدقائي هنا
وحتى القائم مقام أن نعر عليه، وأنت أيضًا تريد أن تنقذه
مما ألم به ونحن أيضًا، الهدف واحد فلا يجب علينا أن نتقاتل
ونتصارع، بل يجب أن نتعاون».

قال تلك الكلمة وهو ينظر بغضب جهة القائم مقام الذي قام
بتنحية سلاحه بجواره وتابعه وهو يتحدث إلى حيجون،
فجلس على الفور حازم بعد أن سحب مقعدًا بجوار حيجون
وظل يومئ له برأسه:

«هيا، أخبرنا بما تستطيع، ونحن سوف نحاول أن نقرأ ما
بين السطور دون أن نخبرنا».

اقترب أحمد ومعه طارق إلى حيجون وهما يترجياه أن
يتحدث، فنظر إليهما حيجون لعوان ومن ثم نظر إلى الفرزدق
الذي كان يراقب ما يحدث دون أن يتدخل، وهنا اعتدل
حيجون بجلسته وأخذ يتحدث إلى حازم وطارق وأحمد
الذين وقفا أمامه:

«حسنًا أنا لا أستطيع أن أخبركم عن أي شيء بخصوص ما
حدث لهارون يحيى أو كتاب الكنوز أو أين مكانه الآن».

ظهرت علامات نفاد الصبر على وجه القائم مقام وتحسس
سلاحه الناري من جديد، ولكنه توقف عندما نطق حيجون

بكلماته التالية:

«ولكن أستطيع أن أخبركم طريقان تستطيعان منهما أن تعلموا ما حدث لهارون يحيى أو على الأقل تعلمون مكانه».

وهنا كاد أن يقفز حازم من مكانه وأمسكه بيديه وهو يربت عليهما بفرح:

«هيا أخبرنا بالطريقتين سريعًا».

تحدث حيجون إلى طارق وأحمد بعد أن نزع يديه من حازم:

«أنا لم أكن أكذب عندما أخبركم ما حدث مع هارون فأنا لا أستطيع».

قاطعه الفرزدق سريعًا:

«بسبب عهد الياسمين!!».

فلم يجاوبه حيجون وصمت وتابع حديثه إليهم:

«نعم بسبب ما قاله الفرزدق، أما مكان هارون يحيى لا أعلمه بالفعل، فنحن عندما هربنا من إخوان الصفاء، وبسبب ظرف ما لا أستطيع البوح به، قررنا الانفصال عن هارون يحيى لأن كل منا كان به شيء ينشغل به، من استطاع الهروب من إخوان الصفاء تسعة أشخاص، كل شخص منهم يحمل معلومة عن مكان هارون يحيى، بسبب ما تحدث عنه الفرزدق».

سأله حازم بفضول:

«عهد الياسمين؟!».

«نعم، بسبب هذا لا نستطيع أن نخبر بعضنا البعض بتلك المعلومات، ولكن كانت مهمتنا هي إعطاء أحمد بن هارون تلك المعلومات عن مكانه، الطريقة الأولى هي أن تصل إلى أربعة أشخاص على الأقل من هؤلاء التسعة أشخاص، وعندما تجد كل شخص من هؤلاء الأشخاص سوف يعطيك شيئين، الأول هو جزء من خريطة سوف تصلك لعنوان هارون والثاني هو مكان الشخص التالي الذي ستجد معه جزء الخريطة الثاني، ومع اجتماعك مع أربعة أشخاص منهم ستستطيع تجميع الخريطة كاملة وتعلم مكان هارون».

سأله إيهاب بفضول:

«كيف عددكم تسعة أشخاص وإذا وجد أربعة منهم فقط سيكمل الخريطة، أنا لا أفهم ذلك جيدًا؟».

«الخريطة مقسمة على ثمانية أشخاص ولكن أجزائها مكررة، بسبب إذا هلك شخص منهم فيكون هناك بديل له تستطيع أن تأخذ الخريطة منه».

سأله القائم مقام بضيق:

«أليس ذلك من الغباء، من الممكن جدًا أن تبحث عن أربعة أشخاص فتجد معهم نفس الأجزاء من الخريطة المكررة وحينها لن يجدي الأمر نفعًا».

نظر إليه حيجون بضيق ومن ثم أجابه:

«لن يحدث هذا، فكل شخص منا يعلم الأشخاص الذين يكملون خريطته، أنا أعلم ثلاثة أشخاص ستجد معه أجزاء الخريطة كاملة والآخرين هكذا، ولكن أنا أعلم مكان واحد منهم فقط، كل واحد منا يعلم مكان واحد فقط، حيث إذا وصل إليه إخوان الصفاء أو أي شخص من الأعداء الذين يبحثون عن هارون أو الكتاب لا يستطيعون الوصول إلى الباقي أو على أقل تقدير لا يصلون إلى مبتغاهم بسهولة».

ظل يشير حازم بأصبعيه أمام حيجون:

«إذا كل شخص منكم يحمل جزءًا من خريطة لمكان هارون يحيى، وكل شخص منكم يعلم الثلاثة الآخرين الذين يكملون خريطته، ولكن كل واحد منكم يعلم مكان فرد فقط من باقي الثلاثة، إنها فكرة عبقرية وتجعل تعقبكم شبه مستحيل إلا إذا تعاونتم برغبتكم الخالصة، ولكن أنت أخبرتني أنكم تسعة أشخاص هربوا مع هارون يحيى، والخرائط موزعة على ثمانية أشخاص، إذا هناك شخص واحد زائد، هذا الشخص التاسع، ماهي فائدته بخططكم؟!».

أجابه حيجون مبتسمًا: «لقد أخبرتكم أن للوصول إلى هارون والكتاب أمامكم طريقان، الأول أن تجدوا أربعة أشخاص من الثمانية الذين هربوا مع يحيى، أما الثاني فهو عن طريق الشخص التاسع، فهو يعلم مكان هارون يحيى بالفعل».

نظر الجميع إليه مندهشين فابتسم وهو يكمل حديثه:

«نعم هو الوحيد بهذا العالم الآن الذي يعلم مكان هارون يحيى وكتاب الكنوز، وهذا لأنه قوي للغاية، ولا يخشى أحدًا بهذا العالم، ويعلم جيدًا أن من يسعى خلفه سيكون مصيره الهلاك على الفور، حتى إخوان الصفاء لا يستطيعون أن يضعوا يدهم عليه، فسوف يهلك معظمهم على الأقل إذا دخل معهم بصراع مباشر».

قفز الفرزدق من مكانه مصدومًا وهو يتحدث إلى حيجون بخوف:

«مستحيل، هل تقصد؟!».

وقف حيجون من مكانه وهو يضحك:

«نعم، هو.. الخوارزمي».

صرخ بغضب شديد:

«الخوارزمي، اللعنة.. لن أعبت معه أبدًا، لن أتصارع مع أحد أبدًا لديه قدرة من العطايا، لكن انتظر هنا، هل الخوارزمي اشترك مع هارون يحيى بأخذ كتاب الكنوز، هل أصبح الخوارزمي مارقًا هو أيضًا».

تنهد حيجون على الفور:

«لقد أخبرتك أنني لا أستطيع أن أتحدث عن هذا الأمر».

«نعم، نعم، عهد الياسمين، لكن أخبرني هل هناك عداة بين

الجاحظ والخورزمي الآن، لم أعلم عن هذا الأمر شيئاً عندما كنت معهم منذ وقت قريب».

«أنت تعلم أن الوضع مع الخوارزمي بالذات معقد مع جماعة إخوان الصفاء، فهو انضم إليهم منذ زمن بعيد من أجل سبب واحد، ولم يرغب الجاحظ بتلبية هذا الطلب، ولكن هارون ساعده على عكس الجاحظ».

أمسك الفرزدق رأسه بيأس:

«اللعنة أصبح الوضع جنونياً، لن أشارك بأي شيء قريب أو بعيد يخص الخوارزمي والجنون الذي يتحدث عنه».

هنا تدخل على الفور حازم وسألهم بغیظ:

«الخوارزمي، والجاحظ والفرزدق، بالله عليكم ما تلك الأسماء، هل تقومون بعرض مسرحي ما أو ما شابه، أنا لا أفهم منطقكم هذا».

أجابه طارق الغنام:

«ما لاحظته أن أعضاء جماعة إخوان الصفاء يمتلكون أسماء شعراء عرب قدامى كأسماء بديلة لا أسمائهم، ولكن الأمر تغير الآن فالخورزمي هذا عالم إسلامي مشهور وليس شاعرًا».

أوما له حيجون برأسه:

«نعم، جميع أعضاء جماعة الإخوان لديهم أسماء شخصيات شعراء عرب قدامى، وبعضهم يحمل الأسماء الشهيرة الأخرى

مثل سيراف واسمي حيجون، ولدينا عضو يدعى جحا أيضًا ولكنه بفرع آخر من فروع العالم، فالأسماء لدينا اختيارية ولكن لديها بعض القواعد المتبعة أهمها أن تكون مناسبة وصالحة لأعضاء الجماعة، ولا يحمل أحد أعلمه اسم علماء مسلمين مشهورين بالجماعة غير الخوارزمي نظرًا لأن عطيته تشابه كثيرًا ما تركه العالم الجليل الخوارزمي».

سأله إيهاب بفضول:

«هل عطيته تلك خاصة بالأرقام والجبر والحساب».

سأله حازم بضيق:

«ما هي تلك العطايا من الأصل».

نظر حيجون مستغربًا إلى الفرزدق:

«هل لم تخبرهم بماهية العطايا؟».

ثم تحدث إلى الجميع وهو يرفع يديه بجانبه:

«إذا لم يخبركم الفرزدق لن أستطيع أن أخبركم أنا أيضًا».

اقترب القائم مقام منهم وسألهم بنفاد صبر:

«دعكم من كل هذا الهراء، أخبرني بمكان الخوارزمي هذا

على الفور».

رفع الفرزدق يديه مستسلمًا:

«أنا لن أشارك بأي شيء يخص الخوارزمي، أنا لدي اقتراح،

أن نقسم إلى فريقين، الأول يتتبع الخوارزمي وأنا لست

منهم بالطبع والثاني يذهب ليطارد باقي الأعضاء الهاربين الذين يحملون خرائط لمكان هارون يحيى، وهكذا سوف نقوم بتغطية كافة الاحتمالات وتزيد نسب نجاحنا.

«نعم وأنا مع هذا الرأي بتلك الطريقة سوف نزيد فرصنا بالوصول لهارون يحيى أكثر».

قالها إيهاب وهو يقترب من حازم وهو يرقب ردة فعل القائم مقام الذي نظر إلى الفرزدق بضيق قليلاً ومن ثم أجابهم موافقاً:

«حسنًا، سوف أذهب مع حازم بأي فريق سيختاره».

نظر له حازم بغضب وهو يشير إلى الخاتم بيده.

«سوف أذهب للبحث عن الخوارزمي هذا، فأنا بحاجة ماسة للوصول إلى هارون يحيى بأسرع وقت ممكن».

بعد ذلك تحدث إلى حيجون بفضول:

«أين مكان الفرزدق الآن».

ابتسم حيجون إليه وأخذ يحدثه محذرًا:

«أنت سوف تذهب خلف الخوارزمي بعد أن خاف الفرزدق أن يفعل ذلك؟ يبدو أنك أحمق تعتقد أنك شجاع ولا تخشى على حياتك».

رفع حازم الخاتم بيديه أمامه وهو يشير بإبهامه جهة القائم مقام خلفه:

«أنا بالفعل في حكم الأموات، ألا ترى هذا».

نظر إليه حيجون مصدومًا:

«خاتم الجاثم، اللعنة».

ثم أشاح بنظره جهة القائم مقام الذي كان يراقبهم بتمعن شديد فأومأ برأسه:

«آه، لقد اتضح الأمر الآن، أنت تعمل مرغماً لهذا الشخص بسبب خاتم الجاثم، يبدو أنك رجل ميت يمشي على قدميه بالفعل، ولهذا لن أثنيك عن ذلك، حسناً اسمعوني جيدًا جميعكم».

قالها وهو يبتعد خطوات للخلف ليراه الجميع بوضوح، فالتف الجميع حوله وترقبوا حديثه بفضول، فتحدث إليهم بسرعة:

«سوف أخبركم الآن بأماكن تواجد الفريقين اللذين سيوصلوكم إلى هارون يحيى فاستمعوا جيدًا، الشخص الذي سيصلكم إلى جزء من الخريطة ومن ثم سيدلكم على الشخص التالي الذي يحمل الجزء الآخر من الخريطة حتى تجمعوا أربعة أجزاء من الخريطة كاملة، اسم الشخص هو «البلداني». ومكان تواجده «بمينسك» عاصمة روسيا البيضاء أو «بيلا روسيا».

اعثروا عليه وافصحوا عن طارق الغنام صديق هارون وابنه أحمد وهو سوف يساعدكم مثل ما فعلت بالتأكيد، أما

الطريق الآخر الأقصر عن طريق الوصول إلى الخوارزمي هو سيخبركم بمكان هارون يحيى على الفور إذا استطعتم الحصول على ثقته، وآخر مكان لتواجهه كما أعلم هي مدينة «مطماطة» بدولة تونس، هذا كل ما لدي من معلومات أستطيع أن أشارككم بها».

وقام بسحب قطعة جلدية من أسفل ملابسه ووضعها أمامهم:

«أما هذه هي القطعة الأولى من الخريطة سوف أسلمها لكم».

ووضعها بين يديه فالتقطها على الفور القائم مقام وأخذ ينظر إليها بفضول شديد فلم يفهم شيئًا، فالتقطها حازم من يديه ونظر إليها بتمعن شديد واقترب الجميع منه وأخذوا ينظرون إلى الجزء الجلدي من الخريطة الذي رسم عليه بالخيط المطرز رسمة جزء من جبل فقط ولا يظهر أي شيء آخر منه، علق إيهاب بضيق:

«أنا لا أرى شيئًا مفيد من تلك الخريطة إنها ليست واضحة».

فابتسم حيجون ساخرًا:

«ما الفائدة من صنع خريطة وتوزيعها على أربعة أجزاء إذا كنت سوف تستوضح باقي المعلومات من جزء واحد منها فقط».

لم يكمل حيجون حديثه حتى وجد حازم يخرج هاتفه المحمول وقام بتصوير هذا الجزء من الخريطة وهو يتحدث إليه بثقة:

«سوف أقوم بتصويرها وإرسالها لمساعدتي حياة، أنت لا تعلم ماذا يستطيع الذكاء الصناعي أن يفعل تلك الأيام، من الممكن جدًا أن يتوقع الجزء المتبقي من الخريطة بنسبة كبيرة».

ضحك حيجون ساخرًا:

«أتقصد تلك الحواسيب التي تسألك بكل مرة تدخل إليها إلى موقع ما هل أنت حاسوب أم لا، حطًا سعيدًا بذلك، فما صنعه العقل البشري لن تستطيع آلة أن تهزمه أبدًا».

وضع حازم هاتفه بجيبه وقام بوضع قطعة الخريطة بكيس بلاستيكي بعناية وهو يتاع الحديث إليه:

«ليست الحواسيب أيها الرجل الطيب، بل الأشخاص الذين يستخدمون تلك الحواسيب، فنحن نصنع تلك الأشياء من أجل خدمتنا ومساعدتنا وليس العكس».

ضحك حجيون ساخرًا:

«ما تقوله يخالف ما أراه، عندما أجد بعض الشباب الحمقى الآن قد ينسى أن يتناول طعامه ولكنه لن ينسى أن يحضر شاحن هاتفه، ما أراه الآن أمامي أن البشر ببداية عصر الاستعباد من الآلات هذا أمر قادم لا محالة، ولحسن حظي

عمري المتبقي لن يكفي لأن أرى هذا يتحقق بعيني، ولكنه سيحدث لا شك».

أوقفهم القائم مقام بيده بعصبية:

«دعكم من جلسات السمر هذه الآن، ولتخبروني ما هي خطواتكم القادمة، أما أتدخل أنا وأضعها إذا رغبتكم».

صرخ حازم بخوف:

«لا، يكفي ما فعلته بنا حتى الآن، سوف أقوم بوضع الخطة على الفور، نحن سوف ننقسم إلى فريقين، الأول سوف يذهب للبحث عن هذا الذي ببيلاروسيا».

لاحقه حيجون:

«البلداني».

«نعم.. البلداني، تبًا لكم ولأسمائكم الغربية تلك، سوف يذهب الفريق الأول لملاقاة البلداني ببيلاروسيا، والفريق الثاني سوف يذهب إلى تونس خلف».

لاحقه حيجون:

«الخوارزمي».

«نعم الخوارزمي، بمدينة».

لاحقه حيجون:

«مطماطة».

بغضب:

«نعم بمطماطة، الخوارزمي، ومطماطة، اللعنة عليكم، وعلى أسمائكم مرة أخرى».

رفع الفرزدق يده بسرعة:

«أنا سوف أذهب خلف البلداني ببيلا روسيا، وسوف آخذ معي طارق الغنام وأحمد هارون لكي يطمئن لنا البلداني ويعطينا المعلومات التي لديه، وأضمن لكم بأنني أستطيع حماية طارق وأحمد وأي شخص آخر يرغب بالقدوم معنا».

تنهد حازم بصوت قوي:

«حسنًا سوف أذهب أنا خلف الخوارزمي».

أمسك إيهاب ساعده على الفور:

«وأنا سوف أصحبك يا صديقي ولن أتركك أبدًا».

ابتسامة صفراء اعتلت وجه القائم مقام لحازم وتحدث إليه بعقّة:

«وبالطبع سوف أكون بصحبتك يا حازم، ولا تخش من شيء وأنا بجوارك، سوف أحميك».

تنهد حازم بضيق:

«ومن سيحميني منك؟».

فضحك القائم مقام ساخرًا، فنظر حازم جهة حيجون الذي رفع يديه أمامهم مستسلقًا:

«أنا لن أتحرك معكم بأي مكان، لقد انتهت رحلتي منذ أمد بعيد، كل ما أرغب به الآن هو أن أقضي أعوامي القليلة المقبلة بهدوء وأتواري من الجاحظ ورجاله».

أمسك القائم مقام بيد حيجون بتحدٍ شديد:

«يجب عليك أن تتمنى ألا أحتاج أن أراك مرة أخرى».

ابتلع حيجون ريقه خوفًا، فتركه القائم مقام وصفق بوسط الغرفة وهو يتحدث إلى الجميع:

«لقد انتهت مهمتنا هنا، فهي بنا نعود إلى قاعدتنا لكي نحضر أنفسنا للسفر غدًا».

كنحلة شغوفة دؤوبة على عملها تنتقل من زهرة إلى أخرى ترتشف رحيق المعلومات، كانت حياة مستمرة بزيارة شارع المعز والمناطق المجاورة له لليوم الثالث على التوالي، وبكل مرة تغطي جزءًا كاملاً من أركان المكان ترى ما سجلته الكاميرات المتواجدة أمام المتاجر وتسحب كمية البيانات الضخمة المسووعة من على وحدات تخزينها في محاولة لإيجاد أي شاردة أو ورادة غفلتها عنها الشرطة والباحثون من قبلها، وبذات الوقت كانت تستخدم أسلوب البحث والاستقصاء بالطريقة اليدوية الاعتيادية وهي تحاول محاكاة ما كان يفعله حازم أمامها لفترة طويلة، واستخدمت أساليبه التي كانت كالسحر بنجاحها كل مرة، ورأت أن تستخدمها على صاحب ذلك المتجر الكبير الذي يقع على ناصية بين شارعين كبيرين بمنطقة المعز ويمتلى عن آخره بالكتب والروايات القديمة منها والحديثة، فأصبح مكتظاً برواده من محبي الثقافة والعلوم على رغم من ندرتهم بتلك الأيام، فتحركت مسرعة صوب المتجر وهي تضع نظارة شمسية سوداء كبيرة على وجهها وتحمل جهاز «التابلت» بين يديها وتملصت بين الحضور لتتجه إلى مكتب صاحب المتجر الذي كان منشغلاً بمراقبة الزوار الحاضرين ومتحفراً لالتقاط الأموال منها، فتفاجأ بقفز حياة أمامه فنظر إليها سريعاً فوجد أثر الخراء عليها واضحاً فارتسمت ملامح الاهتمام التلقائية على وجهه:

«أهلاً بحضرتك».

بادلته حياة التحية وابتسمت وهي تشير إليه لصورة على
التابلت الخاص بها:

«أنا متحرية تعمل بشركة خاصة، ونبحث عن بعض الفتيات
المتغيبات، هل من الممكن أن تنظر سريعًا عليهن؟».

ووضعت الجهاز أمام نظره الذي ظهر بوضوح شديد عليه
أنه يحمل خيبة الأمل التي تحولت بسرعة إلى عدم اهتمام
فلم يمض أقل من ثانية واحدة إلا وقد أومأ برأسه وهو
يخبرها أنه لم ير أي من هن، وبالطبع لم تشعر حياة باليأس
فكان الأمر على العكس تمامًا، فهي تتوقع منه أن يفعل ذلك
معه مثل الملايين غيره الذي اتخذ أسلوب حياتهم مبدأ
التجارة والقيمة بمقابل، ولهذا قامت بوضع الجزء الثاني من
خطتها، فسحبت الجهاز من أمام وجهه وأخرجت حقيبتها
وفتحته وأخرجت مبلغًا ماليًا ضخماً أمام البائع واقتطعت
منه جزءًا وأعطته للبائع وهي تبتسم»

«تفضل».

نظر إليها البائع فرحاً مندهشاً متخوفاً وأمسك النقود من
يدها وهو يسألها بفضول:

«ما تلك الأموال؟».

«إنها أموال تقدمها شركتنا لك نظرًا لمساهمتك بجزء من
وقتك ومحاولة مساعدتنا».

الاندهاش بادٍ على وجهه:

«لكن أنا لم أساعدكم بأي شيء يذكر».

«نعم نحن نعلم ذلك، ولكن هذه سياسة شركتنا، احتفظ بذلك المبلغ الآن فهو مبلغ قليل نظرًا لأنك لم تعطنا معلومات كافية، ولكن إذا استطعت أن تمدنا بأية معلومات مفيدة، فأوعدك بمبلغ مالي كبير سوف يكون بحسابك على الفور».

على الفور سحب صاحب المتجر النقود وقبضها بيده فرحًا:
«أخبريني كيف سأساعدك وأنا سوف أساعدكم على قدر ما أستطيع».

هنا ابتسمت حياة على الفور وعلمت بنجاح مسعاها،
فخلال خبرة خمس سنوات تقريبًا بذلك العمل لم تجد أكثر
من الأموال لتحفيز ذاكرة أي شخص أو تنشيط أي كسول،
واقتربت منه أكثر وهي تحدثه بنبرة هادئة آمرة:

«الأمر بسيط، سوف أضع صور تلك الفتيات على حاسوبك
وعندما تجد وقتًا مناسبًا تنظر إليهم جيدًا وتحاول أن
تتذكر إن شاهدتهم بهذا المتجر أو بالقرب من هذا المكان،
أو بصحبة أي شخص، وإذا تذكرت أي معلومة بخصوصهم
تواصل معي على ذلك الكارت وسوف تجد طرق الاتصال بي
أيضًا على حاسوبك تواصل معي وإذا تحققنا من صحة تلك
المعلومات سوف أجزل لك العطاء».

ابتسم صاحب المتجر على الفور:

«على الرحب والسعة، سوف أحاول أن أساعدك فهؤلاء فتيات مسكينات يحتجن إلى الرعاية والمساعدة وسوف أفعل ما بوسعي».

ابتسمت حياة أكثر وقامت بإعطائه وحدة تخزين صغيرة «فلاش ميموري» وتحدثت إليه:

«انسخ تلك البيانات التي بالذاكرة على حاسوبك، وإذا سمحت لي بنسخ التسجيلات من الكاميرات التي بالمتجر سوف أعطيك مبلغًا من المال الآن على الفور، فتلک التسجيلات قد تقوم بمساعدتنا».

ظهرت بواذر الفرحة على وجه الرجل وهو يضع الذاكرة الصغيرة بمدخل حاسوبه على الفور، فراقبته حياة وهي تقتطع مبلغًا من المال وتحمله بين يديها، وعندما وضع الرجل الذاكرة بالحاسب أعطته النقود على الفور، وقامت بنسخ الصور على حاسوبه ونسخ بيانات الهارد الخاص بالمتجر على سيرفر حاسوبها الشخصي عن طريق التابلت ومن ثم تحدثت إلى صاحب المتجر من جديد:

«أثناء انتظارنا لانتهاة عملية النسخ هل من الممكن أن آخذ نظرة بأرجاء المتجر، وأتحدث إلى الموظفين هنا إذا لم يكن لديك مانع».

أماء صاحب المتجر بالموافقة على الفور:

«تفضلي، تفضلي هذا متجرك افعلي به ما تريدين، يا سمير، ساعد المدام بأي شيء تريده».

ظهرت علامات الضيق على وجه حياة عندما سمعته يتحدث عنها بلقب «مدام» وهي لم تتزوج بعد، لكنها ابتلعت ضيقها وذهبت جهة أحد الموظفين لاستخراج أي معلومات منه، وقام صاحب المتجر باستخراج النقود من جيبه وقام بعدها أسفل المكتب حتى لا تراه حياة وهو مبتسم، كان المتجر يشتعل بالحركة من الداخل بحركة القادمين والذاهبين وما زالت حياة بداخله تحاول استخراج أية معلومات ومتابعة ما كانت تفعله منذ ثلاثة أيام كاملة بنفس الطريقة، ولكن لم تكن تأخذه بالحسبان حينها هو وجود شخصين يقفان أمام المتجر متحفزين وهم يراقبان خطواتها أول بأول منذ الأمس، فقد أصبحت دون أن تشعر داخل خطر كبير، خطر كبير للغاية لم تكن لوهلة تتخيله وجوده، فمسألة اختفاء الفتيات هؤلاء ما كانت إلا قصاصة صغيرة بقصة مرعبة ومخيفة لأحداث قادمة أغرب من الخيال.

هذا ما كان يحدث بمصر، أما ما كان يحدث بغرناطة فهو شيء آخر، حيث تجمع كل من إيهاب وحازم وطارق الغنام وأحمد هارون على مائدة الإفطار يتناولون الطعام الشهي الذي أعده الفرزدق كالمعتاد ولكنه لم يكن متواجداً معهم حينها، وهذا لفت انتباه القائم مقام الذي دلف إلى غرفة المعيشة وشاهدهم يتوسطون الغرفة حول المنضدة يتناولون الطعام فسألهم بوجه متجهم كالمعتاد:

«أين الفرزدق؟».

فتحدث إليه إيهاب وهو يتحسس حديثه جيدًا:

«لقد أعد الطعام وتركنا بعجالة وأخبرنا أنه يرغب بالتريض
ليستمتع بالهواء البارد بالصباح.».

تلمس القائم مقام زر حلتة الأنيقة بيده اليسرى وهو غير
مقتنع:

«يتريض!! حسنًا، تجهزوا جميعًا، لقد أعددت طائرات تنقلنا
إلى وجهتنا مطماطة بتونس ومينسك بروسيا البيضاء،
يجب أن نكون جميعًا بالمطار بالواحدة ظهرًا».

نظر طارق الغنام إلى ساعته فوق ساعده:

«نحن بالصباح الباكر، إذا لدينا وقت طويل للغاية، سننتظر
عودة الفرزدق وسوف نصل بالموعد بإذن الله».

نظر لهم القائم مقام للحظات بنظرات غير واضحة ومن ثم
انصرف بصمت من الغرفة، فابتلع حازم طعامه الذي كان بفمه
بخوف:

«اللعنة على هذا الرجل إنه يصيبني بالقشعريرة عندما
يتحدث وأكثر عندما يصمت».

ربت إيهاب على كتفه مازحًا:

«على الرغم من هذا لكن لا تنس يا حازم أنه رجل لم تنجبه
الرجال أو النساء أيضًا».

أمسك حازم بقطعة من الطماطم من فوق المائدة ووضعه
بوجه إيهاب الذي حاول أن يبعدها بيده بتقزز شديد وهو
يصرخ عليه:

«يا حازم لقد أخبرتك ألف مرة لا أحب الطماطم على وجهي
بدون عسل وزبادي».

فضحك أحمد عليهما هو وطارق فضحك حازم على
ضحكهم وأخذ قطعة من الخيار من المنضدة ووضعتها على
وجه إيهاب الذي أبعداها عن وجهه سريعًا وقام على الفور
بإمساك كوب من الماء من على المائدة وقام بسكبها على قفا
حازم الذي ابتل وقفز صارخًا:

«بارد، الماء بارد أيها الوغد، إنه بارد».

فضحك طارق الغنام وأحمد وإيهاب بشدة على ردة فعل
حازم الذي ظل يبعد ملابسه المبتلة عن رقبتة للحظات ومن
ثم أمسك بأبريق الماء الزجاجي لينقض على إيهاب الذي
ركض على الفور مبتعدًا عنه كطفل هارب حطم زجاج نافذة
وشاهدته أمه متلبسًا بجريمته.

كان الجو باردًا بهذا الصباح والجميع متجه إلى عمله أو
لقضاء مشاغله وبعضهم كان يتريض بركوب العجل أو يركض
مثل ما كان يفعل الفرزدق، كان يرتدي ملابس رياضية ويضع
غطاء رياضيًا فوق رأسه ويستمتع إلى بعض اللغات بوقت
فراغه كعادة جميع أفراد جماعة إخوان الوفاء، كان يستمتع

إلى محادثات بالإسبانية بين شخصين يتحدثان عن مشاكل البيئة بالعالم، وكانت تلك المصطلحات جديدة على سمعه فأخذ يصب تركيزه الشديد على تلك الكلمات الجديدة، ولهذا لم يشعر بنفسه عندما انحرف عن الطريق الذي كان يتريض به الجميع قليلًا، لم يشعر أنه حاد عن وجهته المعتادة إلا عندما شاهد العيون المتعلقة عليه بكونه غريبًا عن أهل هذه المنطقة، فعاد إلى رشده سريعًا وأخذ يقلب بعينه سريعًا بتلك العيون المرتابة من وجوده بهذا المكان، ولكنه لم يشعر بالخطر منهم.

فقد اكتسب قدرة فورية على اكتشاف الأخطار وما مدى التهديدات المحيطة به، هذه مهارة اكتسبها معظم أفراد جماعة إخوان الصفاء أيضًا، فتابع تريضه وهو يحاول أن يعود إلى طريقه من جديد، ولفت انتباهه وهو يخترق أحد الأزقة أن هناك أعين تتربص به وتتبعه، ركض أسرع قليلًا حتى اخترق هذا الزقاق ليجد نفسه بمكان واسع ممتلئ بالأشجار ويبدو عليه أنه مكان خاص للمخيمين ومحبي الطبيعة ولكنه كان متسخًا وممتلئًا بأمثلة وأسرة للمشردين الذين نظروا إلى الفرزدق سريعًا ولكنهم لم يعبؤوا بوجوده، فيبدو من ملبسه أنه أتى إليهم عن طريق الخطأ، فلا يشكل لهم أي تهديد فهو لا يرتدي ملابس الشرطة التي تزورهم من حين إلى آخر، ولا يحمل سلاحًا ناريًا أو سكينًا أو عصا بيسبول إذا فهو ليس من متصيدي المشردين الذين يتلذذون بمحاولة التنفيس عن أنفسهم و الهرب من أقدام العالم الذي

يسحقهم بحذائه ولم يجدوا سبيلاً لهذا سوى أن يسحقوا بدورهم هؤلاء المشردين، فالضعيف دائماً لا ينفس عن غضبه سوى على الذي أضعف منه، فلم يخشوا من وجود الفرزدق ولكن خوفهم كان يظهر بسبب من يتحركون خلفه ويتتبعونه - ثلاثة أشخاص - استطاع الفرزدق أن يشعر بهم خلفه، تلفت خلفه بسرعة شديدة لينظر إليهم وبأقل من الثانية استطاع أن يراهم جميعاً واستطاع أن يحدد مدى الخطر الذي يمثلونه عليه ولم تزد نسبة هذا الخطر سوى عن 5 % مع الرأفة، فابتسم ساخراً مشفقاً على هؤلاء الأشخاص الذين يحاولون التربص به، فهم يعتقدون أن الفرزدق فريستهم ولكنهم لم يعلموا أنه هو الصياد وهم الفريسة السائغة له.

نظر إلى الساعة الإلكترونية الرياضية التي على معصمه فوجدها التاسعة إلا عشر دقائق، إذا ما زال أمامه وقت ليعبت معهم قليلاً، أخرج هاتفه وقام بالبحث عن شيء عليه ووجد ضالته على الخريطة على أقل من ثلاثمئة متر، نفق قديم للمشاة أسفل قضبان لقطار مرتفع، فنظر إلى المتربصين به خلفه وتلاقت عينه بأعينهم، ولم يكونوا سوى ثلاثة شباب أصغرهم بالثامنة عشر تقريباً وأكبرهم بحدود الخامسة والعشرين، وتأكد أنهم شاهدوه فابتسم ساخراً منهم وركض بسرعة شديدة، وهنا لم يخف متربصيه سخطهم منهم وركضوا خلفه بسرعة وهم يصبون عليه غضبهم وكلمات السباب والصراخ تلاحقه كرصاص سلاح رشاش ناري، ظل يركض الفرزدق بأقصى سرعة لديه وهنا وجد أن المسافة

اتسعت للغاية بينه وبين هؤلاء الشباب، فخشي أن يفقدوا الأمل منه ويكفوا عن مطاردته فهذا ركضه وهذا جعل الشباب يصلون إليه ولكنه ترك مسافة كافية بينه وبينهم حتى وصل إلى النفق القديم المخصص للمشاة والذي كان يمتلئ بروائح التبول والفضلات البشرية ومغطى بالرسومات الجرافتي بكل جزء منه، وأرضه ممتلئة بمراتب قذرة قديمة يستخدمها بعض المشردين ليلاً، فتوقف الفرزدق بمنتصف النفق ونظر يمينًا ويسارًا فوجده فارغًا تمامًا، فقام بالاتكاء على ركبتيه وهو واقف يتصنع أنه يستريح من كثرة الركض، وهنا لاحقه الشباب وهم متحمسون ويصرخون عليه بغضب:

«هل تعبت من الركض أيها المورسكي؟ هل تعبت من الركض أيها اللعين؟».

التف الشباب حول الفرزدق الذي وقف بين يديهم يراقب ما يفعلونه، فقام أحدهم بإخراج سكين من خلف ملابسه وهو يشيح به أمام الفرزدق ويصرخ عليه بغضب:

«ألم نخرجكم من قبل أيها المورسكيون؟ هل تريدون أن تعودوا إلى هنا مرة أخرى؟ هل تعتقدون أنكم ستعودون إلى إسبانيا مرة أخرى؟ كلا أيها الوغد اللعين سوف نقتلكم، سوف نقتل كل وغد ابن عاهرة متبقي منكم».

نظر إليهم الفرزدق بلامبالاة ومن ثم نظر إلى معصمه الذي كان يخبره أنها التاسعة إلا خمس دقائق، فنظر الفرزدق إلى الشباب أمامه وارتسمت ابتسامة واسعة على وجهه.

بذلك الوقت كان يجلس القائم مقام بمكتبه بالمنزل وحوله ثلاثة من رجاله يتابع إيهاب وحازم وأحمد طارق الغنام وهم يحضرون ملابسهم استعدادًا للسفر، فنظر إلى الساعة بيديه بضيق، وهنا مال أحد رجاله إلى أذنه وهمس له بالإنجليزية:

«لم نستطع أن نتبع الفرزدق يا سيدي».

فتنهّد القائم مقام وهو يتحدث بضيق:

«أعلم أنكم ستقولون هذا، اتركني الآن».

تحرك الرجل مبتعدًا خلف القائم مقام الذي تحدث إلى نفسه بالعربية:

«أعلم أنكم لن تجدوه، إذا كان شخص من السهل تتبعه فلماذا سأقوم بتجنيدته معي إذا، هذا الوغد اللعين، أعلم أنه يعمل فقط بسبب أجندة خاصة به، لكن لا يهم، ما يهمني هو الوصول إلى كتاب الكنوز».

وهنا اقترب القائم مقام من شاشة المراقبة أمامه وهو يتلمس بأصابعه جزءًا منها يظهر الطفل أحمد هارون وأخذ يتحدث بغضب مكتوم:

«فلتدع أن نصل إلى الكتاب أيها الصغير، صدقني هذا سيكون بمصلحتك، وإلا سوف أجعل والدك يدفع الثمن غاليًا بدمائك».

بالتاسعة وخمس دقائق بالضبط كان يقف الفرزدق بمفرده بالنفق وبجواره جسد شابين مغشي عليهما ساقطان أرضاً والكدمات بكل أنحاء جسدهم، وأحدهم يده مكسورة من جهة المرفق، أما الشاب الثالث الذي رفع السكين أمام الفرزدق وكان يلوح به جهته، فكان معلقاً من قدمه بحبل بمنتصف النفق ويده مكبلة خلف ظهره والفرزدق يتحدث بجواره بالهاتف وهو يستند على جسد الشاب المعلق وهو يصرخ عليه مترجياً أن يتركه لحال سبيله، لكن كان يكيل له الفرزدق الركلات واللكمات الخفيفة التي كانت تكفي بإسكاته ومعاودة صراخه من جديد، كان هذا المشهد مخيفاً لرجل بنهاية العقد الخامس من العمر عندما دلف إلى النفق ليعبره للجهة الأخرى فوجد الفرزدق يستند على جسد الشاب المعلق والشابين الآخرين أسفل منهما، فسقط الرجل أرضاً فزعاً وصرخ وهو يعود للوراء وركض عائداً إلى حيث أتى، ولم يعبأ الفرزدق بخوف هذا الرجل وكان يكمل محادثته بالهاتف بكل هدوء وورزانة:

«نعم كما أخبرتك، لقد علمنا أن الخوارزمي لديه مكان هارون يحيى وبنسبة كبيرة قد يكون لديه الكتاب، إنه بمطماطة بتونس، وأنا سوف أذهب لمطاردة البلداني ببيلاروسيا، حسناً سوف أخبرك بكل شيء حتى نصل إلى الكتاب وأعطيه لك بنفسى».

فجأة تغيرت نبرة الفرزدق الهادئة إلى الفرع الشديد وارتبك بالحال:

«ماذا، الأصمعي هنا، هل الأصمعي بأثري، لماذا لم تخبرني بهذا إلا الآن، سوف أرحل عن إسبانيا كلها في التو والحال».

وهنا أغلق الهاتف بخوف شديد وترك الشاب معلقًا وركض بأقصى سرعة لديه وهو يصرخ بفزع:

«الأصمعي هنا، اللعنة، اللعنة».

مرتبًا، متلفئًا، متعرقًا، خائفًا، هذا كان وصف حال الفرزدق وهو يتحرك بين المارة وهو عائد إلى مكان مخبئه، تلك المكالمات الغامضة التي حدثت معه منذ قليل قلبت وضعه رأسًا على عقب، كان يحاول أن يخبئ وجهه بأي طريقة ويحاول أن يمر بين الأماكن التي بها عدد قليل من المارة، ويحاول تلافي كاميرات المراقبة أو يمر من أمامها بوضعية لا تسمح بالكشف عنه، ولكنه كان يعلم ما مدى فشل كل تلك الأمور على العيون المدربة على التقصي والتقصي، لكن لم يكن أمامه أي مفر آخر سوى أن يتأمل أن يكون الأصمعي لم يصل إلي إسبانيا أو أنه وصل منذ وقت قصير بحيث يستطيع الفرار بنفسه خلال تلك الساعات القليلة، لكن انتابته الظنون التي كانت تتفاقم لتصل إلى حد الجنون عندما وجد بعض المارة من الرجال والنساء ينظرون إليه بتمعن، حاول أن يخبئ وجهه بقبعة رأسه ويبيده، حاول أن يهدئ من نفسه من الممكن أنهم يظنونه شخصًا آخر، هو يعلم أنه ليس من الطبيعي أن يتلفت إليه أكثر من عشرين شخصًا

بأماكن مختلفة وهو يدري أن حدسه لم يخطئ قط، لكنه الإنسان يحاول دائمًا ألا يجلب مخاوفه إلى السطح فيحاول أن يدفنها أسفل قدمه، ولكن سرعان ما تفوح تلك المخاوف المدفونة أسفل قدمه لتزيد من رعبه تدريجيًا.

فمن المعروف أن وقوع البلاء أفضل من انتظاره، ولكن هناك مقولة أيضًا تقول أن انتظار وقوع البلاء دون إيجاد حل هو نوع من الغباء بحد ذاته، هذا ما كان يتردد بعقل الفرزدق الذي كان يحاول أن يضحك أي تفكير منطقي بعقله بأنه أصبح بالفعل لعبة بين يدي الأصمعي، فكان يتلاعب بعقله أن الصدف تحدث، إنها الكثير من الصدف التي يصدف أنها تتصادف معًا بوقت واحد، ولكن عندما تلفت إليه مجموعة من المارة وهم يرفعون هواتفهم النقالة ويلتقطون صورًا له بأي مكان ينطلق إليه حتى ولو لم يذهب إليه من قبل، هنا ترمى إلى عقله بدون شك أن هذا من فعل الأصمعي بالفعل، أن الأصمعي ليس هنا بإسبانيا فقط ولكنه متواجد منذ عدة أيام بالفعل يعد له العدة له ورفاقه، وعلى الفور علم أنه بخطر محقق، أنه من الممكن أن يكون بعداد المفقودين خلال ساعات إذا لم يفلت من قبضة الأصمعي المكددة حول رقبته، فركض بأسرع ما لديه من قوة باتجاه منزلهم الآمن فوجد القائم مقام ورجاله هو الورقة الأخيرة التي بجعبته ليفلت من يد الأصمعي الخطيرة، صرخ وهو يركض مرتاعًا بعد أن قام بدفع رجل وقف بطريقة فجأة وأخذ يصور له صور واضحة بهاتفه وهو يركض، فسقط الرجل بسبب قوة

دفع الفرزدق الذي ألقى ملابس التخفي لديه، بعد أن علم أنه ليس لها قيمة الآن فتخلص من أي شيء قد يعيق سرعته، حتى الضمادات التي كان يضعها على جسده مزقتها بسرعة أثناء ركضه، فتلك الضمادات ستجعله لا يظهر سرعته وقوته ورشاقتة الكاملة أثناء مواجهة الأسمعي.

كان حازم وإيهاب وأحمد هارون وطارق الغنام ينظرون إلى أحد المقاطع المضحكة من إحدى مسرحيات الفنان سمير غانم المشهورة على الالاب توب الخاص بطارق الغنام وكانوا يضحكون جميعًا، ويتغامزون على أداء الفنان سمير غانم المسرحي وهم يضربون الكفوف على لزماته وقفشاته المضحكة، وكان يرقبهم القائم مقام من الطابق الخاص من خلال شاشه المراقبة التي تنقل كل ما يفعلونه خلال الكاميرات المنتشرة بالمكان وتبث له جميع ما يحدث ببث مباشر، لفت انتباهه حركة الفرزدق السريعة وهو يخترق شارع المسكن الذي يمكنون به وهو متعرق خائف، وعلى الفور قفز القائم مقام من مكانه وهو يعلم أن هناك شيئًا ليس على ما يرام يحدث أمامه، فهبط درجات السلم وخلفه ثلاثة من رجاله يلاحقونه حتى انتهى بالطابق الثاني ليرى أمامه الفرزدق وهو يستحم بعرقه على الرغم من الجو البارد قليلًا وهو يصرخ بالجميع أن يرحلوا بالحال، وهنا شعر القائم مقام بالخوف ينبعث من الفرزدق للمرة الأولى منذ أن لاقاه فأمسكه من يده بحركة مقاطعة وتحدث إليه بنبرة أمر:

«اهدأ يا فرزدق، اهدأ وأخبرني ماذا حدث؟».

نزع الفرزدق يده بسرعة من القائم مقام وهو يصرخ عليهم بغضب:

«ما حدث أننا سوف نموت جميعًا الآن إذا لم نترك هذا المكان، الأصمعي هنا في إسبانيا، بل إنه في المدينة ومن الممكن أن يكون بداخل هذا المنزل خلال لحظات إذا لم نهرب من هنا بسرعة».

تحدث إيهاب إلى حازم مستفسرًا:

«أليس الأصمعي هذا من رجال إخوان الصفاء».

أجابه حازم على الفور:

«يبدو ذلك ولكن أنا لم أراه ولم يذكره أمامي أبدًا».

توجه حازم بسؤال الفرزدق بفضول:

«أخبرنا أولاً كيف علمت أن هذا الأص...».

لاحقه طارق الغنام:

«الأصمعي».

تحدث إليه بضيق:

«نعم الأصمعي، اللعنة على تلك الأسماء؛ كيف علمت أن هذا الشخص هنا في إسبانيا؟ هل رأيته؟».

بضيق شديد:

«وهل تعتقد أنني سأظل حيًا إذا رأي الأصمعي بعد أن
اعتبرتني الجماعة مارقًا هاربًا منها».

«إذا كيف علمت أنه موجود هنا».

بغضب شديد:

«ليس هذا وقت تلك الأسئلة الآن، يجب أن نهرب من هنا
جميعًا ومن ثم سوف أجيب عن كل أسئلتكم لاحقًا».

ضحك إيهاب ساخراً من الفرزدق:

«يبدو أن هذا الأصمعي أخافك لدرجة تجعلك تبول
بسرورك».

نظر إليه الفرزدق بغضب شديد وصرخ عليه مدافعاً عن
نفسه:

«أنت لم تره بعيونك أيها الوغد، إنه يستطيع القضاء على
عدة جيوش مسلحة بأحدث الأسلحة بمفرده».

ضحك إيهاب مرة أخرى:

«يهزم جيوشًا بمفرده؟ هل هو بطل فيلم أمريكي خارق».

ضغط الفرزدق على أسنانه مغتاظًا قليلاً ومن ثم تحدث
إليه بسرعة:

«نعم إنه بطل خارق، عطيته جعلته هكذا، جميع من
يملكون العطايا بجماعة إخوان الصفا أشبه بالأبطال
الخارقين، ولهذا استطاعوا أن ينجوا من أعدائهم وتقلبات

التاريخ والجغرافيا عليهم لمدة ألف عام».

شعر طارق الغنام بالفضول الشديد:

«ما تقوله غير معقول، ما طبيعة تلك العطايا بالضبط».

«هذا ليس وقت الحديث الآن، عندما نغادر سوف أخبركم بكل ما تريدون أن تعرفوه، المهم أن نتحرك من هنا على الفور».

حرك حازم إصبعه بحركة دائرية متواصلة وهو يتحدث إليه:

«أنت استطعت تهريبي بمفردك من داخل معقل جماعة إخوان الصفا وخلان الوفا، ولم تشعر بالخوف مثل الآن، إذا هذا الشخص الأصمعي الذي تتحدث عنه يبدو خطيرًا بالفعل».

أشاح الفرزدق بيده بضيق:

«منذ الصباح أخبركم بهذا وأنتم تعيدون تكرار هرائكم ذلك، إذا لم تريدوا الرحيل فسوف أرحل بمفردي».

وهم الفرزدق بالرحيل بالفعل، فأمسكه القائم مقام بيده ليمنعه فتحدث إليه مغاضبًا:

«حتى أنت يا قائم المقام لست نداء للأصمعي وعطيته، لا يوجد شخص بهذا المكان برمته يستطيع أن يقف بوجهه».

علت الدهشة وجه القائم مقام من قوله وهنا تدخل حازم

من جديد:

«إذا يجب عليك أن نخبرنا عن هذا الأصمعي وخطورته، حتى نحترس جميعًا منه ونأخذ حيطتنا».

ضم طارق الشاب أحمد إلى جانبه وأخذ يستمع إلى الفرزدق الذي صرخ عليهم من جديد:

«ليس هناك وقت لهذا الآن».

تحدث طارق الغنام وهو يشد على كتف أحمد ليطمئنه:

«أليس من الأفضل أن نستمع إليه ونرحل بالفعل».

أشار إليه الفرزدق بيده وهو يتحرك يمينًا ويسارًا بمكانه:

«أخيرًا شخص يستمع إلى صوت العقل».

أجابهم القائم مقام بثقة وهو ينظر إلى ساعته بيده:

«سيارة الليموزين بطريقها ثلاث دقائق وسوف تصبح

أسفل المنزل، وستنقل الجميع إلى طائراتهم بعد ذلك».

حازم نظر إلى ساعته:

«إذا سوف نرحل خلال ثلاث دقائق، من الأفضل أن نخبرنا

عن هذا الأصمعي ونحن ننتظر وصول السيارة».

أخذ يعض الفرزدق على أصابعه بضيق، ثم تنهد:

«حسنًا سوف أخبركم عن لقائي الأول بالأصمعي الذي سبب

لي الرعب ومنعني من النوم الهانئ لعدة شهور بعد ذلك».

اقترب الجميع منه وأخذوا يستمعون له بتمعن وكان أكثرهم فضولاً هو القائم مقام الذي رغب بشده معرفة هذا الشخص الذي استطاع أن يخيف الفرزدق ذاته.

حدث هذا الأمر عند التحاقى جديداً بجماعة إخوان الصفاء وخلان الوفاء، كنت شاباً صغيراً واعدًا، كان جميع أعضاء الجماعة يخبروني بأنني شخص قوي وذكي وسوف أكون أسرع عضو يأخذ عطية لو أثبت ولائي وفائدتي للجماعة، هذا الحديث جعلني أختال بنفسي وأشعر بالزهو والقوة فأنا بلغت ما لم يبلغه أحد من أعضاء الجماعة برمتها، فعلت كل هذا خلال عامين فقط، عامين فقط جعلتني أتحصل على مكانة قد تكون أقرب إلى ذراع الجاحظ اليمنى، فكان يكلفني بأي مهمة يراها صعبة أو مستعصية وكنت أنفذها بنجاح لا يشوبه شائبة، وكنت ألحظ غيرة الرجل الذي يأت منه الجاحظ على حياته، نعم فكان «سيراف» يشعر بالغيرة مني بسبب ثقة الجاحظ بي، وأخذت لقباً ضمنياً بأنني أقوى أفراد الجماعة الذي ليس لديه أي من العطايا، وبالطبع لم أكن أعلم ما هي العطايا، وما قوتها بذلك الوقت، لقد كنت غراً مغترّاً بنفسه حينها، فسألت الجاحظ بلحظة انتشاء من أحد انتصراتي، وأخبرته لماذا لا يجعلني الحارس الخاص له بدلاً من سيراف، فضحك الجاحظ ساخراً حينها وأخبرني أن من يحملون العطايا لا يعوضهم آلاف الرجال، وأن طريقي ما زال طويلاً حتى أستطيع أن أتحمّل الحصول على أحد

تلك العطايا، فسألته بغيظ شديد، هل ترى أن هناك بالجماعة كلها من هو أقوى مني، فابتسم ضاحكًا وأخبرني بأنني إذا استطعت أن أهزم أحد الرجال ممن يحملون العطايا بيوم من الأيام فسوف يعطيني عطية بالحال ويجعلني الرجل الأول خلفه بالجماعة.

وهنا زادني هذا الحديث أصرارًا على أن أكون الأقوى بالجماعة، وهنا قرأ الجاحظ ما ارتسم على وجهي من تحدٍ وطموح فحدثني محذرًا، ألا أتحدى شخصًا واحدًا بالجماعة أبدًا وهو الأصمعي، هنا لفت الاسم انتباهي، كنت أسمع حديث أعضاء إخوان الصفاء عنه وعن مدى رعبه وقوته ولكني لم أره من قبل قط، فهو كان دائمًا بالخارج ينفذ المهام المكلف بها من الجاحظ بعيدًا، وهنا اختمرت فكرة تحدي الشخصي بيني وبين الأصمعي، ولم أدري حتى الآن هل تحذير الجاحظ هذا كان حقيقيًا أم أنه تحذير استفزازي من الجاحظ لكي أتحدى الأصمعي بالفعل، مرت الأيام سريعًا وكنت ببداية العام الثالث بالتحاقى بجماعة إخوان الصفاء، وكنا بمهمة خارجية لأعضاء الجماعة، كانت المهمة خطيره للغاية، هناك كنز من كتاب الكنوز متواجد بدولة إفريقية حدثت بها حرب أهلية والمنطقة التي يتواجد بها هذا الكنز تحت سيطرة ميليشيا حربية تحت قيادة قائد الانقلاب العسكري الذي حدث بهذه الدولة، كانت أعداد تلك الميليشيا في المتناول 270 جنديًا، أقل أو أكثر بقليل، لهذا أخذ الجاحظ 27 شخصًا فقط من أعضاء الجماعة، ولا تعتقدوا

لوهلة أن تلك الأعداد هي نسبة وتناسب، رجل واحد من رجال الجاحظ مقابل 10 رجال من جنود الميليشيا، لا.. كان يكفي فقط خمسة رجال من إخوان الصفاء للقضاء على كل هؤلاء الجنود ولكنه أخذ هذا العدد الكبير لكي يقوم بأجلاء السكان العالقين بهذه المنطقة ونقلهم تحت ستار الليل إلى مكان آمن، وبذات الوقت يتم استغلال هذه الجلبة التي صنعت بسبب نزوح سكان تلك البلدة فاستخراج هذا الكنز ونقله لمكان آخر آمن، وبالفعل ذهبنا جميعًا؛ أنا والجاحظ وسيراف وما تبقى من السبعة وعشرين عضوًا من الجماعة إلى تلك البلدة الإفريقية، وقمنا بإجلاء السكان وتخليص تلك البلدة من تلك الميليشيات الحربية التي كانت ترتكب الفظائع من قتل وتعذيب واغتصاب للأبرياء واستغلال الأطفال في الحرب وتجارة المخدرات، وفي نهاية اليوم الأخير لتواجدنا بتلك المدينة التي كانت شبه مدمرة، كنت أقف تحت أسفل الأشجار أتأمل الطبيعة الخلابة لإفريقيا والحيوانات البرية المثيرة التي كنت أشاهدها للمرة الأولى في بيئتها ترتع وتعيش حتى في وسط كل هذا الدمار والخراب الذي سببه البشر بسبب طبيعتهم الجشعة، كان سيراف ومعه خمسة أعضاء بطريقهم لاستخراج الكنز من مكانه والذهاب به إلى مكان آخر خارج تلك الدولة، ووسط اندماجي بأجواء الطبيعة وسماع أصوات البغاء والطيور فوق الأشجار فوق تنامي إلى مسامعي أصوات سيارات مدرعة محملة بالرجال ورشاشات الجرينوف والمدرعات النصف متهالكة، لقد وقع أعضاء الجماعة بكمين، فكانت الحرب بتلك المنطقة مقصودة

بالفعل حتى يتم استدراج الجاحظ ورجاله لهذا المكان والهجوم عليه من تلك المليشيات، وعلى الفور صدر الأمر من الجاحظ لنا بالتصدي لهذا الكمين المفاجئ، كان عدد الجنود في هذا الهجوم ما يقارب 2400 جندي، نعم كما سمعتم ما يقارب من عشرين شخصًا من الجماعة مقابل 2400 جندي من تلك المليشيا، أي نحن بمفردنا نقاتل وحدتين حربيتين كاملتين، فلقد اكتشفنا أن هؤلاء الجنود هم مرتزقة من فرنسا وإنجلترا وروسيا وبولندا وعدد كبير من أنحاء العالم، لقد تم الاستعانة بنخبة من المرتزقة من جميع أنحاء العالم للخلاص من زعيم جماعة إخوان الصفاء وأعضائها المتواجدين هنا برمتهم، لقد كان مشهّدًا مخيفًا لي بالفعل.

عدد قليل من الرجال يقاتل هذا العدد الكبير من الرجال المدججين بالسلاح، ولكن عندما تكون مدربيًا مثلنا على مواجهة جميع تلك الأسلحة التقليدية، فالبنادق والرشاشات والمدرعات ليست بالشيء العظيم إذا علمت كيف تتفادى مدى إطلاق نيرانها ومناطقها العمياء التي لا تستطيع أن تهاجمك من خلالها، وكيف تستخدم هجوم تلك الأسلحة جميعها وتجعلها وبالًا على مستخدميها، وبالفعل قمنا باستخدام بيض العنقاء فأصبحنا نملك سرعة وقوة كبيرة أضعاف القوة البشرية العادية، وتحت ستار كثيف من الدخان الأبيض والأسود الذي يصدر من عدة أشجار مخصصة للاشتعال السريع وتخرج مدى دخان مخيف بسرعة شديدة تسمى شجرة «الأرهاز» فتحوّلت ساحة المعركة إلى خليط

من الدخان الأبيض والأسود الكثيف، فتحول الليل إلى ظلام قاتم، وأصبح إطلاق النيران من تلك المليشيات عشوائيًا، فقمنا على الفور باتخاذ ملجأ أسفل الأرض كان تم إعداده تحت المبنى الذي كنا نتخذه بيت آمن فقام الجاحظ بالتموضع بحرية وقام باستخدام عطيته «التجلي».

يستطيع الجاحظ أن يرى أي شخص بالعالم بأي وقت يرغب به ومهما كان هذا اشخص ومهما كان بعده عنه، ولكن نظرًا لكبر سن الجاحظ واستهلاك تلك العطية لمزيد من الجهد والقوة واستنفادها منه فلا يستخدمها إلا مضطرًا، وبالطبع استخدمها لمعرفة مكان هارون يحيى ولكنه لم يجده بالفعل، ولكن سنعود لهذا الأمر فيما بعد، ما يهم أن حال المعركة انقلب على التو، قام الجاحظ بتوجيهنا إلى أماكن ارتكاز تلك القوات ومدركاتها وبسرعة شديدة تفرقنا بداخل هذا الظلام الدامس وتحت ستار هذا الدخان استطعنا إلقاء بعض المتفجرات وسط كل تلك التجمعات وأسفل المدرعات و«بوووم».

يصبح الجميع خليطًا من كتل معدنية وأشلاء بشرية، وكنا نصرخ بعدة لغات لهؤلاء المرتزقة ونخبرهم بوجودنا في أماكن تركز أصدقائهم ويقومون بإطلاق النيران وتدمير أصدقائهم وهم يعتقدون بوجودنا هناك، والعكس صحيح، أصدقاءهم يردون بإطلاق النيران عليهم لظنهم أننا من نقوم بذلك وبغضون دقائق قليلة تم تدمير معظم تلك القوات بحالة أشبه بالمعجزة، معجزة لا يستطيع فعلها سوى أعضاء

إخوان الصفاء وخلان الوفاء، ولكن لم نكد نشعر بفرح انتصارنا حتى حدث شيء غير متوقع، مدافع هاون، ومن لا يعلم تلك المدافع فهي مدافع عبارة عن قطعة مدفعية صغيرة ذات عيار قوي للضرب العمودي، يستخدمها شخص واحد أو أكثر يضع دانة المدفع بماسورة المدفع الصغير، ويقوم بتوجيهه وإشعاله فيطلق المدفع ذا المدى المتوسط ويدمر كل ما يجده بتلك المنطقة، وما لم نتوقع حدوثه أبدًا هو قيام بعض من قادة القوات المرتزقة بإطلاق نيران مدافع الهاون على أماكن تركز قواتهم، نعم لقد أطلق هؤلاء الأوغاد نيران مدافع الهاون على أصدقائهم وبأقل من عدة ثوانٍ كان هناك العشرات من القذائف التي تهبط علينا من السماء فتدمر كل شيء بطريقها؛ سيارتهم برجالنا ورجالهم.

وعلى الرغم من انتصارنا شبه المؤكد منذ دقائق، هذا الانتصار تحول إلى هزيمة بعدة ثوانٍ، لم أكن أرى شيئًا سوى أماكن الانفجارات، انفجارات حولي بكل مكان كنت أحاول الهرب يمينًا أو يسارًا، لا أرى أمامي أي شيء بسبب بعض الدخان العالق من قبل، بسببنا أو بسبب الغبار والدخان الجديد الذي نتج من احتراق المعدات الحربية والأشجار وحشائش السافانا حولنا، تحولت الغابة الجميلة التي كنا بداخلها إلى كتلة نيران، ومن بعيد لمحت منزلنا الآمن الذي كان يختبئ الجاحظ أسفلهُ فتوجهت إليه مسرعًا أسبق انفجارات الهاون خلفي، وكلي أمل أن أستطيع الاختباء بداخله وركضت بسرعة جهة المنزل أمامي بالفعل ولكن

فجأة سقطت قذيفة بجواري ألقني بعيدًا بالهواء لعدة لحظات ومن ثم سقطت أرضًا، ونزف رأسي وتشوشت رؤيتي، وعلى الرغم من إصابتي وعدم وضوح رؤيتي ولكن وضح مشهد أمامي.

المنزل الذي كان يختبئ به الجاحظ ورجالنا قد أصبح كتلة من النيران المشتعلة والركام المندثر، شاهدت من بعيد بعض رجالنا وهم يخرجون الجاحظ من أسفل الركाम، وبعضهم يحمل المصابين لإنقاذهم، وبعضهم الآخر يحاول أن يطفئ النيران التي تشتعل بهم وبملابسهم، نظرت خلفي أبحث عن باقي رجالنا المتواجدين بأرض المعركة فوجدت أجساد بعضهم أو ما تبقى من بعضهم، لقد عرفتهم بالتو بسبب ملابسهم المميزة، لقد مات من سبعة وعشرين رجلًا من رجالنا، ثلاثة عشر شخصًا بثوان معدودة.

وقفت مذهولًا مجمدًا بمكاني أتأمل الغابة التي تحولت لبحر من النيران والمنازل المحطمة حولي ومقر الجاحظ الذي تحول إلى ركام، كنت أشاهد زملائي ينادوني لكي أساعدهم لإخلاء الجاحظ الذي كان لا يقوى على الوقوف بمفرده ولحيته ممتلئة بالتراب والدماء وشعره تحول إلى اللون الأسود بسبب الركام، وقفت أشاهدهم من بعيد وأنا أحاول أن أتحرك ولكن يأسى مني من التحرك قيد أنملة.

فأنا أعلم أن الدفعة الجديدة من الهاون سوف تقضي علينا بثوان معدودة، وأن صمت تلك المدافع الآن هو من أجل أنهم يغيروا أماكن أهدافهم إلى أماكن وجودنا الآن ليكملوا

مهمتهم بالقضاء علينا، كان كل شيء يحدث أمامي ببطء شديد؛ حركة الجميع المرتبكة، الأرض أسفل مني وهي تهتز بسبب سقوط دانات المدفع عليها، النيران التي تتراقص من الأشجار المشتعلة خلفي، رائحة الأجساد المحترقة التي تزكم أنفي، ظل الموت الذي يجثو بقوة على صدورنا، كل ما كان حولنا يشير إلى هلاكنا المحتوم، استسلمت لنهايتي وتمنيت أن يحدث كل شيء بسرعة وبدون ألم، ولكن حدث شيء غير متوقع إطلاقًا بذاك الوقت، لقد سمعت صوت شخص ما يتحدث بما يشبه مكبر الصوت، لقد توقعت أنني أهذي وأن ما أسمعه الآن بسبب صدمة ما بعد المعركة، أو ما بعد الهزيمة، لكن تراءى إلى عيني مشهد غير مفهوم وغير متوقع وغير منطقي نهائيًا، الجاحظ يستند على رجاله والدماء والركام يغطي وجهه وملابسه وعلى الرغم من ذلك يضحك فرحًا وهو يتحدث إلينا:

«لقد أتى».

تلك الكلمات القليلة المقتضبة التي قالها دبت الفرح بجميع الحاضرين وأخذوا يهللون ويكبرون، وأنا لا أفهم شيئًا، ومن جديد عاد صوت شخص يتحدث بالمكبرات لعدة لحظات ومن ثم وقف الجاحظ على قدمه بمفرده ورجاله حوله بشموخ شديد، هذا المشهد دب الحمية بجسدي، أن هؤلاء الأبطال يقفون بشموخ بوجه الموت فضربت صدري بقوة بقبضة يدي ونويت أن أقف بشموخ أمام الموت أيضًا ولكن لم يكن الجاحظ ورجاله يقفون بشموخ هكذا من أجل لقاء

الموت نفسه ولكن برسوله.

فجأة وجدت صفين من الرجال المدججين بالسلاح من رأسهم إلى أخمص أقدامهم، بعضلات مفتولة وبكامل أسلحتهم ومعداتهم يخرجون من خارج الدخان الذي يغلف الغابة، مكان خروجهم بالتأكيد يدل على أنهم قوات المرتزقة المتبقية التي ضحت برجالها في مقابل التخلص منا، كانوا يتحركون بسرعة شديدة وهم يحملون أسلحتهم ليقفوا أمام الجاحظ ورجاله، كان هذا المشهد غريبًا بالنسبة لي، إنهم أمامنا الآن بجميع أسلحتهم ما يقارب من خمسين جنديًا من نخبة القوات المرتزقة، ولكن لا يفعلون أي شيء سوى أنهم يحملون أسلحتهم ويقفون أمامنا، وما لاحظت أن جميعهم كان على ملامحهم الخوف الشديد، لقد وجدت بعضهم يبكي والدموع تنساب على خديه، مشهد غير منطقي تمامًا هؤلاء الجنود يستطيعون القضاء علينا بسهولة جدًا من بعيد بقذائف الهاون أو حتى عن طريق إطلاق نيران أسلحتهم المدججين بها ونحن بالقرب منهم الآن ولكنهم يقفون أمامنا بدون حول ولا قوة.

هنا حدث أغرب شيء قد رأيته بحياتي كلها، لقد وقف هؤلاء الرجال صفين متناسقين، كل رجل أمامه رجل آخر ورفعوا أسلحتهم أمامهم إلى أعلى ورفعوها فوق رؤوسهم بما يشبه الممر الشرفي الذي يتم صنعه عادة لاستقبال القادة من جميع أنحاء العالم، وهنا سمعت صوته للمرة الأولى، ما زال طنين صوته بأذني حتى الآن، ظهر من وسط النيران

والركام والدمار بمفرده، شعره منسدل على رأسه وابتسامته
تعلو وجهه، وملابسه ناصعة البياض، يقف بالقرب من الممر
الشرفي الذي صنعه المرتزقة بأجسادهم وأسلحتهم وهو
يصرخ بمكبر صوت فرحاً وهو سعيد:

«صوت صفير البلبل، هيج قلبي السمللي».

ومن ثم ألقى بمكبر الصوت بعيداً وأخذ يصرخ بصوت
جهوري بأبيات القصيدة، والجاحظ يشاهده هو ورجاله
ويتسم، بينما الأصمعي ينشد الأبيات وهو يدخل وسط الممر
الشرفي الذي صنعه المرتزقة أمامه:

«الماء والزهر معاً، مع زهر لحظ المُقل».

وهنا عندما دلف إلى الممر الشرفي وجدت الجندي
الذي يقف أمامه يهبط بسلاحه ويطلقه على الذي أمامه،
فتساقطت دماء الجندي على وجهه وملابسه الأصمعي ولم
يعبأ إطلاقاً وأخذ يستمر بقوله قصيدته وهو ينظر إلى
الجاحظ ويتراقص طرباً:

«وأنت يا جاحظ سيد لي، وسَيِّدي وَمَولى لي».

والجنود يطلقون النيران على بعضهم البعض وهو يمر
بجوارهم ودمائهم تغطي ملابسه ووجهه وشعره وهو لا يعبأ
ويكمل بقول شعره:

«فَكَمْ فَكَمْ تَيَمِّنِي، غَزِيلٌ عَقِيْقَلِي».

أحد الجنود ظل يبكي وهو يحاول ألا يطلق النيران على

صديقه الذي ظل يطلب منه ألا يطلق عليه ولكنه لم يستطع،
وقام بإطلاق النيران عليه على الرغم عنه.

«فَقَالَ لَا لَا لَا لَا، وَقَدْ غَدَا مُهْرُولٍ».

وأخذ باقي الجنود يطلقون النيران على بعضهم البعض
أثناء مرور الأصمعي من بينهم، بينما حاول أحدهم أن يحول
سلاحه جهة الأصمعي ولكنه لم يستطع إطلاقًا كأنما سلبت
منه كل إرادته ولم يفعل شيئًا سوى إطلاق النيران على من
أمامه.

«فَوَلَوْتَ وَوَلَوْتَ، وَلِي وَلِي يَا وَيْلَ لِي».

«فَقُلْتُ لَا ثَوْلُولِي، وَبَيَّنِي اللُّؤْلُؤَ لِي».

وأخذ يشدو باقي القصيدة ومع كل خطوة يخطوها بداخل
الممر الشرفي الجنود تقتل بعضها البعض ودمائهم تغطيه
وهو يتبختر بمشيته و يلحن بشعره، وبنهاية القصيدة كانت
نهاية آخر جندي وهو يطلق النيران على صديقه أمامه ومن
ثم يضع السلاح الناري فوق رأسه وهو يصرخ على الأصمعي
بالفرنسية:

«اللعنة عليك أيها الوغد، إنك لشيطان».

ومن ثم أطلق النيران على رأسه وغطت دمائهم وجه
الأصمعي ودخلت بعينه فتوقف للحظات وهو يبتسم ومسح
الدماء من فوق عينيه، ووقف أمام الجاحظ وهو يقبل يده
بعد أن أنقذه وأنقذنا جميعًا بل وقام بالقضاء على جميع

أعدائه بدون أن ينزف قطرة دماء أو حتى قطرة عرق من جبينه، أخذ الجميع يشكره بينما الجاحظ يشير إلى أحد رجاله بإحضار ملابس جديدة للأصمعي بسبب الدماء التي غطت جميع جسده وملابسه، وهنا نظر إلى الأصمعي بعيونه الواسعة الناعسة بينما الدماء تغطيه من أعلى رأسه حتى أخمص قدميه، وعندما تلاقت عينانا ابتسم لي، كانت أسنانه البيضاء ظاهرة من كل الدماء التي كانت تغطيه، لقد شعرت بالخوف يغزو جميع أطراف جسدي وخارت قدمي وسقطت أرضًا.

إن ما حدث معنا منذ قليل كان يسمى حربًا وقتالًا، أما ما فعله الأصمعي بمفرده الآن مذبحة، لقد قام بقتل جميع الأعداء بلحظات بعد أن جعلهم يقفون بمهانة لتشريف حضوره، وليس ذلك فقط بل جعلهم يقتلون بعضهم البعض واستحم بدمائهم، دون أن يطلق رصاصة واحدة، هذا هو الأصمعي الذي قام بإنهاء معركة كاملة بمفرده، لقد شاهدت اختلاف مستوانا القتالي بشكل كامل، أنا أستطيع القتال بالفعل، لكن الأصمعي يستطيع تدمير بلاد بأكملها دون أن يعلموا حتى ما حدث لهم.

وقف الجميع مشدوهاً مصدومًا مما سمعوه من الفرزدق وكان أكثرهم صدمة هو القائم مقام، تمنع الفرزدق بوجوههم وهو يضحك ساخرًا ومن ثم نظر إلى إيهاب وتحدث إليه بغيظ:

«أخبرني أيها اللقيط، إذا شاهدت هذا الموقف يحدث أمامك هل كنت ستكون خائفًا مثلي أم لا».

صمت إيهاب ولم يتحدث نهائيًا وهنا قاطعه القائم مقام متسائلًا:

«أعلم أن بعض البشر يمتلكون من الملكة والمهارة ما يجعلهم خارقين بالنسبة للناس العادية، ولكن ما تقوله الآن أليس من المبالغة، ليس هناك ما يجعل من الأصمعي هذا بكل تلك الخطورة التي تصفها».

جاوبه بسرعة شديده وبتحديد:

«بل هو أقوى بكثير مما قلته لكم، فأنا مجرد وصفت ما حدث ولكن ما شاهدته كان أكثر رعبًا بكثير مما وصفته، إن عطية الأصمعي تجعله يستطيع أن يفعل أكثر من ذلك بكثير».

حازم بفضول:

«وما تلك العطية؟».

«المكلمة».

الأصمعي لديه قوة الكلمة، إن جميع ما يقع بوجدان البشر من العلم والمعرفة هو بتأثير الكلمة، انتشار أي معلومة أو علم أو خدعة أو مزحة، يتم عن طريق الكلمة، الكلمة التي تجعلك تقرأ دعاية فتبتسم وتسمع سبة فتغضب، تسمع حكمة فتشجن، تقرأ موعظة فتبكي، كل حياتنا قائمة على الكلمات سواء المكتوبة أو المنطوقة، ولهذا تجد من يستطيع

أن يتلاعب بالكلمة بحلو القول معسول اللسان يصبح بين المختارين وعلية القوم».

سأله طارق بفضول:

«وهل الأصمعي هذا ممن يمتلكون حلاوة القول ومعسول اللسان».

«لا، الأصمعي لم يعد يقارن بتلك الفئة من الأساس، الأصمعي قبل أن ينضم إلى جماعة إخوان الصفاء كان شخصاً ذائع الصيت والشهرة بعلم التنويم المغناطيسي، أي أنه يستطيع بالإيحاء لأي مريض بأي فكره يريد أن يتحكم بفعله ويغير معتقده، ولكن بالطبع هذا التحكم مشروط برغبة هذا المريض بذلك وتقبل قدرة الطبيب عليه بأن يغير معتقده وسلوكه، احترف الأصمعي كل ذلك وهو صغير السن وقام باختراع بعض الأوامر التي يقترحها على المرضى فيغير بها أفعالهم وأقوالهم برغبتهم».

الشاب أحمد سأله مرتباً:

«لا أفهم هل هناك فرق بين الإيحاء والاقتراحات، أليس جميعها تنويماً مغناطيسياً».

أشاح الفرزدق بسباته نافياً على الفور:

«لا بالطبع، سوف أشرح لكم الفرق بينهم الآن، الإيحاء هو أن أقوم بوضعك بمكان حار غير جيد التهوية فتشعر بالحرارة وتبدأ بالتعرق فأخبرك أنك تشعر بذلك، لأن لديك

وزن زائد يجب أن تتخلص منه، أنا هنا فعلت عدة أمور لكي أوحى إليك بشيء آخر يترتب عليه، أنك شعرت بالحرارة الشديدة لأن المكان مغلق بالفعل ولكن أنا أوحيت إليك ان شعورك هذا بسبب وزنك الزائد.

أما الاقتراح فهو لا يحتاج ذلك، يكفي فقط أن يقوم الأصمعي باقتراح شيء ما على أي شخص فيصدق أن هذا الاقتراح من عقله هو وليس أمراً من الفرزدق، فهو يتسطيع أن يقترح عليك أن تنزع ملابسك لكي تشعر بالراحة وهنا يتحول هذا الاقتراح لأمر لعقلك البطن فيظن عقلك الواعي أنه أمر من عقلك الباطن فيصدقه وتنزع ملابسك بالفعل حتى لو كنت لا ترغب بذلك.

سوف أعطي لكم مثالاً أسهل، بالتنويم المغناطيسي إذا طلب الطبيب من المريض أن يعطيه كل أمواله، هنا سوف يقوم عقله اللاواعي بالبحث بداخله عن هذا الأمر، هل هذا الطبيب يستحق أن أعطيه أمواله وعندما لا يجد أوامر مخزنة بذلك يخبر العقل اللاواعي العقل الواعي بذلك، فيرفض طلب الطبيب على الفور، ولكن عندما يقترح الأصمعي فإنه يعطي الأمر كإقتراح للعقل الباطن دون أن يشير أنه أمر منه، بل يعتقد العقل اللاواعي بأن هذا الأمر صادر منه بالفعل ولهذا يعطي أمراً للعقل الواعي فينفذ اقتراح الأصمعي وهو يعتقد بأنه أمر منه، ولكن بالطبع لهذه الاقتراحات فن، له قواعده؛ كوقت مناسب ونبرة صوت معينة وحركة جسد ومئات الفنيات الأخرى التي برع بها

الأصمعي منذ عدة سنوات».

القائم مقام ساخرًا:

«هل تريد أن تخبرني أن هذا الأصمعي جعل مرتزقة محترفين يقومون بقتل أنفسهم بقوة الاقتراحات».

نظر له الفرزدق بتحدٍ:

«لقد أخبرتكم أن هذا ما برع به الأصمعي قبل دخوله الجماعة، الإيحاءات والاقتراحات ولكن ليست تلك العطية التي أخذها من كتاب الكنوز، الكلمة ضاعفت قوته تلك آلاف المرات، لدرجة أنه لا يحتاج حتى لاقتراح شيء، هو سوف يخبرك بأن تفعل أي شيء يريد و سوف تفعله على الرغم منك حتى بوجود عقلك الواعي وغير الواعي، حتى بوجود خطر على نفسك، بأن يخبرك أن تقتل نفسك، فسوف تفعل هذا بدون أي قدرة على معارضته، والأصمعي يحتاج فقط أن يعطي لك الأمر بصوته حتى لو لم تسمع صوته وإذا رأيتة وشاهدت فمه يتحدث إليك وفهمت ما يقوله سوف تقع قدرة قوته الكلمة عليك بالحال».

نظر الفرزدق بغضب إلي إيهاب وهو يقترب منه:

«هل علمتم الآن أيها الاوغاد لماذا أخاف من مواجهته، بال لحظة التي يظهر بها الأصمعي أمامك، ليس لديك فرصة حتى بالتفكير بمواجهته، لكي تحمي نفسك من عطية الأصمعي، يجب أن تقطع أذنك».

ثم أشار بإصبعيه جهة عيون إيهاب وهو يتحدث إليه:
«وأن تنزع عينيك»

ابتلع إيهاب ريقه بخوف شديد، بينما صرخ عليهم طارق
الغنام مرتاعًا:

«هذا شيء لا يمكننا مواجهته أبدًا، يجب أن نرحل بالحال».
هنا نظر القائم مقام إلى ساعته مندهشًا:
«لقد تأخرت السيارة عن موعد وصولها».

وترامى فجأة إلى أذنه أصوات هرج وصخب شديدة
 بالمنطقة، ازدادت تلك الأصوات بوتيرة سريعة ووصلت إلى
أذان الجميع، فتوجهوا ناحية النوافذ ليشاهدوا ما يحدث،
وكم كان ما شاهدوه صادمًا حقًا، يحاوط منزلهم المئات من
الإسبانيين، جميع الفئات وجميع الأعمار من الأطفال الصغيرة
وصولًا إلى الشيوخ الطاعنين بالسن، يحملون شموعًا بأيديهم
وبعضهم يرتدي ملابس احتفالية كرنفالية، واخترقت تلك
الجموع ثلاث عربات تمثل مواكب احتفالية، كل عربة تحمل
صليبا ضخما عليه تمثال يمثل المسيح مصلوبا، وحول تلك
المحفات التي تحمل تلك الصلبان يلتف العديد من الرجال
والنساء يضعون عباءات بنفسجية فضفاضة فوقهم ويرتدون
أقنعة مخروطية على شكل أقماع فوق رؤوسهم تخفي
جميع وجوههم وتظهر فقط عيونهم، كان من الواضح أن
هذه مظاهر احتفالية بمناسبة دينية واضحة، ما حدث أثار
استغراب سكان المنطقة بأكملها فلم يكن القائم مقام فقط

وعصبته من ينظرون إلى هذه الاحتفالية المفاجئة بعين الارتياح، فقام بعض سكان المنطقة بتصوير تلك الاحتفالية وقام بعضهم الآخر بالتحدث إلى الشرطة عنهم، وهنا سأل حازم مندهشًا:

«من هؤلاء الناس، ما الذي يحدث؟».

الفرزدق تحدث إلى القائم مقام متسائلًا:

«ما هذا؟ ألم تخبرني أن هذا مقرك الآمن، ولا يوجد هنا أي شخص تقريبًا، ما هؤلاء الناس وماذا يفعلون».

أجابهم طارق الغنام وهو ينظر إلى الكرنفال أسفل منه مستغربًا:

«إنه بالتأكيد احتفال سمانا سنتا - Semana Santa أو ما يسمى أسبوع الآلام لدينا بالعربية، وهذه احتفالية دينية تقام سنويًا كتجسيد لأسبوع آلام المسيح في المسيحية وتقام الاحتفالات بجميع أنحاء إسبانيا وأنا حضرت الكثير منها بالفعل بالسابق، ولكن ما يثير الاستغراب هنا أن هذه الاحتفالية لن تقام إلا بعد أربعة أشهر من الآن، ولا تقام بهذا الوقت أبدًا».

هنا تراجع الفرزدق خائفًا:

«ألم أخبركم، إنه هو».

نظر الجميع جهته مستفسرين عن قوله فأتبع حديثه:

«إنها من فعله هو، الأصمعي، يتلاعب بنا بين كفيه، يظهر لنا

أنه يستطيع أن يقيم كرنفالاً احتفاليًا لبلد بأكملها بموعد غير مواعده وخلال بضع أيام فقط، أنا لن أنتظر هنا ثانية واحدة بعد الآن».

ولكن فجأة انطفأت الأنوار وحل الظلام ولم تعد عيون الجميع على الرؤية بالظلام الحالك بعد، ولكن فجأة شاهد القائم مقام ظل شخص ينقض بالظلام جهة حازم فقفز جهته على الفور وهو يصرخ محذرًا:

«انتبه يا حازم».

في تلك الأثناء بمنطقة المعز، كانت حياة تقف بداخل أحد المحال بالمنطقة تسحب تسجيل كاميرات المراقبة بعد أن تفاوضت مع صاحب المتجر كالمعتاد، ولكن هنا تفاجأت بهاتفها يرن، فنظرت إلى الرقم فوجدته غير مسجل لديها، فبحثت على الرقم سريعًا بأحد برامج معرفة الطالب فظهر اسم «سعيد الفكهاني» فشعرت بالاستغراب فهي لا تعلم من هو صاحب الرقم، ولكن لم تتردد كثيرًا وقامت بالرد على الهاتف لتجد على الجهة الأخرى صوت فتاة، ودار معها حديث كالتالي:

«ألو».

«ألو، من معي؟».

«أنت تبحثين عن فتاة تدعى هنية أليس كذلك؟».

«من أنتِ، هل تعلمين أين هنية؟».

«إذا أخبرتك بمكانها فسوف تعطيني أموالاً».

بلهفة شديدة:

«نعم سوف أعطيك مبلغًا كبيرًا من المال، إذا أخبرتيني عن مكانها، لكن أولاً يجب أن أتأكد من أن معلوماتك صحيحة».

فجأة صمت الفتاة لبضع لحظات، فشعرت حياة بالقلق فتحدثت إليها سريعًا:

«ألو، هل ما زلتِ معي؟».

«إذا أعطيتك بطاقةها هل سوف تتأكدي من صحة حديثي؟».

بلهفة:

«بالطبع، إذا لديك بطاقةها سوف يكون كلامك صحيح، لكن أخبريني كيف تحصلتِ على بطاقةها؟».

صمت الفتاة للحظة فعاودت الحديث إليها من جديد:

«أخبريني هل هنية بخير؟».

صمت الفتاة للحظات ثم تحدثت من جديد:

«نعم إنها بخير، إنهم لا يؤذونها».

بفضول شديد:

«من هؤلاء الذين لا يؤذونها، هل تعرفينهم؟».

«أنا خائفة».

«لاتخافي، سوف أحميكي من كل شيء وسوف أعطيك كل المبالغ التي تريديها، أخبريني هل تعرفين من الذي يحتجز هنية».

صمت قليلاً ومن ثم تحدثت:

«نعم».

«من هم؟».

«رجال سعيد».

«سعيد من؟ اهل لديك اسمه بالكامل أو عنوانه أو أي بيانات تدل عليه».

«سوف أخبرك بكل شيء، ولكن بعد أن تعطيني المال».

«حسنًا.. كم تريدين؟».

«أريد عشرين ألف جنيه».

«إنه مبلغ كبير، أخبريني هل تريدين المبلغ كله الآن، أستطيع أن أعطيك عشرة آلاف إذا قمت بمقابلتي بعد قليل، هل تسكنين بمنطقة المعز؟».

«نعم».

«إذا أستطيع مقابلتك بشارع المعز. سوف نتقابل هناك لأنه مكتظ بالمارة ولن يحدث لي أو لك أي مكروه».

«متى تريدان أن نتقابل».

«ما رأيك بعد ساعة من الآن؟».

«حسنًا، سوف أكون هناك».

«أخبريني كيف سأعلم من أنت؟».

«لا تقلقي أنا أعلم من أنت».

«حسنًا سوف أنتظرك».

صمتت الفتاة قليلاً، فتحدثت إليها حياة من جديد:

«ألو، هل مازلت هنا، أخبريني ما اسمك».

«أوعديني».

«بماذا؟».

«أوعديني أنك سوف تنقذين تلك الفتاة، هنية».

«أوعدك سوف أنقذها بكل تأكيد، ولكن أريدك أن تساعدني

بذلك».

«بعد ساعة سوف آتي إلى المكان».

ثم أغلقت الفتاة الهاتف بسرعة، شعرت حياة بالفرح الشديد لأنها أخيرًا توصلت إلى دليل على وجود هنية «سعيد الفكهاني». اسم غريب غامض وفتاة غامضة ورقم هاتف، كلها بيانات مهمة للغاية، يستطيع حازم بسهولة أن يستخرج منهم الكثير، وهي تعلمت فعل ذلك منه وحن الوقت لتضع

خطة لإنقاذ الفتاة هنية، وعلى الفور تركت المتجر بسرعة شديدة وهمت لتقوم بوضع خطة خلال تلك الساعة وكلها ثقة أنها سوف تحل أول قضية اختطاف بحياتها وبمفردها وبدون مساعدة نهائيًا من حازم، ولكم كانت فرحتها كبيرة بسبب هذا السبب الأخير.

همهمة وصوت ارتطام، صوت هرج ومرج مختلط بأصوات المشاركين بالكرنفال أسفل المنزل الآمن للقائم مقام، أحمد هارون يصرخ وهو متخبط:

«ماذا يحدث؟ ماذا يحدث؟».

وصوت طارق الغنام يظهر من بعيد:

«لا تخف يا أحمد أنا هنا، أنا معك».

صوت الفرزدق يصرخ مترجياً:

«أرجوك لا تقلتني، لا تقلتني أرجوك».

ظهر صوت ضحك شديد لرجل غريب غامض بوسط المكان.

صوت القائم مقام يتحدث متسائلاً:

«حازم هل أنت بخير؟!».

فأتاه صوت حازم وهو قريب منه:

«نعم أنا بخير، ولكن أين إيهاب؟ إيهاب».

هنا صرخ صوت الرجل الغامض بغضب:

«ماذا بخير، كيف هذا؟».

وهنا عادت أضواء الغرفة من جديد بعد أن عاد مولد الكهرباء الاحتياطي للمقر للعمل، ليظهر القائم مقام وهو يحتضن حازم بيده ومطبقًا عليه، وأحمد هارون كان متعثرًا بأحد المقاعد فركض جهة طارق الغنام الذي احتضنه بالحال ليطمئنه، والفرزدق ينظر بصدمة شديدة جهة إيهاب الذي كان الشخص الغامض يقبض على رقبته بعنف شديد وهو يضع السكين بالقرب من شريان رقبته، ليتجلى أمام الجميع بالنهاية أن هذا الشخص الغامض الذي يقبض على رقبة إيهاب وكان يضحك بالظلام منذ قليل ما هو إلا جرير.

ينظر جرير بغضب شديد جهة حازم الذي كان يقف بجوار القائم مقام وهو يصرخ على إيهاب الذي لم يكن يستطيع التنفس حينها.

«اتركه يا جرير، اتركه سوف تقتله».

ضحك جرير بشدة على حديث حازم وخف يده من على رقبة إيهاب الذي تنفس الصعداء وأخذ يشتم الهواء قليلًا:

«على الرغم من أنك شخص وضعي وحقير يا حازم، لكنك مازلت قادرًا على إضحائي».

حاول حازم أن يقترب من جرير ليتحدث معه ولكنه منعه القائم مقام وأخذ يمسك ساعده بشدة، وبمنظرة آمرة أشار إلى

الفرزدق، الذي اوما له برأسه وتحدث جهة جرير:
«ماذا تفعل هنا يا جرير؟».

«يا له من سؤال أحقق يا فرزدق، أنا هنا لشيء واحد فقط قتل حازم، أليس هذا صحيح يا زومة، أنا هنا لقتلك يا صديقي».

أخذ حازم يبتعد عن جرير قليلاً وهو متوتر:
«يالك من مجنون وابن مجانيين».

تحدث إليه الفرزدق من جديد وهو يقترب منه رويداً:
«ليس هذا وقت القتال الآن يا جرير نحن جميعاً بخطر محقق».

ضحك جرير ساخراً:

«خطر، ههههههههههه».

ورفع يده التي تمسك السكين بجوار رقبة إيهاب وهي ممتلئة بالدماء:

«لقد قابلت الخطر بالفعل، ثلاثة قتلة من الحشاشين، كانوا يتربصون بي خارج هذا المكان وكادوا يفتكون بي لكنني أصبت شخصاً منهم بإصابة بالغة واستطعت الهرب من كمينهم، فأنا لن أموت اليوم قبل أن آخذ رقبة حازم بيدي، هل تسمعني يا زومة سوف تموت اليوم لا محالة».

صرخ الفرزدق مصدوماً:

«الحشاشون، الحشاشون هنا أيضًا اللعنة».

وهنا قام القائم مقام بامساك حازم بأحكام وتراجع قليلاً
للوراء ليجد ثلاثة من الحراس الخاصين به أسفل قدمه فنظر
إلى الفرزدق بغضب وهو يصرخ عليه:

«ماذا تنظر، هيا اقتله الآن».

فاقترب الفرزدق فأمسك جرير إيهاب من رقبته بعنف شديد
فصرخ إيهاب متألماً فصرخ عليهم حازم بأن يتراجعوا:

«توقفوا، سيقتل إيهاب».

إيهاب تحدث إليه بصعوبة:

«لا تقلق علي، اذهبوا الآن، وابحث عن علاج زوجتي يا
حازم».

صرخ حازم بغضب عليهم:

«أقسم بالله إذا حدث شيء لإيهاب بسببكم فسوف أترك
البحث عن كتاب الكنوز حتى لو قتلتموني في سبيل ذلك».

فتراجع الفرزدق ونظر القائم مقام إلى حازم بضيق ولكنه
رضخ لأمره، فخفف جرير قبضته من على رقبة إيهاب
وتحدث إليهم وهو يضحك:

«يا لها من صداقة، رأيتم، هذا هو الشيء النبيل النادر،
الصديق يضحي بحياته من أجل صديقه، أنا أحترم تلك
العلاقة للغاية، أحترمها وأقدرها، لأنني كان لدي مثل تلك

العلاقة بالفعل، نعم كان لدي صديق صدوق، خل وفي كما يقال وهذا من المستحيلات، اسمه الأخطل صديقي المقرب وكان أكثر من أخي، كنت أحبه مثل نفسي وكنت أنوي أن أفديه بروحي بأي موقف يكون به بخطر، ولكن للأسف لن يحدث هذا، أتعلمون لماذا، لأن هذا الوغد اللعين حازم قام بقتله».

حازم مدافعًا عن نفسه:

«لم أفعل، لقد كان حادثًا لم أكن أقصد هذا».

«حادث، قضاء وقدر لم تقصد أو غيره، النتيجة واحدة، الأخطل مات وبسببك ولن يكفني أي شيء مقابل هذا إلا موتك يا حازم».

حاول أن يتحدث إليه حازم بهدوء فأمسكه القائم مقام وسحبه خلفه، فنظر جرير إليهما وابتسم:

«إذا أنت هو القائم مقام، أنت الأحق الذي يعمل لديه الفرزدق ويظن أنه سوف يحمي حازم مني».

نظر له القائم مقام بنظرات ثاقبة دون أن يتحدث فتابع جرير حديثه:

«أعلم أنك قوي وتمتلك الكثير من المال والرجال، وأعلم أيضًا أنك عضو هام من منظمة اليد البيضاء - الوايت هاند، أخبرني هل أنت البهادرا؟».

تغيرت ملامح القائم مقام فجأة فابتسم جرير إليه:

«لا تقلق أعلم أنك لست هو، فقد أخذت وقتي باستجواب رجالك».

صمت القائم مقام بينما نظر إليه حازم بفضول شديد، وهو يحدث نفسه:

«الوايت هاند، منظمة».

تحدث إليه الفرزدق بسرعة:

«يا جرير ليس هذا وقت القتال الآن، أخبرتني بنفسك بأن الحشاشين هنا».

ضحك جرير للغاية وهو يشد على رقبة إيهاب بعد أن حاول أن يتملص منه، وأخذ يقلد صوت الفرزدق:

«أرجوك لا تقتلني، أرجوك لا تقتلني، متى أصبحت تنتحب كالنساء هكذا يا فرزدق، بالفعل أنا أفكر ألا أقتلك أنت أيضًا بعد حازم، فيبدو أنك أصبحت لا تستحق الموت على يدي».

تنهد الفرزدق بضيق:

«انظر حولك يا جرير، استمع، هل تسمع، إنه كرنفال، كرنفال احتفالي ديني يقوم به سكان المنطقة قبل أربعة اشهر من مواعده، أتعلم من هو القادر على فعل ذلك».

جرير ضاحكًا:

«رئيس البلدة، رئيس الحكومة، لا أعلم، عروستي».

«إنه الأصمعي يا جرير، لقد أرسل الجاحظ الأصمعي خلفنا».

جرير مصدوقًا:

«الأصمعي، اللعنة».

تابع حديثه إليه:

«وأنت الآن تسعى لقتل حازم، إذا أنت تتحرك من خلف أوامر الجاحظ، وهذا الأمر سيجعل الأصمعي لن يرحمك، أملنا الآن هو أن نهرب جميعًا من هنا الآن قبل أن يأتي الأصمعي».

هنا ابتسم جرير بسرعة:

«ماذا سيحدث يا صديقي؟ هل سأموت؟ لا يهم سوف أموت سعيدًا بعد أن أقتل حازم».

ثم نظر إلى حازم ضاحكًا:

«أترى يا زومة، قتلك سوف يجعلني أموت سعيدًا يجب أن تفتخر بذلك».

قام القائم مقام بدفع حازم بعيدًا جهة طارق الغنام وأحمد هارون وأمسك سلاحه الناري وأخرجه من ملابسه:

«اللعنة على هذا لن أتركك تخرج من هنا حيًا».

وبتلك اللحظة أخرج الفرزدق سكينه من ملابسه وقام بأخذ وضعه القتالي وهو يتحدث إلى جرير الذي يحتمي بجسد إيهاب وهو يتنهد:

«أخبرني يا جرير، كيف ستتقاتل معنا وأنت ما زلت مصابًا من الحادث، ويدك ما زالت تنزف من قتالك مع الحشاشين».

«ابتسم جرير وهو يدفع إيهاب بعيدًا عنه، وهو يمسك سكينه بيده اليسرى ويمسك 3 بيضات العنقاء التي أخذها خلصة من سيراف ووضعهم في يده ثم ابتلعهم وهو يتحدث إليهم ضاحكًا.

«هكذا يا صديقي».

وبتلك اللحظة وجد الجميع أن المحتفلين من الكرنفال تجمعوا حولهم وزحفوا صعودًا إليهم بكل مكان، فمنهم المئات الذين صعدوا إلى مدخل السلم والطوابق، ومنهم من اقتحم النوافذ وهموا بالهجوم على القائم مقام والفرزدق وجرير وحازم وإيهاب وأحمد وطارق، بدا لأي حد يراهم أن هؤلاء المحتفلين متجمعون حولهم كالجراد فوق سنابل القمح أو كقطعة سكر حولها جحافل النمل، فأخذ الجميع يحاول التملص من أيدي الأعداء الكبيرة التي حاوطتهم بلحظات، وفجأة ثم سمع الجميع صوتًا يصدر من مكبر صوت عالٍ من الأسفل:

«الفرزدق، جرير، لقد أوحشتموني.. لقد أتيت لرؤيتكم جميعًا يا أصدقائي».

فصرخ جرير والفرزدق، بذات الوقت:

«الأصمعي، اللعنة».

حياة كانت تمشي بخطوات سريعة في أحد الشوارع

المتفرعة من شارع المعز بالقاهرة، حيث اتفقت على مقابلة الفتاة التي ادعت أنها تعرف مكان هنية وهي تحمل حقيبتها الصغيرة بإحكام وتتفادى الناس وبعض الدراجات النارية التي تملأ الطريق. كان الشارع مزدحمًا بالناس ومليئًا بالضوضاء، حياة كانت تحمل حقيبتها التي تحتوي على المال والكاميرا والهاتف، وكانت تحاول أن تبحث عن الفتاة التي ستلتقي بها. وصلت إلى الموقع المحدد في الوقت المناسب، وانتظرت قليلًا.

فجأة، سمعت حياة صوت موسيقى عالية وضجيجًا من وسط الناس، فرفعت رأسها وشاهدت مشهدًا غريبًا. في وسط الشارع، كان هناك سبعة رجال يلعبون بوسط الشارع ألعابًا بهلوانية ويلعبون بالنيران. كانوا يقفزون ويركضون ويدورون بمهارة، ويحملون في أيديهم عصي مشتعلة وسلاسل معلقة بكرات نارية. كانوا يستعرضون أمام الجمهور المنبهر بحركاتهم الخطيرة والمثيرة. حياة توقفت لحظة ونظرت إلى المشهد بفضول، فأحسّت بالاندحاش الشديد فهي لم ترَ مثل هذه الألعاب من قبل، امتلأ الشارع وأصبح مزدحمًا بالأطفال والأسر والشباب، وكان هناك جو من المرح والبهجة يعم المكان.

حياة كانت تشعر بالضيق في هذه الأجواء، فهي تبحث عن فتاة مخطوفة، وليس عن تسلية. ولكنها حاولت أن تبقى هادئة ومتنبهة، فجأة رن هاتفها من جديد. كان نفس الرقم الذي اتصل بها من قبل، فقامت على الفور بالرد على الهاتف،

وهي تضع يدها على أذنها لتخفف من الضوضاء التي عمت المكان.

«ألوو».

«ألوو، أنا في المكان، أين أنت؟».

«انظري خلفك».

حياة استدارت بسرعة، لترى فتاة صغيرة تقف خلفها، كانت ترتدي عباءة سوداء وحجابًا أسود يغطي وجهها. وكانت تحمل هاتفًا صغيرًا في يدها، نظرت إليها حياة بتمعن شديد، فظهر على الفتاة أنها خائفة ترتعد والدموع تتساقط من عينيها، تحدثت إليها حياة بسرعة لتطمئنها:

«لا تخافي، أنا سأساعدك».

الفتاة اكتفت بالنظر إليها قليلاً ومن ثم صرخت بها بعنف:

«اهربي، إنهم آتون ليأخذوكي أنت أيضًا».

شعرت حياة بالحيرة وعم قلبها الخوف وظهر عليها الارتباك، ولكن قبل أن تستطيع حياة أن تقول كلمة، حدث شيء غريب.

أحد الرجال الذين كانوا يلعبون بالنيران اشتعل جسده بالنيران بالكامل، وصرخ بألم شديد، فتجمع الناس حوله وصرخوا أيضًا وتراجعوا خوفًا منه وهو يركض مشتعلًا بالنار جهتهم، بعضهم حاول أن يطفى النار عنه بملابسهم أو بالماء. لكن النيران كانت قوية جدًا، ولم يستطع أحد أن يساعده.

حياة شعرت بالرعب والصدمة، فلم يكن هذا جزءًا من العرض، بل كان حادثًا مأساويًا. حياة أغلقت عينيها وحجبت وجهها بيديها، فلم تستطع أن تشاهد المشهد البشع، وهنا فجأة وجدت نفسها يتم لفها بقطعة قماش كبيرة، فصرخت ولكن ضاع صراخها وسط الهرج والمرج الذي يحدث، والتف أربعة رجال حولها وأخذوا يربطون يديها وقدميها بسرعة شديدة برباط بلاستيكي وهم يحملونها ويفتحون صندوقًا خشبيًا طويلًا ويضعونها بداخله، ووضعوا الصندوق على حامل يدوي وقام شخص بجره بسرعة، كل هذا لم يستغرق سوى بضع ثوانٍ قليلة، ولم يلاحظ أي شخص ما يحدث نظرًا لانشغالهم بهذا الرجل المشتعل الذي كان جزءًا من إلهاء الناس عن عملية اختطاف حياة، وخلال دقائق أطفأ الرجل النار من على جسده الذي كان مغطى بمادة الفزلين Vaseline- التي تحمية من التصاق المواد الاشتعال بجسده، وخلال دقائق اختفى متلاعبو النيران واختفى الحشد واختفت معهم حياة التي تم وضعها بداخل أحد المنازل القريبة من المكان ولم يكن يعلم باختفائها أي شخص.

سوى شخص واحد فقط كان يقف فوق مئذنة أثرية لمسجد مهجور يشاهد عبر منظار مكبر جميع ما حدث لحياة وشاهد هؤلاء الأشخاص وهم يختطفونها ولم يحرك ساكنًا، بل قام بوضع المنظار المكبر وأخذ يرتشف رشقات صغيرة من مشروب الشاي بجواره وهو يكتب بورقة بالقلم الأزرق كلمة «متغير عشوائي».

كتبها وأخذ يرسم دوائر بالقلم الأزرق حول الكلمة ومن ثم ألقاها بدون مبالاة، فجأة وهو يفعل ذلك أتت رسالة إلى هاتفه فقام بقراءتها ليجد اسم المرسل حيجون، وهنا وجد بعض الكلمات المقتضبة بداخل الرسالة.

«إنهم يبحثون عنك يا خوارزمي».

وهنا قام الخوارزمي على الفور بمسح الرسالة من هاتفه وأخذ يرسم بدون مبالاة دوائر من جديد على كلمة «متغير عشوائي». فحياة بالنسبة له لم تكن سوى متغير عشوائي.

تمت بحمد الله

وإلى اللقاء في الجزء الثاني من «كتاب الكنوز» لنستكمل باقي الملحمة.